الدبلوماسي

السنة التاسعة والعشرون - العدد 291

مايو 2020 الثمن 10 جنيهات

سيناء: من التحرير إلى التعمير

كاريكاتير : فوزى مرسى

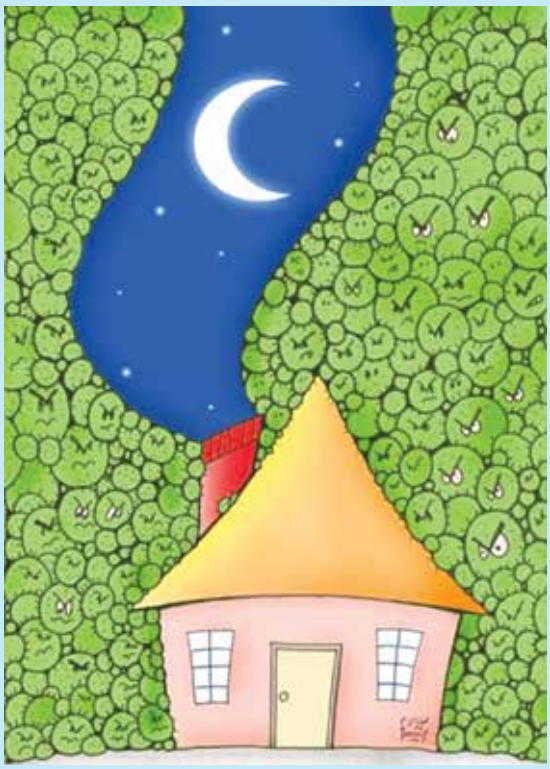

فى هذا العدد

سيناء: من التحرير إلى التعمير .....بقلم السفير رضا الطايفى	2
الحقيبة الدبلوماسية.....	4
كورونا فى بيئة دولية مضطربة .... سفير د. السيد أمين شلبي	10
عالمنا بعد الجائحة ..... سفير جمال الدين البيومى	12
إستراتيجية احتواء (كوفيد - 19) ..... سفير د. عزت سعد	16
أحزان اليمن السعيد والسلام المنتظر .....سفير رخا أحمد حسن	20
إفريقيا والتصدى لفيروس كورونا وتداعياته..سفير د. صلاح حليمة	22
بانوراما أفريقيا (4) .....سفير عبدالفتاح عزالدين	23
كورونا والحرب الباردة الأمريكية الصينية 3 .....سفير د. يوسف الشرقاوى	26
دنيا العادات والتقاليد فى مكنز الفولكلور ..... رجائى عطية	30
«كورونا» يضع العالم على أعتاب أزمة أمن غذائى: ..... هادية الشربينى	32
الدولة عبر التاريخ فى السياسة والجغرافيا والقانون والجيواستراتيجى ....سفير د .عادل السالوسى	34
كـــارثة تـشيرنوبل.....سفير أسامة توفيق بدر	41
جريمة الإبادة الجماعية فى القانون الدولى.....سكرتير ثان هند منذر ابورية	42
تـأمـــلات ..... سفير أشرف عقل	45
هل خسر العالم معركة كورونا؟ ..... ميسا جيوسي	46
مخاطر إرهاب أسلحة الدمار الشامل..... سفير د. سامح أبو العينين	48
الأبعاد السياسية لجائحة كورونا ..... د. أحمد خميس	52
«التـــقاء القـــوى» ..... سفير فخرى عثمان	54
الآثار المترتبة على التغيرات المناخية ..... سفير عزت البحيرى	56
اساليب الاستعمار الاوروبى فى قارتنا الافريقية .....سفير أحمد زين	58
مصـــر وإثيـوبيـــا ونهـر النـيـل ....سفير د. محمد نعمـان جـــلال	60
حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضي ... سفير يسرى القويضى	63
رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين... تقدمها ناديه الريس	64
العيد المئوى لإنشاء بنك مصر ..... عمرو كمال حموده	66
حكاية وحلم فى زمن الكورونا! «قصة» ..... سفيرة د. عبير بسيونى رضوان	68
هربرت بيرتون.. رجل فى الظل....سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى	74
المنافذ الحدودية بين مصر والسودان، شرايين السفر والتجارة بين البلدين.....سفير محمد عباس	76
الجوانب الإيجابية المحتملة لجائحة فيروس كورونا ..... سكرتير أول أحمد الشوربجى	77
جميل عطية إبراهيم وذكريات لا تنسى ... سفير د.وليد محمود عبد الناصر	78
غـــــاندى ..... سفير د. هادى التونسى	80

الدبلوماسى

مجلة شهرية منوعة
تصدر منذ مارس 1992 عن
النادى الدبلوماسى المصرى

أسسها السفير مصطفى العيسوى

رئيس مجلس إدارة النادى الدبلوماسى
سفير أبوبكر حفنى محمود

رئيس التحرير
سفير رضا الطايفى

المستشار القانونى
رجائى عطية

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى
شادى غالى

أسرة تحرير العدد

سفيـــر أشـــرف عقـــل
سفيـــر د. يـــوسف الشرقـــاوى
سكرتير أول أحمد أبو المجد
سكرتير ثان هنـــد منـــذر

توجه المراسلات إلى رئيس تحرير
مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية
ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820
تليفاكس 27735457 202+

diplomatmagazine92@gmail.com

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة، والخرائط المنشورة
توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

سيناء: من التحرير إلى التعمير

رئيس التحرير
السفير رضا الطايفى
taifyreda@yahoo.com

سـيناء جغرافياً وتاريخياً جزء لا يتجزأ ولم يتجزأ قط من صميم التراب الوطنى والوطن الأم. قد تكون غالباً أو دائماً أرض رعاة ولكنها قط لم تكـن أرضاً بلا صاحب منذ فجر التاريخ، ولتاريخ ألفى هو تاريخ مصـر الفرعونية بل مصر العصور الحجرية. سيناء تحمل بصمات مصر حضارةً وثقافةً وطابعاً وسكاناً بالقوة نفسها التى يحملها بها أى إقليم مصرى آخر.

ومنذ بدأ تاريخ مصر المكتوب، والنقـوش الهيروغليفيـة تثبت الوجـود المصرى عـلى كل حجر، والانتمـاء المصرى لـكل حجر فى سيناء، حجراً كانت أو معبراً، ممراً كانت أو مقراً. بل إن تراب سيناء قد امتزج بالـدم المصرى المدافع عنها ربما أكثر من أية رقعة أخرى مماثلة من التراب الوطنى. فحيث كان مـاء النيل هو الـذى يروى الوادى، كان الدم المصرى هو الذى يروى رمال سيناء».

كلمات من ذهب صاغها وكتبها د.جمال حمـدان، وجدتها معبرة ومن أجمل ما يمكن اسـتحضاره واسـتدعاؤه من كلمـات ونحن نحتفل بالذكرى الثامنة والثلاثين لتحرير سيناء فى 25 إبريل1982، حينما عـاد علم مـصر يرفرف من جديد فى سماء سـيناء إيذاناً باسـترادها من قبضة الاحتلال الإسرائيـلى البغيـض، فى واحدة من أمجد الملاحم التى سـطرتها مـصر فى تاريخهـا الحديث على الصعيدين العسكرى والدبلوماسى، التى شهدتها وشهدت بها الدنيا، وأعادت الفرحة إلى القلوب والبسمة إلى الشـفاه، وجعلتنا حينها نردد بنشـوة النصر مع الفنانة الراحلة شادية «سـينا رجعت تانى لينا ومصر اليوم فى عيد». عيد تزهو به العسكرية المصرية وتفخر به أيضاً الدبلوماسية المصرية، عيد لا ننسى فيه وسط فرحة النصر أن نترحم على شـهدائنا الأبرار الذين ضحوا بحياتهم وبكل غـال ونفيس من أجل أن تبقى رايات الوطن مرفوعة خفاقة.

عادت سـيناء بعـد معركة التحريـر، وانتقالهـا إلى معركة التعمير، عادت وإن ظلت مطمعاً - كما هو قدرها دائماً - وبدأت تواجه تحديات الإرهاب وفلول الجماعات المتطرفة العابرة للحدود التى كان يراودها حلم إقامة «ولاية سيناء» فكانت سيناء مقبرة لهم ولحلمهم على يد بطولات خير الأجناد، جيش مصر العظيم.

ومن جانب آخـر، تابعنا من يردد ويروج - زوراً وبهتاناً وإفكاً - أن سيناء ستكون جزءاً مما سمى «صفقة القرن» فى إطـار عملية تبـادل الأرض لتسـوية القضية الفلسطينية. ثم ظهر علينا مؤخراً من يقترح منح سيناء وضعاً خاصاً أو حكماً ذاتياً على غرار إقليم هونج كونج الصينى أو مقاطعة بافاريا الألمانيـة، يكون لهـا حاكم يدير شئونها المختلفة بعيداً عن ميزانية الحكومـة المركزية - باسـتثناء السياسة الخارجية والدفاع!!! هكذا وكأن سـيناء أرض بلا صاحب، وكأنها بعيـدة أو غائبة عن دائرة اهتمام الدولـة المصرية!!! مجرد أضغاث أحلام تراود البعض ممن يتربصون بوطن انتصر واسـترد أرضه وبدأ يتفرغ لتحقيق نهضته الاقتصادية والاجتماعية ويخوض فى نفس الوقـت تحديات ما تبقى من فلـول الإرهـاب، وتحديات الانفجار السـكانى الـذى يلتهم عوائد التنمية أولاً بأول، فضلاً عن تحديات الإصلاح الاقتصادى الذى ما إن بدأت ثمـاره تلوح فى الأفق حتى فاجأنا وبـاء «كورونا» وما يرتبط به مـن تحديات اقتصادية سوف تؤدى يقيناً إلى تراجع معدل النمو الاقتصـادى ليس فقط فى

مصر ولكن فى مختلف دول العالم بما فيها أكبر الاقتصاديات العالمية التى بدأت تواجه بالفعل حالة من الشلل والكساد. «صرح مستشار للرئيس ترامب أن الاقتصاد الأمريكى يواجه صدمة تاريخية بسبب كورونا وبأن نسبة البطالة قد ارتفعت إلى أكثر من 16٪».

سيناء ليست ولن تكون هونج كونج، التى اضطرت الصين - فى ظل ظرف تاريخى خاص - لمنحها وضعاً إدارياً خاصاً لأنها كانت فى ذلك الوقت مستعمرة بريطانية ولم تكن حتى 1997 تحت السيادة الصينية، علماً بأن هذا الوضع الخاص محدود بمدة خمسين عاماً تنتهى فى 2047 تعود بعدها هونج كونج إقليماً صينياً خالصاً مثله فى ذلك مثل أى إقليم آخر تحت السيادة الكاملة للحكومة المركزية فى بكين، هذا فضلاً عن مجموعة أخرى من الاعتبارات السياسية والاقتصادية ليس هذا مجال عرضها قدّر المفاوض الصينى حينها ألا مانع من أن تتمتع هونج كونج بوضع إدارى خاص لفترة زمنية محدودة ومحددة.

وسيناء يقيناً خارج أى ترتيبات أو منـاورات أو مساومات ما يسمى «صفقة القرن»، أى قرن، وإذا كان رجال القوات المسلحة يقومون بتطهيرها من آخر ما تبقى من فلول إرهابية فى إحدى ملاحم البطولة والنصر لخير أجناد الأرض، فإن سيناء تشهد بالتوازى ملحمة أخرى لا تقل أهمية هى ملحمة إعادة التعمير والبناء والنماء من أجل تحويل هذه البقعة الغالية من تراب الوطن إلى واحة للتنمية وحائط صد بشرى يدعم الأمن القومى لمصر. إن المشروعات التعدينية والصناعية

والزراعية التى تجرى إقامتها فى سيناء تعد بمثابة أقواس للنصر لتخليد كل قطرة دم أريقت وكل قطرة عرق سقطت من الجباه من أجل تحرير وتعمير سيناء. وسوف تصبح الأنفاق العملاقة التى حفرت وشيدت تحت مياه قناة السويس لربط الوطن الأم وكل محافظاته بسيناء، بمثابة جسور للتواصل الأبدى بين سيناء وبين عمقها المصرى، وليس كما يريد البعض حكماً ذاتياً يكرث التباعد ويباعد الأوصال وينال من النسيج الجغرافى والديموغرافى للوطن.

إنه رغم انشغال الدولة بكل أجهزتها التنفيذية بمكافحة تبعات فيروس كورونا، إلا أن ذلك لم يمنع الرئيس عبدالفتاح السيسى من التوجه إلى سيناء يوم 22 إبريل 2020 لافتتاح مشروعات قومية جديدة فيها وخاصة محطة معالجة مياه المحسمة العملاقة لترعة مياه الشرق، التى ستساهم فى زيادة الرقعة الزراعية وإقامة مشروعات زراعية نوعية وخاصة الزراعات المحمية، فيما يُعد رسالة ذات مغزى من القيادة السياسية بأن الاحتفال بذكرى تحرير سيناء هذا العام ليس مجرد احتفال مراسمى ولكن إيذان بفجر جديد لتنمية سيناء التى يتوقع لها أن تكون بمثابة تجربة تنموية مصرية جديدة ورائدة تضاف إلى تجارب التنمية الحديثة فى العالم. وارتباطاً بذلك، أعلن الرئيس عبدالفتاح السيسى أن تنمية سيناء هى مسألة أمن قومى مصرى وأن قيمة المشروعات التى أقيمت لهذا الغرض قد بلغت 600 مليار جنيه مصرى، داعياً رجال الأعمال إلى التوجه باستثماراتهم من أجل تنمية وتعمير وتطوير هذه الرقعة العزيزة من تراب الوطن والتى تمثل حوالى 6٪ من مساحة مصر. لتكن سيناء إذن - كما ذكر د.جمال حمدان «قطعة رائدة من التخطيط القومى والإقليمى، العمرانى والإستراتيجى، تضع التحدى الحضارى على مستوى التحدى العسكرى».

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

سامح شكرى يتلقى اتصالاً هاتفياً من وزيرة خارجية جنوب إفريقيا

تلقى وزير الخارجية سامح شكرى، اتصالاً هاتفياً من نظيرته الجنوب إفريقية «ناليدى باندور».

وصرح المستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الاتصال تضمن التباحث حول أنشطة واجتماعات الاتحاد الإفريقى اتصالاً بتسلم جنوب إفريقيا رئاسته من مصر شهر فبراير الماضى، فضلاً عن تناول عدد من القضايا الإفريقية محل الاهتمام المُشترك.

وأضاف المتحدث باسم الخارجية، أن الوزيرين بحثا كذلك التحديات الناتجة عن جائحة فيروس «كورونا» المُستجد، حيث تم التأكيد على أهمية تنسيق وتضافر كافة الجهود للتصدى للآثار الناجمة عنه على الصعيد القارى. كما تناول الوزيران سُبل تعزيز مسار التعاون الثنائى بين مصر وجنوب إفريقيا.

عبر «الفيديو كونفرانس» شكرى يُؤكد على موقف مصر الراسخ من القضية الفلسطينية خلال الدورة غير العادية لمجلس جامعة الدول العربية

شارك وزير الخارجية سامح شكرى، فى اجتماع الدورة غير العادية لمجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزارى، وذلك عبر تقنية «الفيديو كونفرانس».

وصرح المُستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شُكرى أكد خلال الاجتماع على موقف مصر الراسخ من القضية الفلسطينية؛ المبنى على ضرورة استئناف العملية التفاوضية وفقاً للمرجعيات والقرارات الدولية ذات الصلة، وصولاً لإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة على حدود الرابع من يونيو 1967، وعاصمتها القدس الشرقية، ورفض مصر القاطع لأية إجراءات أحادية من شأنها الحيلولة دون ذلك. وأضاف حافظ، أن وزير الخارجية أعاد التأكيد على استمرار الجانب المصرى فى تقديم كافة أشكال الدعم للقيادة والشعب الفلسطينى الشقيق خلال تلك الظروف الدقيقة غير المسبوقة. كما شدد على ضرورة العمل على التخفيف من معاناة اللاجئين الفلسطينيين فى المخيمات، وحشد المزيد من الدعم لوكالة «الأونروا» فى ظل الأعباء والتحديات المالية التى تواجهها، بما يُمَكّن الوكالة من الاستمرار فى تقديم الخدمات للاجئين الفلسطينيين ويحفظ كرامتهم وفقاً لولايتها الأممية.

واختتم المتحدث باسم الخارجية، بأن الوزير شكرى أشار إلى الارتباط الوثيق بين تحقيق التسوية الشاملة والعادلة للقضية الفلسطينية من جانب، وبين استعادة السلام والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط ككل من جانب آخر، بما يسمح لشعوب المنطقة بمواجهة التحديات.

وزير الخارجية يتلقى اتصالاً هاتفياً من نظيره الإيطالى

تلقى وزير الخارجية سامح شكرى، اتصالاً هاتفياً من وزير خارجية إيطاليا «لويجى دى مايو». وذكر المستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الوزيرين تناولا آخر تطورات الجهود المتصلة بالتصدى لفيروس كورونا المستجد، وسُبل التعاون من أجل مكافحة انتشاره، حيث أعرب «دى مايو» عن التقدير للدعم الذى قدمته الدولة المصرية لإيطاليا فى هذا الصدد، والذى كان له أثر فى الجهود الإيطالية لاحتواء انتشار الفيروس، ويؤكد روح التضامن والتلاحم بين شعبى البلدين.

وأضاف المتحدث الرسمى، بأن الاتصال شهد توافقاً حول أهمية مواصلة العمل نحو تعزيز التعاون الثنائى بين مصر وإيطاليا فى شتى المجالات، وضرورة استمرار التنسيق بين القاهرة وروما بشأن سائر الملفات ذات الاهتمام المشترك، بما يُلبى تطلعات شعبى البلدين الصديقين نحو الأمن والتنمية.

كما أشار حافظ إلى أن الوزير شكرى ونظيره الإيطالى تبادلا الرؤى حول آخر تطورات الأحداث فى ليبيا، وسُبل التوصل إلى تسوية شاملة للأزمة بغية تحقيق تطلعات الشعب الليبى الشقيق نحو استعادة الأمن والاستقرار والقضاء التام على ما تشكله التنظيمات الإرهابية من تهديد لأمن المواطن الليبى والمنطقة بصفة عامة. تهديد لأمن المواطن الليبى والمنطقة بصفة عامة

عبر «الفيديو كونفرانس» ...
وزير الخارجية يشارك فى المائدة المستديرة التى نظمتها مؤسسة «كيميت» لبحث تداعيات أزمة فيروس كورونا المُستجد على قضية الهجرة

شارك سامح شكرى وزير الخارجية، فى المائدة المستديرة التى نظمتها مؤسسة كيميت بطرس غالى للسلام والمعرفة، عبر تقنية «الفيديو كونفرانس»، للتباحث حول تداعيات أزمة فيروس كورونا المُستجد على قضية الهجرة وآثار ذلك المتوقعة على اللاجئين وطالبى اللجوء والنازحين، وذلك بمشاركة مسئولين من عدد من المنظمات الدولية والإقليمية المعنية بهذا الشأن.

وصرح المستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الوزير شكرى أكد خلال الاجتماع أن مصر لطالما كانت دولة مقصد وعبور للاجئين وطالبى اللجوء لسنوات طويلة، وأن هناك حوالى 5 ملايين لاجئ وطالب لجوء فى مصر، مشيراً إلى أن الحكومة المصرية عملت على ضمان عدم تعرض حياة المهاجرين واللاجئين فى الأراضى المصرية لأية آثار مباشرة نتيجة ظهور فيروس كورونا المُستجد، كما لم تتخذ أية إجراءات لإعادة المهاجرين إلى دولهم، واستمرت فى ضمان تضمينهم فى الدعم المقدم وفى نظم الرعاية الصحية.

كما أوضح المتحدث الرسمى أن الوزير شكرى أشار إلى أن التعاون القائم حالياً مع منظمات الأمم المتحدة ذات الصلة يضمن استمرار تقديم الخدمات الأساسية والرعاية الصحية للمهاجرين فى مصر، بالإضافة إلى رفع كفاءة النظام الصحى بما يعود بالفائدة على المصريين والمهاجرين.

وزير الخارجية يشارك فى الحوار الإستراتيجى الوزارى الثانى حول وكالة «الأونروا»

شارك وزير الخارجية سامح شكرى، فى اجتماع الحوار الإستراتيجى الوزارى الثانى حول وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، وذلك عبر تقنية «الفيديو كونفرانس». هذا، وقد شارك فى الاجتماع لفيف من الوزراء والمسئولين الآخرين عن الأردن والسويد وفرنسا واليابان والكويت وألمانيا والنرويج وبريطانيا والاتحاد الأوروبى.

وصرح المستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الوزير شكرى جدّد خلال مشاركته التهنئة للمفوض العام الجديد للوكالة «فيليب لازاريني» على توليه منصبه، معرباً عن حرص مصر الدائم على دعم دور الوكالة فى تقديم خدماتها لملايين اللاجئين الفلسطينيين بمناطق عملها المختلفة، لاسيما فى ظل تفشى فيروس «كورونا» المُستجد عالمياً وما يفرضه ذلك من تحديات إضافية على الوكالة، ولتجنب انتشار الفيروس فى مخيمات اللاجئين التى تُعد بيئة مواتية لانتشاره على ضوء الكثافة السكانية العالية بها.

هذا، وثمَّن الوزير شكرى جهود المملكة الأردنية الهاشمية، باعتبارها رئيس اللجنة الاستشارية للوكالة فى دورتها الحالية حتى يونيو 2020، فى دعم الوكالة فى مواجهة الأوضاع الصعبة التى تمر بها حالياً، خاصةً فى ظل الوضع المالى الصعب الذى تعانى منه الوكالة، منوهاً فى هذا الصدد باستمرار عمل مصر خلال اتصالاتها مع الدول المانحة على ضمان توفير الدعم المالى اللازم للموازنة السنوية للوكالة بما يمكنها من الاستمرار فى تقديم الخدمات للاجئين الفلسطينيين، والحفاظ على مستوى تلك الخدمات.

الوزير «شكري» يتباحث مع نظيره الأمريكى «بومبيو» هاتفياً

أجرى وزير الخارجية «سامح شكري» اتصالاً هاتفياً مع وزير الخارجية الأمريكى «مايك بومبيو»، حيث قام الجانبان بتناول آخر مستجدات انتشار فيروس «كورونا» والجهود الوطنية التى تُبذل على مستوى البلدين للتصدى للجائحة والتخفيف من آثارها السلبية على الاقتصاد، وأفاد المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية المُستشار أحمد حافظ بأن الوزير «بومبيو» أعرب، من جانبه، عن شكره للمبادرة المصرية لتقديم إمدادات طبية للولايات المتحدة للمساهمة فى مواجهة فيروس «كورونا» المُستجد والتى تبرهن على علاقات الصداقة التى تربط بين البلدين.

وأضاف حافظ أن وزيرى الخارجية «شكري» و«بومبيو» استعرضا خلال الاتصال الهاتفى عدداً من القضايا الإقليمية ذات الاهتمام المُشترك ومن بينها آخر التطورات الخاصة بملف سد النهضة.

شكرى يتلقى اتصالاً هاتفياً من المفوض العام الجديد للأونروا

تلقى وزير الخارجية سامح شكرى، اتصالاً هاتفياً من المُفوض العام الجديد لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) «فيليب لازاريني».

وصرح المُستشار أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الوزير شكرى قام خلال الاتصال بتقديم التهنئة للازارينى على توليه منصبه الجديد، مُعرباً عن تطلع مصر لاستمرار التعاون مع الوكالة فى سبيل دعم وتخفيف معاناة اللاجئين الفلسطينيين، خاصةً فى ظل التطورات الحالية لجائحة فيروس «كورونا» المُستجد، وما يشكله من تحديات تتطلب تقديم الخدمات والدعم للاجئين الفلسطينيين. وأضاف المتحدث الرسمى أن الوزير شكرى أعرب كذلك عن تقدير مصر للدور الإنسانى والإغاثى المهم للأونروا فى دعم الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط.

وأوضح حافظ أن مفوض «الأونروا»، من جانبه، ثمّن الدور الحيوى الذى تضطلع به مصر فى دعم الوكالة، وكذا الجهود المصرية المُستمرة على الساحة الفلسطينية، مُعرباً عن تطلعه إلى التنسيق والتشاور مع القاهرة خلال الفترة المقبلة.

شكرى يستقبل مُمثلى مجموعة القاهرة فى هيئة التفاوض السورية المعارضة

استقبل وزير الخارجية سامح شكرى، مُمثلى مجموعة القاهرة فى هيئة التفاوض السورية المعارضة، وذلك لبحث آخر التطورات على الساحة السورية، وسُبل دفع مسار التسوية السياسية.

وصرح المُستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شُكرى أكد خلال اللقاء حرص مصر على دعم جهود تسوية الأزمة السورية وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم 2254، وبما يهدف إلى استعادة الأمن والاستقرار فى سوريا ويُحقق تطلعات الشعب السورى الشقيق.

وأضاف المتحدث باسم الخارجية، أن الوفد السورى حرص من جانبه على إطلاع الوزير شكرى على آخر مُستجدات الأوضاع فى الأراضى السورية، وعلى صعيد الجهود السياسية للبحث عن الحل فى سوريا، مُثمناً الدور المصرى المتوازن فى التواصل مع الأطراف السورية والإقليمية المختلفة بهدف تقريب وجهات النظر وصولاً إلى إنهاء الأزمة السورية بأسرع ما يمكن.

شكرى يشارك فى مؤتمر وزارى مصغر عبر «الفيديو كونفرانس» لأعضاء هيئة مكتب الاتحاد الإفريقى

استكمالاً لمشاركة السيد رئيس الجمهورية فى مؤتمر القمة المصغر عبر وسائل الاتصال والذى جمع القادة الأفارقة أعضاء هيئة مكتب الاتحاد الإفريقى بهدف التباحث حول تداعيات وباء «كورونا» المُستجد على الدول الإفريقية، فقد شارك وزير الخارجية «سامح شكري»، فى مؤتمر وزارى مصغر عبر «الفيديو كونفرانس» جمع الوزراء الأفارقة أعضاء هيئة مكتب المجلس التنفيذى للاتحاد الإفريقى.

وصرح المُستشار أحمد حافظ، المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى أكد خلال الاجتماع على أهمية تحدث الدول الإفريقية بصوت واحد مع الشركاء الدوليين فيما يتعلق بتفشى جائحة «كورونا»، والتركيز على أولويات وطنية محددة تخدم احتياجات القارة بالفعل، وكذلك ترشيد المبادرات التى تتقدم بها القارة للشركاء، على أن يتم ذلك فى إطار مؤسسى من خلال الاتحاد الإفريقى، وأعضاء هيئة المكتب.

وأفاد حافظ بأن الاجتماع تناول أيضاً متابعة ما تم التوافق عليه بين القادة الأفارقة فيما يتعلق بإنشاء صندوق لتوفير الموارد اللازمة لدعم جهود مكافحة فيروس «كورونا» فى القارة وتبعاته السلبية على الاقتصاديات الإفريقية، حيث أكد الوزير «شكري» حرص الدولة المصرية على تعزيز الجهود الإفريقية المشتركة فى هذا الإطار من خلال تقديم الدعم المالى المناسب لإنشاء الصندوق، فضلاً عن تقديم دعم مالى للمركز الإفريقى لمكافحة الأمراض، والذى من المقرر أن تستضيف مصر المقر الإقليمى له.

شكرى يتلقى اتصالاً هاتفياً من وزير خارجية إستونيا

تلقى وزير الخارجية سامح شكرى، اتصالاً هاتفياً من وزير خارجية إستونيا «يورماس رينسالو»، حيث تناول الاتصال سُبل دعم وتطوير العلاقات بين مصر وإستونيا والتشاور حول القضايا محل اهتمام البلدين الصديقين.

وفى تصريح للمستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أوضح أن الوزير شكرى أكد على الأهمية التى توليها مصر لتطوير وتعزيز التعاون مع الجانب الإستونى فى القطاعات المختلفة، ولاسيما فيما يتعلق بتعميق التعاون الاقتصادى والتجارى بما يُحقق مصالح البلدين.

وأضاف حافظ أن الاتصال تطرق إلى جهود مكافحة انتشار جائحة فيروس «كورونا» المُستجد، حيث تم الاتفاق على أهمية تضافر الجهود الدولية والتنسيق لتبادل الخبرات من أجل الحد من انتشار الفيروس ومواجهة تداعياته المختلفة، وخاصة الاقتصادية.

وتناول الاتصال كذلك التشاور حول عدد من القضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك، حيث استعرض الوزير شكرى الرؤية المصرية لمجمل الأوضاع فى الشرق الأوسط.

هذا، وقد أعرب الوزير الإستونى عن التطلع للتعاون الوثيق مع مصر فى إطار عضوية إستونيا فى مجلس الأمن وتوليها رئاسة المجلس خلال شهر مايو الجارى فى سبيل دعم السلم والأمن الدوليين، وذلك اتصالاً بالدور الإيجابى الذى تضطلع به مصر فى هذا الصدد على المستوى الإقليمى سواء بمنطقة الشرق الأوسط أو إفريقيا.

سامح شكرى يُجرى اتصالاً هاتفياً مع وزير خارجية فرنسا

فى إطار التواصل والتنسيق المشترك بين كل من مصر وفرنسا، أجرى وزير الخارجية سامح شكرى، اتصالاً هاتفياً مع وزير خارجية فرنسا «جان-إيف لودريان»، وذلك لبحث مسار التعاون الثنائى بين البلدين، والقضايا محل الاهتمام المشترك.

وصرح المستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الاتصال تناول الجهود الدولية للتصدى لجائحة فيروس «كورونا» المُستجد، وسُبل تنسيق الجهود المُشتركة فى هذا الصدد على المستويين الثنائى والدولى. فيما بحث الوزيران أوجه التعاون الثنائى بين مصر وفرنسا فى العديد من المجالات الأخرى، بما يُحقق المصالح المُشتركة لشعبيّ البلدين الصديقين. كما أضاف حافظ أن الاتصال تضمّن تبادلاً للرؤى حول آخر تطورات الأوضاع على الساحة الإقليمية.

وزير الخارجية يشارك نيابةً عن السيد رئيس الجمهورية فى اجتماع هيئة مكتب قمة الاتحاد الإفريقى

شارك سامح شكرى وزير الخارجية، نيابةً عن السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى رئيس الجمهورية على ضوء ارتباطات سيادته بافتتاح مشروعات قومية جديدة بمنطقة قناة السويس، فى اجتماع هيئة مكتب قمة الاتحاد الإفريقى عبر تقنية «الفيديو كونفرانس» والذى انعقد بمشاركة عدد من قادة ورؤساء الدول والحكومات الأفارقة فضلاً عن ممثلين عن ائتلاف رجال الأعمال الأفارقة، وذلك بهدف التباحث حول تداعيات جائحة فيروس كورونا على الدول الإفريقية.

وقد نقل وزير الخارجية تحيات السيد رئيس الجمهورية، موضحاً ما يوليه سيادته من أولوية للجهود المشتركة نحو مواصلة الدول الإفريقية التحرك مع مختلف الشركاء الدوليين لتنفيذ والبناء على ما سبق الاتفاق عليه لدعم الجهود الإفريقية لمواجهة هذه الجائحة، وخاصةً خلال اجتماع قمة مجموعة العشرين لدعم الدول الإفريقية الذى عقد يوم ٢٦ مارس الماضى.

كما أكد خلال الاجتماع على أهمية تحقيق التنسيق والتكامل بين شتى المبادرات التى يتم طرحها فى هذا الصدد حفاظاً على صوت إفريقى موحد يحقق مصالح دول القارة ويحول دون تشتيت الجهود وهدر الموارد، مشيراً فى هذا الصدد إلى ضرورة تفعيل مقترح السيد رئيس الجمهورية الذى سبق واعتمدته هيئة مكتب قمة الاتحاد الإفريقى، بشأن اعتماد صيغة خطاب موحد يتضمن احتياجات القارة بشكل واضح والأولويات التى يمكن تقديم الدعم المالى لها، يتم توجيهه إلى مختلف الشركاء الدوليين والمنظمات الدولية والإقليمية.

وذكر المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية أن الاجتماع تطرق أيضاً للآليات الإفريقية المختلفة لتنسيق جهود دول القارة فى مواجهة فيروس كورونا المُستجد، حيث أكد الوزير شكرى فى هذا الصدد على محورية دور صندوق مكافحة فيروس كورونا ومركز الاتحاد الإفريقى لمكافحة الأمراض، منوهاً بأهمية وضع الأطر المؤسسية والتنفيذية لعمل وتفعيل هذا الصندوق لتحقيق الأهداف المرجوة منه.

كما أشار شكرى، نيابةً عن الرئيس السيسى، إلى الدور المهم لمؤسسات القطاع الخاص والمجتمع المدنى فى إطار الجهود القارية لمكافحة فيروس كورونا المُستجد، والمسئولية الكبيرة التى تقع على عاتقه لمواجهة الأزمة الراهنة.

وزير الخارجية يتلقى اتصالاً هاتفياً من المبعوث الأممى إلى سوريا

تلقى وزير الخارجية سامح شكرى، اتصالاً هاتفياً من مبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى سوريا «جير بيدرسون»، وذلك لبحث آخر تطورات الأوضاع على الساحة السورية.

وصرح المستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الاتصال يأتى فى إطار التنسيق المستمر بين القاهرة والمبعوث الأممى بشأن دفع جهود التسوية السلمية للأزمة السورية، حيث أكد الوزير شكرى عزم مصر على الاستمرار فى دفع جهود إنهاء الصراع وتسوية الأزمة السورية وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم 2254، بما يحفظ وحدة واستقلال التراب السورى، ويُلبى تطلعات الشعب السورى الشقيق، وكذا يُعيد سوريا إلى موقعها الطبيعى على الساحتين الإقليمية والدولية.

وأضاف أن الوزير شكرى تناول تقييم القاهرة إزاء تطورات الأوضاع فى سوريا، مُستعرضاً الجهود المصرية المبذولة فى سبيل دفع العملية السياسية من خلال عضويتها فى المجموعة المصغرة للدول المعنية بهذه العملية وعبر تواصلها مع المعارضة السورية المعتدلة وعلى رأسها مجموعة القاهرة، وهو الأمر الذى يرتبط أيضاً بضرورة التصدى الحاسم للتنظيمات الإرهابية والمتطرفة، والأطراف الإقليمية الداعمة لها. فيما أكد وزير الخارجية على ضرورة تضافر كافة الجهود لدعم الشقيقة سوريا فى مواجهة جائحة فيروس «كورونا» المُستجد.

ومن جانبه، أطلع «بيدرسون» الوزير شكرى على آخر مُستجدات الأوضاع فى سوريا، وجهوده المتواصلة مع الأطراف السورية لدفع العملية السياسية، مُعرباً عن تقديره للدور المصرى المتوازن فى دعم جهود التسوية واستعادة الأمن والاستقرار فى سوريا، وحرصه على استمرار التنسيق والتشاور مع القاهرة فى هذا الشأن .

وزير الخارجية يتلقى اتصالاً من صائب عريقات

تلقى وزير الخارجية سامح شكرى اتصالاً من أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية صائب عريقات حيث تناولا التطورات المتعلقة بفيروس كورونا، وكيفية العمل والتعاون بين السلطات المصرية والفلسطينية لمواجهة هذه الجائحة فى المرحلة القادمة.

كما تناول الاتصال التطورات السياسية على الساحة الفلسطينية، إذ تم الاتفاق حول أهمية التحضير لاستئناف العملية التفاوضية فى أقرب فرصة ممكنة فى أعقاب انتهاء أزمة كورونا، وعلى أهمية ألا يتخذ الطرفان أى إجراءات أحادية تضر بفرص التوصل إلى السلام العادل وتخالف الشرعية الدولية ومقرراتها.

مصر تتحرك دولياً فى الأمم المتحدة لمواجهة تداعيات جائحة الكورونا على المرأة والطفل

فى إطار التحركات التى تقوم بها الدبلوماسية المصرية اتصالاً بالتعامل الدولى مع جائحة الكورونا، قامت وزارة الخارجية بالتعاون مع المجلس القومى للمرأة بقيادة تحرك دولى فى الأمم المتحدة من أجل إيلاء الاهتمام اللازم لوضع النساء والفتيات أثناء مواجهة فيروس الكورونا، واتخاذ الإجراءات الوقائية للحد من تأثيراتها على الفئات المجتمعية الأكثر تضرراً. أوضح السفير محمد إدريس مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة فى نيويورك، أن الوفد المصرى قام بمخاطبة المديرة التنفيذية لهيئة الأمم المتحدة للمرأة، وبعثات الدول الأعضاء فى المنظمة، للتأكيد على الحاجة إلى التعاون الدولى ومشاركة الخبرات والمعلومات من أجل التغلب على هذا التحدى الطارئ، وإبرازاً للسبق المصرى فى إعداد خطط وبرامج تراعى وضع المرأة لدى التصدى لانتشار جائحة الكورونا، وقام الوفد المصرى بتعميم التقرير الذى أعده المجلس القومى للمرأة عن السياسات والبرامج المقترحة تجاه وضع المرأة عند مواجهة جائحة الكورونا، وكذلك آلية التقييم الدورى لتلك السياسات والبرامج.

وأضاف مندوب مصر الدائم أن مصر تحركت – بمشاركة مجموعة من الدول – لطرح مشروع قرار على الجمعية العامة للأمم المتحدة من أجل دعم الجهود الوطنية والدولية للاستجابة السريعة لتأثير جائحة الكورونا على النساء والفتيات.

بوروندى

قام وفد من المفوضية الوطنية البوروندية المستقلة لحقوق الإنسان CNIDH على رأسه الأستاذ الدكتور Sixte Vigny NIMURABA رئيس المفوضية الوطنية المستقلة لحقوق الإنسان CNIDH ، والسيدة Mme Consolate HABIMA- NA نائب رئيس المفوضية الوطنية المستقلة لحقوق الإنسان CNIDH وثلاثة مفوضين وأمين عام المفوضية والسفير Anatole Bacanamwo السكرتير التنفيذى للمفوضية الوطنية المستقلة لحقوق الإنسان CNIDH ومسئولو الإعلام بالمفوضية، بزيارة للسفيرة د. عبير بسيونى رضوان بالسفارة المصرية فى بوجمبورا لتقديم الشكر والتقدير للدور الذى قامت به مصر وسفيرتها فى دفع عمل المفوضية ووضعها على طريق الاعتراف بها وإثبات مصداقيتها ودورها فى النهوض بحقوق الإنسان فى بوروندى بعدما عانت عام 2018 بخفض لتصنيفها والتشكيك فى بياناتها.

ذكر رئيس المفوضية البوروندية باللقاء أن مصر كانت الدولة الأولى التى رعت وقدمت الدعم والتنفيذ للمشاريع التى طورتها المفوضية، وبذلك انفتحت المفوضية على التعاون الدولى والخارجى وأن الدور المصرى لم يقف عند حدود التعاون الرسمى ولكنه شمل تعاوناً غير رسمى ومساعدات شخصية من السفيرة المصرية (خص بالشكر تبرعاتها لاستمرار خدمة الخط المجانى الساخن hot -line)، وتعاوناً إنسانياً واجتماعياً شمل رعاية وعلاج عدد كبير من الحالات المرضية المستعصية والنادرة فى مصر (ومن أهمها حالة التوأم الملتصق البوروندي).

لندن

صرح السفير طارق عادل، سفير مصر فى لندن، بأن «جيمس كليفرلي» وزير الدولة البريطانى لشئون الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، نقل له تعازى الحكومة البريطانية فى استشهاد وإصابة عدد من ضباط وجنود القوات المسلحة المصرية فى العمل الإرهابى الغادر الذى وقع فى بئر العبد بشمال سيناء.

كما عبر وزير الدولة البريطانى من ناحية أخرى، عن شكر وامتنان بلاده لقرار الحكومة المصرية بالموافقة على السماح بتصدير شحنة زى عمليات معقم إلى بريطانيا، لمساعدة الأطقم الطبية فى المستشفيات البريطانية فى تصديها لوباء كورونا والحاجة الماسة لهذه المستلزمات الطبية. وقد وصلت للأراضى البريطانية الدفعة الأولى من شحنة زى العمليات المعقم والتى تبلغ 100 ألف من إجمالى 300 ألف زى.

كما تم أيضاً بحث العلاقات الثنائية بين البلدين، وكذلك تطورات عدد من قضايا المنطقة وعلى رأسها ليبيا، وكذلك القضية الفلسطينية فى ضوء نتائج وقرار اجتماع وزراء الخارجية العرب.

نشاط السفارات

چوبا

التقى د. محمد قدح، سفير جمهورية مصر العربية فى چوبا، مع «بياتريس خميسا» وزيرة خارجية جنوب السودان حيث نقل إليها تهنئة وزير الخارجية سامح شكرى بمناسبة توليها مهام منصبها فى حكومة الوحدة الوطنية الانتقالية، معرباً عن أطيب التمنيات لها بالتوفيق، وكذا التطلع لمواصلة العمل معها لتعزيز وتطوير العلاقات الثنائية بين البلدين فى مختلف المجالات، بما يعكس تميز العلاقة بين البلدين على كافة المستويات.

عرض السفير المصرى لمجمل تطورات العلاقات الثنائية فى المجالات السياسية والاقتصادية، وكذا الدعم التنموى والإنسانى الذى تقدمه مصر للأشقاء فى جنوب السودان، مؤكداً على دعم مصر الثابت لمسيرة تنفيذ اتفاق السلام المُنشط فى جنوب السودان. وتناول الجانبان التحدى الذى تفرضه جائحة كورونا والجهود المبذولة لمواجهتها على المستوى الإفريقى.

من جانبها، أعربت وزيرة الخارجية الجنوب سودانية عن شكرها لتهنئة وزير الخارجية، راجيةً نقل تحياتها وتقديرهـا إليه، ومعربةً عن تطلعها للقائه فى أقرب فرصة بعد انحسار أزمة جائحة كورونا.

تقديم أوراق اعتماد السفير المصرى إلى رئيس البرازيل

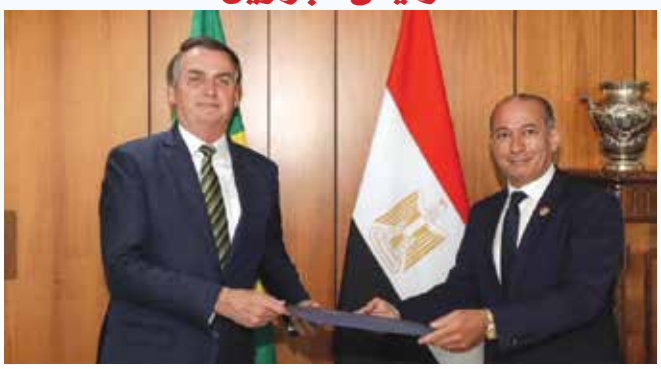

قدّم السفير المصرى لدى برازيليا «وائل أبو المجد» أوراق اعتماده، إلى رئيس جمهورية البرازيل الفيدرالية «جايير بولسونارو»، وذلك خلال استقبال الرئيس «بولسونارو» له بقصر الرئاسة بالعاصمة برازيليا.

وعقِب تقديم أوراق الاعتماد، تناول رئيس الجمهورية البرازيلى والسفير «أبو المجد» سبل تعزيز العلاقات بين البلدين فى مختلف جوانبها، ورفع مستوى التبادل التجارى البالغ حالياً نحو 3,5 مليار دولار سنوياً، وفتح الأسواق البرازيلية أمام السلع والمنتجات المصرية، فضلاً عن مناقشة أهم القضايا الإقليمية والدولية واستعراض الدور المصرى فيها.

هذا، وقد حضر اللقاء كل من وزير الدولة للشئون الخارجية بجمهورية البرازيل الفيدرالية «إرنستو أراووجو»، وأمين عام وزارة الخارجية البرازيلية، ومستشار رئيس الجمهورية للشئون الإستراتيجية.

رومـــا

قام الســـفير هشـــام بدر، سفير مصر فى إيطاليا ومندوبها الدائم لدى منظمات الأمم المتحدة فى روما بتسليم رئاســـة المجلس التنفيـــذى لبرنامج الغـــذاء العالمى إلى المنـــدوب الدائم لألمانيا فى اجتماعـــات الدورة الأولى للمجلس التنفيذى للبرنامج التى تعقد عبـــر الفيديو كونفرانـــس، حيث أكد السفير بدر على أن الأزمة الصحية التى يواجهها العالم اليـــوم جراء فيروس كورونا المستجد تعد أكبر تحد يواجه العالم ممـــا يجعلها معوقاً رئيســـياً لتحقيـــق أهداف التنمية المســـتدامة، لاسيما الهدفين الأول والثانى الخاصين بمكافحة الفقر والجوع فى العالم.

هذا، وأضاف الســـفير هشام بدر أن التحدى غير المسبوق جراء جائحة كوفيد - 19 يتطلـــب تكثيف التعاون والتنســـيق بين منظمات الأمم المتحدة ومؤسسات التمويل الدولية والشركاء والحكومات من أجل العمل على احتواء انتشـــار هذا الوباء وتخفيف تأثيراته الســـلبية على جهود تحقيـــق الأمن الغذائى والتغذية لاسيما فى الدول التى تعانى من ضعف مؤسســـاتها الطبية ونقص الغـــذاء مثل إفريقيا، وشـــدد على أهميـــة قيام منظمات روما الثلاث بالعمـــل معاً لصياغة خطة اســـتجابة موحدة لدعم الـــدول الإفريقية لضمان إيصال إمـــدادات الغذاء إلـــى الفئات الأكثر احتياجاً والجوعى واللاجئين فى مناطق الأزمات والحيلولة دون تفاقم تداعيات أزمة فيروس كورونا.

وطالـــب الســـفير بـــدر المجتمع الدولى وشركاء البرنامج بدعم الجهود الإفريقية التى قام بها قادة ورؤســـاء حكومات الدول الإفريقية أعضاء مكتب الاتحاد الإفريقـــى ودعوتها للمجتمع الدولى والشركاء لدعم صندوق الاتحاد الإفريقى لمواجهة جائحة «كوفيد - 19» والعمل على إيقاف وتأجيل دفع أقساط الديون العامة والخاصة المتراكمة على الدول الإفريقيـــة بما يمكنها من توفير الموارد المالية اللازمة لتوفير الغذاء.

جامعة الدول العربية
الوفد الدائم لدى الأمم المتحدة بنيويورك

بيان صحفى
صادر عن المجموعة العربية بالأمم المتحدة
يوم 24 أبريل 2020

اجتمع مجلس سفراء الدول العربية المعتمديـــن لدى الأمـــم المتحدة فى نيويورك الخميس 23 أبريل 2020، عبـــر الدائرة التليفزيونيـــة المغلقة، لمناقشة الوضع فى فلسطين المحتلة، بما فى ذلك الخطط الإســـرائيلية غير القانونية لضم أراض فلسطينية، على النحـــو الذى ورد فى اتفاق تشـــكيل الحكومة الإســـرائيلية بين نتنياهو و جانتز.

اســـتمعت المجموعة العربية إلى إحاطة حـــول آخر التطـــورات على الأرض، قدمهـــا المراقب الدائم لدولة فلسطين لدى الأمم المتحدة، صاحب الســـعادة الدكتور/ رياض منصور، وحول الجهـــود الفلســـطينية على المستوى الدولى للتصدى للمخططات الإسرائيلية، ولإحراز التقدم المطلوب فى السعى الفلسطينى نحو الاستقلال والســـلام، بمـــا فى ذلـــك من خلال الاتصالات مع اللجنة الرباعية الدولية.

رحبت المجموعة العربية بالرفض التام للسياســـات الإســـرائيلية غير القانونية ولأجندات الضم، والذى تم التعبير عنه بقوة فى الجلسة المفتوحة التى عقدها مجلـــس الأمن فى نفس اليوم، من جانب جميع أعضاء مجلس الأمن تقريبـــاً، ومـــن جانب مجمل العضويـــة العامة بالأمـــم المتحدة، بالإضافة إلـــى المجموعات الإقليمية والسياســـية المختلفة. تلك المواقف التى تعكس التضامن العالمى وصلابة التوافق الدولى دعما لإنهاء الاحتلال الإســـرائيلى، ودعماً لحـــل الدولتين على حدود ما قبل 1967، وللشرعية الدولية ولمرجعيات عملية الســـلام التى تم اعتمادها دولياً نحو استقلال دولة فلسطين ذات السيادة وعاصمتها القدس الشـــرقية كمـــا تبرز الرفض القـــوى لخطط الضم الإســـرائيلية، التى ســـتقوض بحدة آفاق الســـلام والاستقرار فى المنطقة.

شدد مجلس السفراء العرب لدى الأمم المتحدة فى نيويورك على دعمهم المنقطع النظير للقضية الفلسطينية، وقـــرروا البدء فى إجـــراء اتصالات مكثفة مع الفاعلين الرئيســـيين فى نيويورك، بما فى ذلـــك الأمين العام للمنظمة، ورئيـــس الجمعية العامة، ورئيس وأعضـــاء مجلس الأمن، ومع العضوية الأوســـع فى الأمم المتحدة، لتقديم الموقف العربى الداعم لحرية الشعب الفلسطينى، والرامى لتحقيق حقوقه غير القابلة للتصرف، ولإنهاء الاحتـــلال الإســـرائيلى للأراضـــى العربية، والمناهض تماماً للسياسات الاســـتعمارية ولمحاولات الضم، كما شدد مجلس الســـفراء أيضاً على أن مبادرة السلام العربية، والتى تعكس هذا التوافق الدولى، والتى تم اعتمادها من مجلس الأمن، تظل الرؤية الوحيدة القابلة للتنفيذ للتوصل للسلام والرخاء والأمن والاستقرار الإقليميين.

وفى نفس الوقت، فقد دعا فخامة رئيس دولة فلســـطين لعقد اجتماع طارئ لوزراء خارجية الدول العربية للاتفاق على الخطوات المشتركة فى مواجهة تهديدات الضم الإسرائيلية.

كورونا فى بيئة دولية مضطربة

فى مواجهـــة فيروس كورونا وتداعياته التى وصلت تقريبـــاً إلى كل أركان العالم، لم يعد أحد يتجاهل أنه حدث والنظام العالمى، وخاصة قواه الرئيســـية، يمر بحالة من الاضطراب إن لم تكن الفوضى، فالقوة الرئيسية فيه وهى الولايات المتحدة ورئيسها على مدى سنوات حكمه الثلاث، ومن خلال المفاهيم الشـــخصية التى تبناها عن العالم وعلاقة بلاده به، وهو يقوض القواعد والعلاقات والمؤسســـات التى بناها العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بل كانت بلاده الفاعل الرئيس فى تأسيســـها، فقد بدأ حرباً بـــاردة جديدة مع القوة العالمية، الصاعدة وهى الصين .

سفير د. السيد أمين شلبي

sams_maadi@yahoo.com

التى يزعجه صعودها وتهديدها لمكانة الولايـــات المتحـــدة العالمية، واقترن ذلك بحرب تجارية من خلال فرض رسوم وتعريفات جمركية على التجارة معهـــا، وامتد هذا إلى حلفاء الولايات المتحـــدة الأوروبيين، الذين شـــكك فى مشروعهم وهـــو الاتحاد الأوروبى، بل وفى العلاقات الأطلسية ومؤسســـتها التى كانت من أعمدة وأدوات الحرب الباردة، وطبق عليهم ما طبقه على خصوم الولايات المتحدة، من تعريفـــات على صادراتهم. حدث هـــذا والمشروع الأوروبـــى ممثلاً فى الاتحاد الأوروبى، يتعرض للشروخ، إن لم يكـــن التفكك، ابتداء من الأزمة المالية، اليونانية، إلى أمواج المهاجرين، الذين فروا من ويلات الحروب الأهلية فى بلادهـــم، حتى زلزال انســـحاب بريطانيا من الاتحاد.

وقد جاءت جائحـــة كورونا لكى تفصح عـــن حالة الضعـــف داخل الاتحاد ووحداته فبـــدلاً مما يطلبه جوهر المشروع الأوروبى من تضامن وخاصة فى أوقات الأزمات، أدارت دول الاتحاد ظهرها لدولة رئيســـية فيه وهى إيطاليا عصفـــت بها الجائحة، فأغلقـــت الحدود معهـــا فى تجاهل لأحد المنجزات الرئيسية للاتحاد وهو اتفاق جنشن. كما سبق أن أشرنا كان من المفارقات أن الـــدول التى مدت يد المســـاعدة لإيطاليا كانت من دول فى شـــقاق مع الاتحاد، وهى روسيا والصين.

هـــذه هى الملامـــح العامة لحالة علاقات النظـــام العالمى عندما حلت جائحـــة كورونـــا ومـــا ولدته من تســـاؤلات حول قضايا عالمية كادت تصبـــح من معالم الحيـــاة الدولية، مثل مفهـــوم «القرية الكونية» ورغم ما يعنيـــه جوهر هـــذا المفهوم بأن العالم ووحداته لم تعد جزراً منعزلة وأصبح ما يحـــدث فى أية بقعة منها يمتـــد ولا تصل تأثيراتـــه إلى كافة وحدات العالم، فقد رســـخ كورونا هذا المفهوم كما أثير التســـاؤل حول مفهوم العولمة Globalization الذى سيطر على علاقات العالم من خلال ثورة الاتصالات والمعلومات، وهل كان فيروس كورونا هزيمة له باعتبار ما فرضه من قيود على حدود الدول وعلى تحرك وانتقـــال البشر، وعلى التجارة الدولية، وهو من مقومات العولمة، أو أنه كان انتصاراً لهذا المفهوم باعتبار ما دعا إليه من تعاون وتنســـيق بين الدول؟ هذا التصور للجانب الإيجابى لمفهوم العولمة اســـتدعى التســـاؤل حول مـــا إذا كان المجتمـــع الدولى وخاصة قواه الرئيســـية قد تصرفت على أساسه أم لا. فى هذا السياق، ثمة مواقف متناقضة، فبدلاً من العلو على الخلافات الأيديولوجية والسياسية، لم ينس رئيس الولايات المتحدة وإدارته، خصومتـــه مع الصـــين، واعتبارها، «تهديـــداً لأمريـــكا والعالم»، حيث وصف فيروس كورونا بأنه «صيني» وذهب بنزعته التنافســـية ومفهوم «أمريـــكا أولاً» فى محاولـــة احتكار الجهود التى تبذل للتوصل إلى علاج أو لقاح للفيروس فى مقابل هذا تجد اتجاهاً يتســـم بالتعاطف الإنسانى حين اتجهت دول مثل الصين وروسيا وكوبا إلى مد يد المساعدة الطبية لدول ومجتمعات تختلـــف معها فى النظم والعقائد والثقافات.

فى الاســـتجابات الدوليـــة لهذا الخطـــر العالمى، يحق أن نتســـاءل هـــل قامت المؤسســـات الاقتصادية والمالية والدولية، والمنظمات العالمية والإقليمية بأدوار فى مستوى الحدث، فقد كان من المتوقع أن يقوم صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى، بمساعدة الدول التى تضررت مجتمعاتها من آثار كورونا عـــلى اقتصادياتها وما

خلفته من حـــالات فقدان الوظائف، ومن أعباء ماليـــة لمواجهة الفيروس بشـــكل أثر على برامجهـــا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ومن الأمور المشجعة أن مجموعة العشرين ناقشت فى اجتماعهـــا فى 14 إبريل بناء على توصيات صندوق النقد الدولى، إعفاء الدول الأكثر فقراً من فوائد تبلغ 14 مليار دولار، وهو نفس الاتجاه الذى اتجهت إليه مجموعة السبعة.

فى هذا السياق بادرت شخصيتان من شـــخصيات الأمـــم المتحدة هما مدير منظمة الصحة العالمية، ووكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشـــئون الإنسانية إلى التنبيه إلى «إنه إذا كانت الدول الغنية المتمتعـــة بمنظومات رعاية صحية قوية تترنح تحت وطأة تفشى «كوفيد 19» فلـــك أن تتخيل ما ســـيحدث فى دول تعيش فى خضم أزمات إنسانية عميقة خلفتها حروب أو كوارث طبيعية « وواصل أنه «إذا ما تركنا فيروس كورونا ينتشر بحرية فى تلك المناطق فإننـــا بذلك نعرض حياة ملايين لمخاطـــر مرتفعة، ذلك أن مناطق بأكملها ستسقط فى حالة من الفوضى وستسنح أمام الفيروس فرصة لمصادرة حصار العالم بأسره» واستخلص «إنه من المؤكد أن الإخفاق فى تقديم العون إلى دول العالم الأشد فقراً لمحاربة كوفيـــد 19 يكون أمراً مأســـاوياً ويفتقر إلى الحكمة» على مستوى المنظمات العالمية والإقليمية، يســـتوقف النظر ما صدر عن أمين عام الأمـــم المتحدة جوتيريس، وأمين عام الجامعة العربية أحمد أبوالغيط، مـــن دعوات «لكى تســـكت المدافع» بمعنى وقف الحـــروب والاقتتال فى مناطق النزاعـــات الداخلية، على تلك القوى أن تتفرغ وتوجـــه قواها إلى مواجهة الخطـــر المميت الذى يتهدد مجتمعاتهـــا، المهـــم أن تقترن هذه الدعوات بجهد دولى لإقناع الأطراف المتحاربة بمنطق هذه الدعوة.

يبقى التساؤل عن ما أثاره فيروس كورونا عـــن تأثيراته عـــلى النظام العالمى وعلاقات قـــواه، ونلاحظ أن حجم وقوة واتساع الأثر الذى أحدثه الفيروس قد دفـــع الكثير من الخبراء والمحللين إلى القـــول أن عالم ما بعد كورونا لن يكون كما كان قبله، وأن هذا التأثير، حتى لو حدث على المدى المتوسط والبعيد، إلا أنه سيعيد النظر فى عـــدد من المؤسســـات والمنظمات الدولية ومـــدى فاعليتها وأولوياتها، كما أثار البعض عـــن اهتزاز المكانة الأمريكيـــة باعتبـــار الموقف المتردد والضعيف فى مواجهة الفيروس حتى داخلياً فى الولايات المتحدة، فى مقابل ما بدا من صمـــود الصين ونظامها وفاعليته فى التعامـــل مع الفيروس، ومد يد المســـاعدة الطبية والعلاجية إلى ما يقارب 43 دولة فى العالم، وهل يعنى هذا ضعف وهشاشـــة النظام الديمقراطى، الليـــبرالى فى مواجهة هذا الفيروس. هذه تســـاؤلات سوف تضيف مســـئوليات وأعباء إضافية على الدبلوماسيات العالمية بل ومراكز الفكر والبحث فى ملاحقة ما ســـوف يتحقق مـــن إعادة تشـــكيل البنية الدولية وعلاقاتها.

عالمنا بعد الجائحة

مصر والمتغيرات الدولية

كيف نرى المتغيرات؟

شـــاءت حكمة الخالق أن العين البشرية لا ترى الحركة التى تحدث فى أقل من عُشر الثانية. ومن هناك قامت صناعة آلة العرض السينمائى. فما نراه على الشاشة هو عبارة عن صور متحركة تمر أمام أعيننا بالتتابع. وهنـــاك فاصل بعد كل صورة تمر أمامنا على الشاشـــة. ولأنها تمر فى أقل من عُـــشر الثانية فالعين لا ترى الفواصل بين الصور، وترى مشهداً متواصلاً متحركاً. ولهذا كان غرض مخترع آلة التصوير الأسرع من واحد على ألف من الثانية، أن يرى تفاصيل حركة الطيور والخيول، ليعرف ما إذا كان الحصان يطير معلقاً فى الهواء بأرجله الأربعة وهو يجرى ويقفز فى الســـباق، أم أنه يستند على رجليه الخلفيتين، فيقفز إلى أن تلمس رجلاه الأماميتان الأرض. وعندما اســـتخدم آلة التصوير السريع اســـتطاع أن يصل للحقيقة، ويلتقط كل مراحل حركة حصان الســـباق ليكتشف أنه تأتى لحظات أقل من الثانية يكون فيها الحصان طائراً ومعلقاً فى الهواء وهو يجرى ويقفز.

وفى كتابه (عصر العلم)، يناقش عالمنا الجليل الراحل أحمد زويل هذه الأفكار، وهو يخترع آلة للتصوير تسجل حركة التفاعـــلات الكيميائية بأسرع من واحد على مليار من الثانية. حتى يســـتطيع أن يرى ويســـجل تفاصيل التفاعلات الكيميائية العاليـــة السرعة، والتى تتم بسرعة لا تراهـــا العين، ولم يتمكن أحد من تسجيلها من قبل. وبهذا فتح أبواباً لا نهاية لها أمام البحث العلمى، استحق عنها التقدير وجائزة نوبل.

ويبـــدو أننا صرنا نحتـــاج فى عالم السياســـة والاقتصاد إلى آليات ووسائل ترصد المتغـــيرات الدولية بدقة وبسرعة أكبر. فالعالـــم الذى ابتدع قارب البردى المصرى - وأمضى بعده عمراً ليصل إلى ســـفينة تصل حمولتها إلى 60 ألف طن حتى ســـنة 1956 عندمـــا أغلقت قناة السويس - قفز فى العشرين سنة التالية فقط، ليصل لبناء ناقلة بترول حمولتها مليون طن. ومنذ قام عباس بن فرناس بواحدة من أوائـــل محاولات الطيران - التى ألهمت الأخوة «رايت» لبناء طائرة الراكب الواحد، وحتـــى أنتجت صناعة الطائرات طائرة الخمسين راكباً فى عقد الخمســـينيات من القرن الماضى، والتى أســـمتها مصر للطـــيران فى إعلاناتها «البولمان الطائـــر» - إذا بتلك الصناعة تقفـــز فى عقدين أو ثلاثـــة من الزمان وتنتج طائرة الألف راكب.

وعلى البعدين السياسى والاقتصادى لـــم يكن متصـــوراً أن يتـــم كم ونوع التحولات والمتغيرات التى جرت فى شرق أوروبا وفى شرق وجنوب شرقى آســـيا بهذه السرعة. بعـــد انهيار حائط برلين وسقوط شـــيوعية الاتحاد السوفيتى،

سفير جمال الدين البيومي

gbayoumi@hotmail.com

وتفتت ما عرف بحلف وارســـو. وكان الســـقوط لأســـباب غاية فى البساطة. فالمواطن فى تلك الدول كان قد حرم من أبسط الاختيارات، حتى فيما يأكل وكيف يعيش. ورصد مراقبون سلوك مواطنى ألمانيا الشرقية الذين هدموا سور برلين فى نوفمـــبر 1989 وركضـــوا إلى غرب المدينة على غير هدى بحثاً عن «الحرية». فقد كان أكثر ســـلوك متكـــرر لرعايا ألمانيـــا «الديمقراطية» هـــو شراء الموز والشـــيكولاتة، التى لم توفرها دولتهم لهم لنحو سنة. وهكذا اختصرت الحرية فى هذا المطلب والاختيار البالغ البساطة.

وقد لاحظت القلـــة حركة المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية من زواياها الدوليـــة والإقليمية والوطنية. وهى تتـــم بهدوء ربمـــا لا يخفى على العيون الفاحصة المتابعة والمدققة والتى لديهـــا ذاكرة الكامـــيرا السريعة. ولقد مررت شـــخصياً بتجربة فى عام 1975 عندما دعانى قائد المدمرة الفرنســـية (جان دارك 2) للعشاء على ظهر المدمرة التى كانت تزور ميناء ريو دى جانيرو.

وفى العشـــاء تبادلنا الكلمات التقليدية، وتحدث المضيف عـــن المتغيرات الدولية وكيف أنه لا توجـــد صداقات دائمة ولا عداوات دائمة. فقلـــت له إن الدليل على عظم المتغـــيرات أننى أتناول العشـــاء - الآن - وبدعوة مـــن قائد (جان دارك 2). فتذكرت أن (جان دارك1) أغرقتها البحرية المصريـــة فى حرب 1956 أمام الإســـكندرية فى العملية التى استشهد فيها صديقى الضابط الســـورى (جول جمـــال). وكنا نســـكن معـــاً فى نفس «البنسيون» بالإسكندرية أيام الدراسة. ذلك أن فرنسا التى شاركت فى العدوان الثلاثى على مصر سنة 1956 هى نفس فرنســـا التى أعادت العلاقات ودخلت ومعها دول الاتحـــاد الأوروبى فى حوار عربى أوروبى سنة 1974 بمبادرة من القمة العربية بالجزائر. وصارت أوروبا - المستعمر السابق - أهم شريك تجارى. والآن تشـــترى مـــصر قطعـــة بحرية فرنسية وتســـميها (جمال عبدالناصر) الذى حارب العـــدوان الثلاثى الفرنسى البريطانى الإسرائيلى على مصر ســـنة 1956.

بل إن أوروبـــا - التى حاربت دولها بعضها البعض لمدة 300 ســـنة حتى الحرب العالميـــة الثانية المدمرة - صار أغلبها يشـــكل الاتحاد الأوروبى، الذى نال جائزة نوبل للســـلام سنة 2014، لأنه حافظ على الســـلام لســـبعين سنة من التعـــاون والتعايش. ورغم أن دولة كألمانيـــا خرجت مهزومـــة فى الحرب، وفرضت عليها قيود التســـلح، وفقدت نحو 24٪ مـــن أراضيها، إلا أنها جعلت هدفها الأســـمى هو الحفاظ على وحدة ما تبقى من أراضيها واستعادة القسم

تسلق سور برلين

الألمانى الشرقى فى دولة الوحدة والنفاذ لأراضيها التى احتلتها كل من فرنسا وبولندا. وبهذا تستفيد ألمانيا بما تتيحه الوحدة الأوروبية وفتح الحدود وتوحيد العملة والأنظمة.

وفى يوليو 2016 اجتمعت قمة دول حلف شمال الأطلنطي NATO ولاحظ البعض دلالة مكان الاجتماع فى وارسو/ بولندا، التى كانت مقر الحلف المعادى الشرق أوروبى بزعامة الاتحاد السوفيتى السابق، والمسمى «حلف وارسو». أى أن المتغيرات جعلت حائط برلين ينهار، ومن ورائه الاتحاد السوفيتي ومنظومة حلف وارسو. بل والأكثر أن وارسو/ بولندا ذاتها، انضمت للخصم، حلف شمال الأطلنطي NATO . وانضمت مع غيرها من دول شرق أوروبا إلى الاتحاد الأوروبى.

وقد أظهرت قمة العشرين فى «هانجتشو» بالصين - فى سبتمبر 2016 - ازدياد واتساع حجم المصالح المشتركة والمتشابكة لاقتصادات دول العالم واعتمادها المتبادل. فالصين أكبر مصدر فى العالم وثانى أكبر اقتصاد تحرص على علاقاتها مع الولايات المتحدة ولا تناصبها العداء. وصارت الولايات المتحدة أكبر مستورد فى العالم وأكبر سوق للصين، ومن أكبر المصدرين لها. كما صار الدولار هو العملة الرئيسية للاحتياطى النقدى الصينى. وهو الأكبر بين احتياطيات كل بلدان العالم. بل وتراهن الصين فى سياساتها النقدية والتجارية على خفض عملتها (اليوان) والرهان على رفع قيمة الدولار. كى تحافظ على القدرة التنافسية لصادراتها.

وفى زمن استحالت فيه الحروب الكبرى، بسبب توازن الرعب النووى، صارت الرأسمالية تحافظ على مصالحها ومصالح صناعاتها - وفى المقدمة منها صناعة السلاح - بتشجيع الحروب المحلية، وخلق أوضاع تهدد الأمن الإقليمى لبعض الدول. ومن جانبها تشن الولايات المتحدة الأمريكية حرباً تجارية ضد أهم شركائها التجاريين فى أوروبا واليابان والصين. وصارت تفرض قيوداً فنية وتجارية وجمركية على صادراتهم إليها. فردوا بالتصعيد بإجراءات حمائية مماثلة، أدت لتراجع غير منظم للإدارة الأمريكية عن هذه السياسات قصيرة النظر.

حرب الكورونا:

اجتاح وباء الكورونا أرجاء العالم دون تفرقة وبدون مقدمات. ولم تستطع القوة العسكرية وأسلحة الدمار الشامل، أو أية سلطات للحدود أن توقفه. وتبين أن حوائط الفصل العنصرى التى أقامتها بعض الدول، لا تفيد فى صد هذا الهجوم. فلا حائط الفصل العنصرى الإسرائيلى ضد الفلسطينيين أصحاب الأرض، ولا حائط الحصار الأمريكى ضد الهجرة من المكسيك، أفاد أيهما فى صد مثل هذا الهجوم الذى لا يعرف الحدود. بل إن سور الصين العظيم نفسه لم يمنع الوباء من أن يجعلها أول وأكبر دولة مصابة. واكتشف أقطاب العالم المتصارع حول المصالح الاقتصادية ومد مناطق النفوذ أن هناك عدواً مشتركاً يهدد الجميع. وأنه لا مفر من التعاون الدولى والإقليمى وبكل الأشكال لوقف التهديد.

ومع ذلك بدت مظاهر للخلاف وتعارض المصالح بين القوى التقليدية الكبرى. فتبادلت إلقاء التهم حول مسئولية «ميلاد أو توليد» المرض. وظهرت فى هذا الشأن نظريات متعددة على كل جانب. منها مقولة أن فيروس الكورونا هو نتيجة تجارب معملية كيميائية تستهدف إنتاج أسلحة للحرب الجرثومية وتسربت من المعامل. ولم يتأخر أصحاب مدرسة نظرية المؤامرة عن الإسهام بقصة مؤداها أن الولايات المتحدة أطلقت الفيروس فى الصين لتدمير قدراتها الاقتصادية. ولم يفسر هؤلاء، ماذا تستفيد أمريكا من تدمير واحد من أهم أسواق العالم استيعاباً لصادراتها. وصعّد أصحاب مثل هذه النظريات من جهودهم ليوجهوا الاتهام إلى الماسونية العالمية، والرأسمالية الصهيونية، بأنها قررت «اختصار» تعداد سكان العالم ليصبح 500 مليون نسمة والتخلص من 6500 مليون آخرين. غير أن جهود مكافحة المرض بالتوصل لتحصين للوقاية منه أو دواء لعلاجه عادت لتحتل الصدارة.

وقد أدت إجراءات الإغلاق اللازمة لمحاصرة الوباء، إلى ضرب مصالح ومجالات كبرى من أنشطة الاقتصاد العالمى فى الصميم بدءاً بالسياحة فصناعة البترول وصناعة النقل الجوى والبحرى والبرى، وبالتالى تراجعت التجارة الخارجية العالمية بصورة مقلقة. ومن المتوقع أن تتأثر أغلب اقتصادات العالم بهذه التطورات. فقد أعلن مكتب العمل فى الولايات المتحدة أن 20.5 مليون شخص فقدوا وظائفهم فى إبريل 2020، نتيجة إجراءات الحد من تفشى الوباء.

ومن جانب آخر يتوقع بنك إنجلترا اتجاه الاقتصاد البريطانى نحو أسوأ انكماش له منذ مئات السنين بسبب تأثير الفيروس. وأعلن البنك أن الاقتصاد البريطانى قد ينكمش بنسبة 14٪ هذا العام، فى أكبر انكماش سنوى فى تاريخ المملكة. وتقلص الناتج المحلى الإجمالى بنسبة 3٪ فى الربع الأول من سنة 2020. واتخذ البنك مجموعة إجراءات منها إطلاق برنامج لشراء سندات بقيمة 200 مليار جنيه إسترلينى، لمواجهة الصدمة الاقتصادية الناجمة عن الإغلاق وتوقف الإنتاج.

وحذّر الأمين العام لمنظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OECD «انجيل جوريا» من أن الآثار الاقتصادية الناجمة عن تفشى فيروس كورونا ستكون أكبر بكثير من الآثار المرضية والفورية للفيروس. وتوقع الأمين العام أن «يستمر الأثر الاقتصادى السلبى لفترة طويلة، ينتج خلالها عدد كبير من العاطلين. وستواجه شركات صغيرة ومتوسطة الحجم أوضاعاً صعبة للغاية، إن لم تكن قد اختفت بالفعل قبل اختفاء المرض». وأن «الحياة والنشاط الاقتصادى لن يعودا إلى طبيعتهما فى وقت قريب».

وكانت منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OECD، التى تضم 36 دولة غنية، قد توقعت فى وقت سابق من شهر مارس 2020 بأن التفشى الكبير لفيروس كورونا، سيهبط بمعدل النمو العالمى إلى 1.5٪ خلال عام 2020. وذلك نتيجة حالة الإغلاق شبه التام الذى دخلت فيه الكثير من الدول فى محاولة لوقف تفشى الوباء. وقد أعلنت حكومات كثيرة عن حزم مساعدات داخلية لدعم الشركات والأعمال التجارية، ولتشجيع الشركات أيضاً على اتباع نصائح العزل وتقليل العمالة خلال الأزمة.

من جانبها قالت مديرة صندوق النقد الدولى «كريستالينا جورجييفا» إن فيروس كورونا أدخل اقتصادات العالم فى حالة ركود أسوأ من أزمة عام 2009، وأن الأسواق الناشئة تشهد مشاكل كبيرة، وفى تقدير الصندوق للاحتياجات المالية الإجمالية للأسواق الناشئة فإنها ستبلغ 2.5 تريليون دولار. وأضافت المديرة أن الصندوق شهد ارتفاعاً «استثنائياً» فى طلبات التمويل الطارئة، حيث تقدمت 80 دولة بطلبات مساندة. وأنها تتوقع تحسناً فى عام 2021 فى حال احتواء الفيروس، ومنع مشاكل السيولة. ويتوقع الصندوق أن أغلب بلدان العالم سوف تحقق سنة 2021 معدلات نمو سالبة، أى ستنكمش نواتجها القومية، عدا مجموعة قليلة من الدول – بينها مصر– نجحت فى تبنى برامج طموحة للإصلاح الاقتصادى تجعلها أقدر – نسبياً– على الصمود فى وجه الآثار الاقتصادية للأزمة.

وفى قمة أغنى 20 دولة فى العالم G.20 – بواسطة مؤتمر الفيديو فى الرياض برئاسة السعودية كان البند الأهم فى المناقشة هو مكافحة الكارثة التى حلت بالعالم بوباء الكورونا. وتجمع مجموعة العشرين دولاً تمتلك أكثر من نصف اقتصاد العالم. وتبنت القمة اعتماد مبلغ تريليون دولار لمواجهة الآثار الاقتصادية للأزمة.

ومن جانبه قدم للقمة عالمنا الاقتصادى الكبير ووزير مالية مصر الأسبق الدكتور أحمد جلال مع عشرين خبيراً عالمياً، ورقة تطالب بمعالجة الأمر على مستويين:

الأول: طبى فنى، ويشمل مكافحة الوباء نفسه بتبادل الخبرات والمعلومات، وتوفير تمويل مناسب لمنظمة الصحة العالمية WHO لتمكينها من مساعدة الدول الأكثر فقراً، والأكثر احتياجاً.

والثاني: علاج اقتصادى بتوفير السيولة وتمويل كاف لمواجهة التداعيات الاقتصادية السلبية للأزمة وحالة الركود التى يواجهها العالم. حيث بلغ التمويل الأمريكى فى هذا الشأن 2000 مليار دولار (تريليونى دولار) للسوق الأمريكى فقط. مما يستدعى مساندة مؤسسات التمويل الدولية لتتمكن من دعم الدول الصغيرة المتضررة.

وقد سارع وزراء مالية الاتحاد الأوروبى باعتماد مبلغ تريليون يورو دفعة أولى لمساندة دول الاتحاد المتضررة. وتمول من إسهام كل عضو فى الاتحاد بنسبة 2٪ من الناتج المحلى الإجمالى. وبدورها أعلنت مستشارة ألمانيا أن بلدها سوف يزيد إسهامه فى ميزانية الاتحاد لمواجهة الظروف الحالية. ذلك أن ألمانيا – للأسباب المعروفة – هى أكبر داعم للاتحاد وتزيد إسهاماتها فى موازنته بكثير عن قدر استفادتها بدعمه. وتعتبر مساهماً صافياً فى الميزانية، وتليها كل من فرنسا وإيطاليا.

هل ينهار النظام العالمى أو يستبدل، أم يعالج؟

شكل النظام الاقتصادى والتجارى الدولى الحالي:

أسفرت أوضاع العالم بعد الحرب العالمية الثانية عن توافق بين دول الحلفاء المنتصرة فى الحرب، لتأسيس نظام عالمى للأمم المتحدة، يخلف نظام عصبة الأمم الذى أخفق فى منع اندلاع الحرب. واجتمعت 44 دولة فى مؤتمر بريتون وودز بالولايات المتحدة (يوليو 1944) وأسست ما يعرف بنظام الأمم المتحدة UN System، شمل فى شقه الاقتصادى مؤسستى صندوق النقد الدولى IMF والبنك الدولى للإنشاء والتعمير IBRD. ولاحقاً عقدت الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات GATT سنة 1947 التى تحولت إلى منظمة للتجارة العالمية WTO فى عام 1995. وقد تفرعت عن نظام الأمم المتحدة فى شقه الاقتصادى والمالى والتجارى والتنموى، العديد من المنظمات. مثل: مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية UNCTAD، ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية UN-IDO، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى UNDP، ومنظمة الأغذية والزراعة FAO، وبرنامج الغذاء العالمى WFP، ومنظمة العمل الدولية ILO، والمنظمة العالمية للملكية الفكرية WIPO وغيرها.

1. البنك الدولى WB وهو وكالة متخصصة تعنى بالتنمية، وإعادة التعمير. حيث أوكلت له مهمة مساندة جهود إعادة إعمار ما دمرته الحرب الثانية فى دول أوروبا أساساً. ويعد الإعمار وإعادة البناء موضع التركيز فى أنشطة البنك.

2. صندوق النقد الدولى IMF ويعتبر بمثابة بنك البنوك المركزية للعالم، ويتولى مساندة نظام مالى ومصرفى عالمى يحافظ على توازن سياسات الصرف واستقرار العلاقة بين العملات الدولية وتجنيبها الهزات التى تؤثر على استقرار المعاملات ومصالح المودعين. ويتمتع الصندوق بدور مركزى فى النظام النقدى العالمى، ونظام المدفوعات الدولية وأسعار صرف العملات .وتشمل أهداف الصندوق مساندة النمو المتوازن فى التجارة الدولية، وتجنب التخفيض التنافسى لقيم العملات (حرب العملات)، وإجراء تصحيح منظم للاختلال فى

انهيار حائط برلين

موازين المدفوعات التى قد تتعرض لها بعض الدول.

3. الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات GATT وتتولى العمل على تيسير سبل التجارة الدولية وانسيابها بصورة تستهدف تحقيق التوازن بين مصالح مختلف أطراف المجتمع الدولى. وبعد أن قطعت GATT ثمانى جولات من المفاوضات التجارية متعددة الأطراف، توصلت 111 دولة منها - فى جولة أوروجواى الثامنة - 1986/ 1994 - إلى إنشاء منظمة التجارة العالمية World Trade Organisation (WTO)، والتى تعد وريثة GATT. وصارت تضم اختصاصات أكثر وأكبر.

وكان الهدف الأسمى من وراء كل ذلك بناء مصالح عالمية متشابكة نتيجة للتبادل التجارى الحر، والتعاون الاقتصادى الدولى والإقليمى، مما يجعل النزاعات والحروب أمراً مكلفاً ولا مبرر له، ويقدم بديلاً أفضل بالمشاركة فى المكاسب، واقتسام الفرص وتجنب التحديات، وبعث الأمل لدى الشعوب التى تتطلع لمستويات معيشة أفضل بتسهيل إمكانيات النمو.

هل هناك بديل؟

بالرغم من الكوارث الإنسانية التى أتت بها الجائحة الراهنة، فإنها كشفت عن استحالة العزلة، وأنه لا بديل عن تكثيف التعاون لمواجهة هذا «العدوان» على الجميع. والذى لا سبيل للانفراد بمواجهته. لكن برزت وجهات نظر أخرى ترى أن النظام الدولى القائم أخفق فى إقرار العدالة وتقسيم المصالح، وأنه خضع لمحاولات القوة الأحادية العالمية لإضعافه بغرض الانفراد بالقيادة وباحتكار صناعة القرار. ونمت التوقعات والأمنيات بتغيير هذا الوضع. وهناك توافق كبير على أهمية وحتمية التغيير. لكن يبقى السؤال: إلى أين؟، وهل يكون التغيير بهدم التنظيم الدولى بالكامل وإعادة بنائه على أسس جديدة؟ أم بالإبقاء على التنظيم وإدخال تحسينات جوهرية على بنائه وأدائه؟

والواقع أن الوضع الراهن أغرى البعض على انتهاز الفرصة للمطالبة بنزع الكثير من قدرات الولايات المتحدة. بل هناك من يتمنى زوال هيمنة «الدولار» على الاقتصاد العالمى. فرغم أن الاقتصاد الأمريكى يحتل أقل من ربع اقتصاد العالم. إلا أن الدولار يستخدم بنسبة 82٪، فى التسويات الدولية لأسباب تاريخية متعددة. وأصبحت أكبر الاحتياطيات النقدية فى العالم مكونة بالدولار. ويتصدر الحائزون له كل من الصين واليابان والسعودية. ومن صالحهم الإبقاء على وضع الدولار فى الأجلين القصير والمتوسط حفاظاً على ثرواتهم. وواضح أن المشكلة ليست بهينة.

والواقع أيضاً أن هناك أربعة أطراف من كبار اللاعبين فى حلبة الاقتصاد العالمى، أخذت مصالح كل منهم تعلو فوق الصالح العام لجميع الأطراف الأخرى بل ولباقى دول العالم. والمقصود بذلك كل من الولايات المتحدة الأمريكية والصين والاتحاد الأوروبى واليابان:

- فالولايات المتحدة مازالت تمتلك أكبر اقتصاد، وأكبر سوق مستورد، وأكثر العملات تداولاً فى العالم.
- والصين أكبر مصدّر. وأكبر حائز للاحتياطى النقدى. وثانى أكبر مستورد واقتصاد فى العالم.
- يمتلك الاتحاد الأوروبى ثانى أكثر العملات تداولاً، وينافس لاحتلال مركز أكبر مصدّر، الذى احتلته ألمانيا وحدها فى السنوات 2004/ 2008.
- وتنافس اليابان بكفاءة فى كل هذه المجالات بين اقتصادات العالم.

وبالرغم من أن العلاقات الاقتصادية الدولية جعلت الحدود الجغرافية تتراجع لدرجة مؤثرة، فإن الأربعة الكبار يلعبون أحياناً بقدر من التنسيق المتاح فى دوائر لقاءاتهم. ولكن كثيراً ما يعزف كل منهم منفرداً، متوقعاً تحقيق كسب أكبر مما قد يحققه بالعمل فى إطار الفريق.

وبذلك يصير التوقع الأقرب للتحقيق - فى الأجلين القصير والمتوسط - هو أننا سنتعامل مع النظام القائم تجنباً لمزيد من الهزات الاقتصادية. ونواصل محاولات تحسين أداء هذا النظام. والتطلع لتغيير الآليات لجعلها أكثر كفاءة وسرعة على مواجهة الأزمات. ذلك أنه لا مصلحة لأغلب دول العالم أن تنزلق إلى وضع «اللانظام» الذى قد يعود بنا لفرض سيطرة الشركاء الأقوى فى النظام الدولى الراهن.

موقف مصر:

مصر مصنفة بين الدول ذات الدخل المتوسط. وتمتلك أكبر ناتج قومى فى شمال إفريقيا. ولديها ثانى أو ثالث أكبر ناتج قومى عربى. وأكثر اقتصادات المنطقة تنوعاً ولا يعتمد على مصدر واحد. كما تمتلك أكبر كتلة سكانية، وأكبر جيش فى المنطقة، وأكبر قوة عاملة. ويمر فيها أعظم أنهار العالم. ولديها مصادر متجددة للطاقة. لكنها فى حاله أزمة سيولة عابرة، غير هيكلية، بسبب تراجع عوائد السياحة والصادرات. حتى صار إنتاجها الحالى لا يواكب زيادة مواليدها. فمصر صارت تنجب أطفالاً أسرع من إنتاج الغذاء والسلع والخدمات. ولقد أنجبت مصر منذ يناير 2011 مواليد بحجم تعداد اليونان مرتين (20 مليون طفل). ويحتاج برنامج الإصلاح الاقتصادى أن يشمل معالجة واسعة الأفق للمشكلة السكانية. فهل نحن على استعداد للعمل لملء هذه الثغرات؟؟

ومما لا شك فيه أن تبنى مصر لبرنامج طموح وجريء للإصلاح الاقتصادى جعل الاقتصاد المصرى يحقق معدلات نمو يتم تصنيفها بين الأعلى على مدار 11 عاماً. وهو أمر إيجابى وغاية فى الأهمية، خاصة وأن هذا المعدل تم تحقيقه فى خضم تحديات اقتصادية داخلية وخارجية ومخاطر ليست بالهينة. وقد أهّل ذلك مصر لأن تحتفظ - من بين بلدان قليلة - بمعدل نمو إيجابى، لكنه نتيجة للأزمة سيكون أقل مما تحقق فى السابق. وسوف تعمل مصر من الآن على عدة جبهات:

1. جبهة مكافحة الوباء بالمقاومة بالأمصال المضادة كلما توفرت، وبالعلاج، وبالعزل الجاد والكامل للحد من انتشاره.

2. جبهة مواجهة الآثار الاقتصادية للجائحة. وفى هذا اعتمدت «موازنة مبدئية» بمبلغ 100 مليار جنيه لمواجهة الآثار السلبية للوباء، وتوفير دعم مالى لمن فقدوا وظائفهم. كما خصص البنك المركزى 100 مليار أخرى لتبنى إجراءات تنشيط ومساندة الأسواق والمشروعات والأفراد المتعثرين فى السداد.

3. التعاون مع التنظيمات الدولية والإقليمية لمواجهة الآثار الاقتصادية السلبية للوباء. وفى هذا تتفاوض مصر مع صندوق النقد الدولى للحصول على قرض لدعمها ماليا. خاصة وأن هذا النوع من الدعم يتم بصورة أسهل وأقل تكلفة عن غيره من المصادر.

4. مواصلة تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادى الذى أثبت أنه كان طوق النجاة للاقتصاد المصرى والذى مكننا من مواجهة الأزمة بأفضل مما هو متاح لغيرنا. وبأفضل سبيل تمتلكه مصر.

إستراتيجية احتواء (كوفيد - 19)

دروس من آسيا

اكتشـــف أول مريض بفيروس كورونا المســـتجد (كوفيد - 19)، وفقاً لمنظمة الصحة العالمية، فى 8 ديسمبر 2019 فى مدينة ووهان عاصمة إقليمHubi بالصين.

وقد صمدت الصين أمام العديد من نظريات المؤامرة والتقارير والأخبار المزيفة التى تداولتها وســـائل التواصل الاجتماعى حـــول العالم، والتى تدعى أن الأمر يتعلق بفـــيروس «مخلق»، وإمكانية وجود صلات لذلك بتطوير ســـلاح بيولوجى، خاصةً بعد تفشى الوباء فى الصـــين. ومن جانبه اتهم الجانب الصينى (مســـئول بالخارجية) الجيش الأمريكى بأنه من جلب الفيروس إلى ووهان، الأمر الذى نفاه السفير الصينى فى واشنطن.

وآخر مـــا تداولته وســـائل الإعلام الأمريكية فى هذا الشأن تصريحات لمدير المعهـــد الوطنى الأمريكى للحساســـية والأمراض المعدية، أنتونى فاوتشى رفض فيها إصرار الرئيـــس الأمريكى دونالد ترامب، ووزيـــر خارجيته مايك بومبيو على ربط الفـــيروس بالصين، مؤكداً أنه لايوجد «دليل» على أن الفيروس جاء من مختبر صينى، وأن كل الدلائل تشير إلى أن كورونا لم تصنع فى مختبر فى الصين، مضيفـــاً «إذا نظرت إلى تطور الفيروس فى الخفافيش، وما هو موجود، فالدليل العلمى يميل بقوة شديدة لذلك، وأنه لم يكن بالإمكان التلاعب به بشكل مصطنع أو متعمد. كل شيء يشير بقوة إلى تطور الفيروس فى الطبيعة ثم انتقاله إلى أنواع حيوانية أخرى».

والحقيقـــة أن تصريحات فاوتشى، والتـــى تؤيدها أجهزة الاســـتخبارات والأمن الأمريكية، قد أفشـــلت محاولات إدارة ترامب تسويق نظريته الهادفة إلى ربط الفيروس بالصين ومسئوليتها عن تفشيه، وبالتالى تحملها لتبعات ذلك من الناحية القانونية من تعويضات يطالب بها ترامب.

والواقـــع أن هناك قناعة بأن الصين وكل دول العالـــم الأخـــرى، فوجئت بالفيروس، وبالتالى لم تتعامل معه على المســـتوى المطلوب مـــن البداية. ووفقاً لمصادر الحكومة الصينية، اســـتغرق الأمر نحو أسبوعين أو أكثر تبادلت فيهما الصين معلومات مفصلة حول الفيروس الجديد مع منظمة الصحة العالمية، بما فى ذلك التطـــور الجينى له – وقد نبَهت الصين منظمة الصحـــة العالمية وبلداناً أخرى، بعد أن تأكدت السلطات من أن الفيروس يمكن أن ينتقل من إنسانٍ إلى آخر.

ووفقاً للدراسات التى أعدتها بعض

سفير د. عزت سعد

saad.ezzat@gmail.com

الجامعات الغربية، فإنه إذا كانت الصين قد تدخلت للتعامل مـــع الفيروس قبل أســـبوع أو اثنين أو ثلاثة مبكراً، كان يمكن أن تقلل من حالات الإصابة بنسبة 66٪ و86٪ و95٪، عـــلى التوالي(1). وقد دافعت الصين عن ســـلامة موقفها بالتأكيد على أنه لم تتوافر لديها ســـوى معلومات محـــدودة جداً حول الفيروس الجديد، وأن هناك عملية أطلقت للكشف وتحديد هذا النوع من الفيروس الجديد فور اكتمال المعلومـــات حوله. وكانت وســـائل الإعلام العالمية قـــد أبرزت ما نقـــل عن الطبيـــب Li Wenliang من مستشفى ووهان المركزى، من أن هناك إمكانية لتفشى وباءٍ ما بســـبب فيروس جديد يشـــبه SARS، حيـــث تداولت وســـائل التواصل الاجتماعى فى الصين والعالم ذلك، الأمر الذى نفته السلطات المحليـــة والتى اســـتدعت الطبيب فى 3 يناير 2020 بدعـــوى «نشر تخمينات مزيفة»(2). وللأســـف تـــوفى الطبيب المذكور بعد إصابته بالمرض فى 7 فبراير عن عمر 34 عاماً. ولقيت وفاته إدانات واسعة وإحباطاً تم التعبير عنه فى عموم الصين، خاصةً وأنه أعلن عن اكتشـــاف الوبـــاء المميت(3). وقـــد قدمت شرطة ووهان لاحقاً، فى 19 مـــارس، اعتذاراً لأسرة الطبيب «لي»(4).

وبحلـــول 7 يناير 2020 كان قد تم التعـــرف على الفيروس باســـم كورونا الجديد المعدى. وعلى وجه السرعة أقرت الحكومة الصينيـــة تدابير عديدة للمنع والسيطرة وأطلقت حملة مكثفة منسقة وشاملة لهزيمة الفيروس.

والملاحظ هنا أنه بالرغم من حقيقة أن الأزمة عالمية بامتياز، إلا أن تجاوزها والتعامل معها هو شأن وطنى فى المقام الأول. ومما يؤكد هذه الحقيقة أن الأمم المتحدة غير قادرة على اتخاذ أية قرارات ملزمة للتعامل مع الوباء، بسبب التباين فى المواقف حول اســـم الفيروس، والذى أدى إصرار الولايات المتحدة على تسميته بـ«فـــيروس ووهـــان» أو«الفـــيروس الصيني» إلى فشـــل مجلـــس الأمن فى إصدار قرار حول التعاون الدولى لمواجهة الوباء، على الأقل حتى كتابة هذا المقال، وللسبب ذاته فشـــلت مجموعة الدول السبع الصناعية الكبرى فى إصدار بيان عن اجتمـــاع وزراء خارجيتها فى مارس الماضى. ومن جانبها، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارين غير ملزمين أحدهمـــا فى 2 إبريل المـــاضى (القرار 270 / 74) بشـــأن «التضامن العالمى لمكافحة الوبـــاء»، بينما صدر الثانى فى 20 إبريل (القـــرار 274 / 74) حول « التعاون الدولى لضمـــان النفاذ العالمى للأدوية واللقاحات والمعـــدات الطبية لمواجهة الوباء».

من ناحيـــةٍ أخرى، فشـــلت جميع المحاولات، التى تمت بنشاط دبلوماسى روسى مكثف بالتنسيق مع دول أخرى، لاســـتصدار قرارات برفـــع العقوبات الأحادية المفروضة على العديد من الدول من قبـــل الولايات المتحـــدة الأمريكية، لمعاونتها على التصدى للوباء.

وهكذا فالمقاربة الواقعية للأزمة للكشف عن حقيقة أنه بالرغم من كونها قضية عالمية، إلا أن حلها يتم على الصعيد الداخلى لكل دولة.

إستراتيجية تعامل الصين ودول آسيا الأخرى مع الفيروس:

جاءت الصين، وبلدان آسيا الأخرى لاسيما كل من كوريا الجنوبية وسنغافورة وتايوان واليابان، فى مقدمة الدول التى تمكنت بالفعل من السيطرة على الوباء بفضل إدارتها الحازمة للأزمة وخطتها الشاملة والصارمة للسيطرة على منافذ الدخول والخروج من وإلى المناطق المصابة. وفى هذا السياق، أبرز ظهور الوباء ضرورة وجود حكومة متماسكة وفعّالة لديها قدرات عالية فى صنع القرار ومواجهة التحديات بحكمة.

ولقد آن الأوان للاعتراف بأن تجربة بلدان آسيا، خاصة الصين بحكم كثافتها السكانية وكونها الأولى التى اكتشف فيها الوباء، فى التعامل مع فيروس كورونا المستجد هى تجربة مليئة بالدروس الملهمة التى يجب أن تستفيد منها الدول الأخرى. فقد استطاعت هذه الدول السيطرة على الوباء واحتوائه، ثم الانتقال إلى مرحلة البدء التدريجى فى النشاط الاقتصادى والتعايش مع الفيروس بل والاستعداد لموجة ثانية محتملة له. ولعل العاملين الرئيسيين لنجاح جهود تلك الدول فى مواجهة الوباء هما:

1 – استخدام أدوات غير تقليدية لمواجهة تفشى الوباء، مستفيدة فى ذلك من تقدمها العلمى المذهل فى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بما فيها استخدام البيانات الضخمة Big Data فى الكشف المبكر عن الحالات واستخدام الذكاء الاصطناعى فى التشخيص والمراقبة الشاملة(5). والنقطة الأهم هنا أن الصين استخدمت هذه البيانات العملاقة فى مواجهة المرض مبكراً، كما اعتمدت على نظم الذكاء الاصطناعى فى عمليات التشخيص والعلاج والمراقبة وتقديم النصائح وفرض النظام، معتمدة فى ذلك على البرمجيات التى تستخدم الذكاء الاصطناعى والروبوتات والطائرات المسيرة.

والحقيقة أن تقدم الصين فى مجال المعلوماتية ونجاحها فى استخدامها فى مكافحة الوباء يظل – فى تقدير محللين كثيرين – مصدر إزعاج كبير للولايات المتحدة التى لا ترغب قيادتها وبعض وسائل إعلامها فى الاعتراف بالنجاح الصينى فى ظل العدد المتزايد من الأمريكيين المصابين بالمرض والذين قضوا بسببه، ربما للإبقاء على الانطباع بأن الصين هى من تسبب فى انتشار الوباء.

ويحلو لبعض الكتاب الغربيين الحديث عن ما يسمى بـ«الاستبداد الرقمى» والادعاء بأن دولة كالصين قامت ببناء نظام شامل للمراقبة المحلية يمكن أن يستخدم للقمع الشعبى. وللأسف فإنه فى الوقت الذى يحصد فيه الوباء أرواح مئات الآلاف من الأمريكيين فى ظل إدارة مرتبكة ومتخبطة للأزمة، رغم الإمكانات التكنولوجية الهائلة لدى الولايات المتحدة الأمريكية، لايعترف قادة الغرب ونخبته السياسية وبعض وسائل إعلامه، بحقيقة أن البلدان التى احتوت الوباء بشكل أفضل، بما فيها كوريا الجنوبية وسنغافورة وتايوان، لايجمعها نظام سياسى واحد، وإنما العامل المشترك الأكثر أهمية هو الاعتماد على التكنولوجيا الرقمية فى مكافحة الوباء ابتداء من التعرف على المرضى وفرز المرضى من الأصحاء، والحد من انتشار الفيروس، واستئناف بعض الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية بعناية.

وتجدر الإشارة إلى أن مجلس الشيوخ الأمريكى قد بدأ فى 9 إبريل الماضى، أى بعد أكثر من ثلاثة أشهر على تفشى الوباء، فى عقد جلسة استماع لمناقشة مسألة «استخدام البيانات الضخمة فى مكافحة فيروس كورونا». ويقدر محللون أمريكيون أن الولايات المتحدة لن تكون قادرة على الاستفادة من مثل هذه الأدوات الرقمية، ما لم تتمكن من تبنى سياسات متأنية ومنسقة جيداً لنشرها بفاعلية وتنظيمها، إلا أن اللحظة الحالية تمثل واحدة من حالات عدم الاتساق فى الحكم فى الولايات المتحدة. (6)

2 – أما العامل الآخر، والذى أراه الأكثر أهمية وراء نجاح الصين، بصفة خاصة، فى محاصرة الوباء واحتوائه، فيتعلق بثقافة الانضباط لدى الشعب الصينى وميله إلى العمل الجماعى. وفى هذا السياق أشار شهود عيان إلى أن التدابير التى اتخذتها الصين، خاصة فى «ووهان» حيث اكتشف الوباء، اتسمت بالقسوة والصرامة، وأنه من أجل وقف تفشى الوباء شنت الصين واحدة من أكبر حملات الحشد الجماعية فى التاريخ، مغلقة جميع المدارس والمؤسسات التعليمية وأجبرت ملايين الناس على التزام منازلهم لشهرين أو أكثر كما بَنَت عشرات المستشفيات المؤقتة على وجه السرعة ونشرت الآلاف من الفرق الطبية فى إقليم «هوباي» حيث تقع مدينة ووهان(7). وإجراء اختبارات مكثفة وتعقب لأى شخص – أيًا كان– قد يكون أصابه الفيروس. بل إنها فعلت أكثر من ذلك، حيث نفذت عمليات عزل واسعة وحظراً صارماً للتجمعات والمزيد من عمليات الحجر الصحى والاختبار وغسل الأيدى، والذهاب إلى حد عزل الناس بأعداد ضخمة فى ملاعب كرة القدم، وقاعات المعارض الكبيرة.

ووفقاً لتقديرات عديدة، صينية وغربية، جاءت استجابة الصين للجائحة على المستوى الوطنى بأسره واتسمت بالتلقائية والشمول والتنسيق الوثيق، وهو ما جعلها قادرة على إبطاء معدلات الإصابات إلى مستوى الصفر تقريباً. وقد استهدفت تدابير العزل الاجتماعى الإبقاء على عدد الإصابات بالوباء تحت السيطرة بالنسبة للمستشفيات والفرق الطبية الذين سيجدون أنفسهم أمام

أعداد لا قبل لهم بها. وفى هذا السياق، وتحت سياسة «صفر اتصال» أو Ling Jiechu (باللغة الصينية)، شكلت الحكومة الصينية والحكومات المحلية لجاناً فى كل حى للتسوق وتوصيل الطلبات للمنازل فى الحى.

والحقيقة أنه بالنسبة لنا هنا فى مصر، وربما فى مناطق كثيرة حول العالم، فإنه بالرغم مما تبذله الحكومة من جهود مضنية للتعامل مع الوباء، خاصةً فى ضوء تداعياته الكارثية على الاقتصاد المصرى، كما الاقتصادات الأخرى، إلا أن تجاوب المواطنين مع ضوابط وإرشادات وتعليمات الحكومة للسيطرة على الوباء، لاسيما التباعد الاجتماعى وارتداء الأقنعة، لم يكن بالقدر الكافى حيث لم يشأ البعض هنا أن يتخلى عن بعض العادات والتقاليد، خاصةً خلال شهر رمضان المبارك، من أجل حماية الصحة العامة التى هى قضية أمن قومى بامتياز. وهناك أمثلة لاتحصى على عدم الالتزام، بل والتسيُّب والاستهتار، من قبل العديد من المصريين من مختلف الشرائح الاجتماعية فى طول البلاد وعرضها.

وبالنسبة للولايات المتحدة، يشير هنرى كيسنجر فى مقاله الشهير حول الجائحة (كورونا سيغير النظام العالمى إلى الأبد) والذى نشرته صحيفة «وول ستريت جورنال» (نحن فى دولة مقسمة وبالتالى، ومن الضرورى وجود حكومة فعالة بعيدة النظر للتغلب على العقبات والتحديات غير المسبوقة من حيث الحجم والنطاق العالمى. فالحفاظ على ثقة الجمهور أمر حاسم للتضامن الاجتماعى، وترابط المجتمعات ببعضها البعض...). ويضيف كيسنجر (تتماسك الأمم وتزدهر عبر الإيمان بأن مؤسساتها قادرة على توقع الكارثة ووقف تأثيرها واستعادة الاستقرار). واتصالاً بما أشار إليه كيسنجر من (أننا أمة مقسمة)، كتب «بول كروجمان» فى صحيفة «نيويورك تايمز» فى 10 إبريل 2020 تحت عنوان « الديمقراطية الأمريكية تحتضر... مهزلة الانتخابات الرئاسية» معلقاً على إصرار المحكمة العليا الأمريكية على أن تتم الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطى فى ولاية «ويسكنسن» بحضور الناخبين وليس عبر البريد رغم المخاطر الصحية التى قد يتعرضون لها، لاعتبارات تتعلق برغبة الحزب الجمهورى فى إسقاط حاكم الولاية الديمقراطى، ذلك أن إغلاق الولاية كان له تأثير كبير للغاية على التصويت فى المناطق الحضرية ذات الميول الديمقراطية، والتى تم إغلاق غالبية مراكز الاقتراع فيها. ولذا فقد تم استغلال الوباء من قبل الجمهوريين بشكل مخجل لمنع من يحتمل أن يصوتوا ضدهم من التصويت. ويضيف كروجمان «إن الجمهوريين المعينين فى المحكمة العليا الأمريكية كانوا وراء قرارها بالإصرار على التصويت بحضور الناخبين، وأن هؤلاء يدعمون جهود الحزب الجمهورى الحاكم لبذل ما فى وسعه للتمسك بالسلطة حتى ولو كانت غالبية الناخبين لا يريدون ذلك»، مضيفاً، نقلاً عن الرئيس ترامب: «إذا سمحنا بالتصويت المبكر والتصويت بالبريد، فإنه لن يكون هناك أى جمهور منتخب فى هذا البلد مرة أخرى». ويخلص الكاتب إلى القول «بأنه بالرغم من أن التباعد الاجتماعى قد يبطئ من انتشار فيروس كورونا المستجد، فإنه من المؤكد أن عشرات الآلاف من الأمريكيين سيموتون بسبب هذا الفيروس فى الأشهر المقبلة» مضيفاً أنه من المحتمل جداً أن يفوز ترامب فى نوفمبر المقبل بفضل قمع الناخبين على نطاق واسع.

والواقع أننى رأيت الإشارة إلى الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطى فى ولاية أمريكية كمثال على سوء إدارة أزمة الوباء فى الولايات المتحدة، حيث لا يمكن إطلاقاً الدفع بأن الديمقراطية والحريات العامة لها الأولوية فى هذا الشأن. ذلك أن كل الاتفاقات الدولية لحقوق الإنسان ترخص للدول بفرض الطوارئ وتعطيل كل الحقوق والحريات العامة – مع بعض الاستثناءات والضوابط بطبيعة الحال – فى حالة الحرب أو الخطر العام الذى يهدد حياة الأمة، وهو ما ينصرف إلى وباء كورونا بالقطع.

فى ضوء هذا التخبط فى إدارة الأزمة وتسييسها، بات ارتداء «قناع الوجه» أو رفض ارتدائه نقطة صدام بين السلطات فى ولاية أمريكية عديدة والمواطنين، خاصةً مع الابتعاد عن الإغلاق وخروج الأمريكيين إلى الأماكن العامة رغم تفشى الوباء. وتصف صحيفة نيويورك تايمز فى عددها الصادر فى 4 مايو الجارى، قرارعدم ارتداء «الكمامة» بأنه أصبح تمرداً ضد ما يعتبره المواطنون توغلاً فى حرياتهم الشخصية. وتضيف «وبالنسبة لكثيرين آخرين، يتعلق الأمر بالراحة وليس بالسياسة. ويمكن أن يكون القرار أيضاً انعكاساً للغرور أو عدم الفهم متى وأين يرتديها». فقال بعض الأشخاص «أنهم وجدوا الأقنعة غير مريحة».

وقد خرجت مظاهرات عديدة فى ولايات ميتشيجان وكاليفورنيا وغيرهما، توجه بعضها للبرلمانات المحلية وبها أشخاص مسلحون، اقتحموا قاعات الاجتماعات للمطالبة بوقف الصلاحيات الاستثنائية الممنوحة لمواجهة الفيروس. وقد أشارت وسائل الإعلام الأمريكية إلى أن أغلب هؤلاء من أنصار الحزب الجمهورى والرئيس ترامب، وذهب بعض المحتجين إلى وصف بعض حكام الولايات بالزعيم النازى أدولف هتلر.

والحال على ما تقدم بالنسبة للثقافة الأمريكية، لابد من التأكيد على الإرث الثقافى الفريد للأمة الصينية والذى ساهم فى مواجهة الجائحة بجهد جماعى موحد عكس ثقة المواطن بالنظام الحاكم. ذلك أنه لا يمكن إنكار حقيقة أنه بحكم التاريخ والجغرافيا هناك تماسك أكبر

فى منظومة القيم والأهـــداف فيما بين الصينيـــين، بالمقارنة بتلك الموجودة بين الأمريكيين. وفى تقديـــر بعض الكتاب الأمريكيين أن ذلك يرجع أساساً إلى أنه لا يوجد فصل بين مـــا هو عام وما هو خاص فى الصين. فالأمر يتعلق بمنظومة قيم عقلية تقليدية تعمل فى إطارها كافة الأنشطة الوطنية (السياسة والاقتصاد والتجارة والتعليم والتكنولوجيا والقطاع العسكري... إلخ) وذلك على نحو متكامل وكفء ومنســـق لتحقيق غايات واحدة. ويضاف إلى ذلك، فى تقدير هؤلاء الكتاب، حقيقة أن الكنفوشيوســـية تقر احتراماً للطبقية والســـلطة فيما بـــين الأفراد الصينيين، بينما يتزايـــد توجه الثقافة الأمريكية نحو تفكيك الســـلطة لصالح تكريس الفرديـــة(8). ولا يجادل أحدٌ فى اعتزاز الصينيين بوطنهم وكفاءتهم غير العادية فى العمل واهتمامهم الكبير بالتفاصيل.

وما ينبغـــى تأكيده هنا هو أنه كلما تصاعدت اللهجة العدائية الغربية ضد الصين وتحميلها مســـئولية أى مساوئ تحدث فى العالـــم، وآخرها وباء كورونا المســـتجد، كلما ازداد الشعب الصينى تمســـكاً بقيادته التـــى، والحال كذلك، تستدعى الشعور القومى لدى المواطنين كخيار لابد منه لمواجهة الخارج المتربص بالصين.

والخلاصة هى أن المنافسة المستمرة بين الولايات المتحـــدة والصين تتزامن مع أزمة سياســـية – ثقافية للغرب فى مواجهة صعود الشرق. وليس بوســـع أحد المجادلة فى حقيقـــة أن إدارة أزمة كورونا تقدم مثـــالاً واضحاً على نجاح الصين وفشـــل الولايات المتحدة، وليس فقط لاعتبارات تتعلق بثقافة الشـــعب الصينـــى، بل وأيضاً الـــدور المحورى الذى قام به ترامـــب فى إرباك معالجة الأزمة ونهج إدارته فى التعامل معها منذ البداية، والذى اتسم بالتباطؤ والتخاذل، والتركيز على الاقتصاد، وتهميش طبيعة الأزمة باعتبارها أزمة صحية تحتاج إلى الاهتمام الواجب.

والواقـــع أن أغلب الدول الأوروبية التى تأثرت بشـــدة بالوباء قد اعتمدت بعض، وليـــس كل، التدابير الاحترازية التى اتخذتها الصين، خاصة فرنســـا وإيطاليا، أمـــا بالنســـبة لمصر، فقد انخرطت فى تعاون بناء مع الصين منذ بدايات الأزمة وحتى الآن، حيث بعثت بشـــحنتين من المعدات والمســـاعدات الطبية الضرورية للصين وقت اشتداد الأزمـــة، وربما كانت الســـيدة وزيرة الصحة المصرية هى المســـئول الوحيد على هذا المســـتوى الذى زار الصين فى ذروة حملتها لمواجهة الوباء، وفى وقت تعرضت فيـــه بكين لحملـــة إعلامية غربية تنبأ فيها البعض بنهاية الحزب الشيوعى وانهيار المعجزة الاقتصادية الصينية. ومن جانبها تقف الصين مع مصر فى حملتها لمكافحة الوباء ســـواءً بالمساعدات أو بتبادل الخبرات.

والحقيقة أن هذه الحرب الإعلامية المستمرة بين واشـــنطن وبكين، والتى يركز فيها ترامب على تســـوية العجز الهائـــل فى الميزان التجـــارى فى غير صالح الولايات المتحدة، تخفى المصدر الرئيـــسى للتوترات بينهمـــا والمتمثل فى نقـــل التكنولوجيـــا وتدفق المعرفة فيما بين الـــدول، حيث تعتبر الولايات المتحـــدة نجاح الصين فى اســـتيعاب التكنولوجيـــا المتقدمـــة فى مجـــال المعلومات والاتصـــالات والتفوق فيها، واستخدامها على نحو أمثل كما رأينا، هو إهانة غير عادلة للقدرة التنافسية الاقتصادية للولايات المتحدة ومكانتها الجيوسياسية.

المراجع:

(1) من ذلك على سبيل المثال جامعة ساوث هامبتون – راجع :
University of Southampton,– March,11,2020، Early and Combained Interventions Crucial in Tackling Covid –19 Spread in china، http://www.southampton.ac.uk/news/2020/03/covi –19 –china

(2) Hero who told the Truth Chinese Rage over Coronavirus Death of Whistleblower Doctor، February 7,2020، http://www.theguardian.com/global –development/ 2020/feb/07/ coronavirus –chinese –rage –death –whistleblower –doctor –li –we.

(3) المرجع السابق.

(4) Coronavirus –Wuhan Policy Apologies to Family of whistle blowing Doctor Li Wenliang، March 19,2020، http://www.scmp.com/news/china/society /article/ 30j5984/ coronavirus –wuhan –local –police –blamed –mishandling –case –whistle.

(5) Mira Rapp –Hooper&Samm Sacks: Technology Can Help Solve the Coronavirus Crisis if Government Steps Up –Foreign Affairs، April4,2020.

(6) المرجع السابق.

(7) Kim Hjelmgaard، Eric J.Lyman and Deirdre Shesgreen: This is what China did to beat Coronavirus Experts say America Couldn't Handle it,USA Today ,April 4,2020: http://www.usatoday.com/story/news/world/2020/04/01/coronavirus –cobvid –19 –china –radical –measures –lockdowns –mass –quarantines/2938374001/ .

(8) Robert D. Kaplan: America Must Prepare for the Coming Chinese Empire، The National Interest June، 17,2019.

أحزان اليمن السعيد والسلام المنتظر

عاش اليمن على مدى السنوات الخمس الأخيرة حالة من الحرب المدمرة لكل شيء، البنية الأساسية والمرافق والمستشفيات والمنشآت الحكومية، وقتل الآلاف من اليمنيين من كل الأطياف رجالاً ونساءً وأطفالاً، والقتل إما بالأسلحة أو بالأمراض المختلفة، وتدمير وتعطيل معظم الموارد الاقتصادية اليمنية وهى أساسًا فقيرة، وتدهور كافة أحوال الشعب اليمنى اقتصاديًا واجتماعيًا وصحيًا وتعليميًا وأمنيًا ونفسيًا، واضطرار آلاف اليمنيين إلى الهروب لجوءًا للخارج فى الدول المجاورة والبعيد هروبًا من الموت قتلاً أو مرضًا والبحث عن فرصة أفضل للحياة.

سفير رخا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

وكانت قيادة التحالف لدعم الشرعية فى اليمن قد قدمت استعادة السيطرة وإنهاء الأزمة فى غضون ثلاثة أشهر من بدء العمليات العسكرية ضد الحوثيين ومؤيديهم، ولكن العملية امتدت شهرًا بعد شهر وسنة بعد أخرى ودخلت الآن فى عامها السادس والموقف يزداد سوءًا وتدهورًا، لأن الحرب لم تكن ولم تعد بين الأطراف اليمنية فقط، وإنما هى صراع بين قوى إقليمية وأخرى دولية، وأصبحت الأزمة اليمنية مرتبطة بأزمات أخرى ضالعة فيها نفس الأطراف الإقليمية والدولية المتصارعة على أرض اليمن.

وأصبح الشعب اليمنى يتطلع إلى بارقة أمل لإنهاء هذه الحرب العبثية التى دمرته ودمرت بلده لحساب آخرين، وكلما لاحت فى الأفق مبادرة لتسوية الأزمة تسوية سياسية بمشاركة جميع الأطراف اليمنية، سارع من يجهضها إما من داخل اليمن يدفع من الخارج، وإما من الخارج الذى يربط حل الأزمة اليمنية بأزمات أخرى.. وتعددت المبادرات، وتعدد المبعوثون الأمميون إلى اليمن وآخرهم الآن المبعوث الخاص مارتن جريفيت والذى يحاول منذ توليه مهمته أن يضع إطارًا لحل الأزمة اليمنية حلاً سياسيًا بعدما اتضح للجميع على مدى خمس سنوات انه لا حل عسكريًا للأزمة مهما طالت الحرب.

وقد بدأت المحاولة، أو المبادرة الجديدة بتوجيه الأمين العام للأمم المتحدة نداء يوم 52 مارس 0202 إلى كل المتحاربين فى اليمن لوقف الأعمال العدائية على الفور، والتركيز فى العمل على التوصل إلى تسوية سياسية عن طريق المفاوضات، وبذل كل جهد ممكن لمواجهة وباء فيروس كورونا المستجد «كوفيد 91».

كما دعا الأمين العام لجامعة الدول العربية الدول الأعضاء فى الجامعة إلى اغتنام قرار تحالف دعم الشرعية فى اليمن وقف العمليات العسكرية من أجل حل النزاع اليمنى، مطالبًا الحوثيين بإظهار الالتزام والتجاوب مع المبادرة التى تمثل فرصة نادرة لوقف نزيف الدم فى اليمن.. وكانت القوات المشتركة لتحالف دعم الشرعية فى اليمن قد أعلنت، من جانب واحد، يوم 8/4/0202، وقفًا شاملاً لإطلاق النار لمدة أسبوعين «قابلين للتجديد» بدءًا من فجر الخميس 9/4/0202، مؤكدة أن الفرصة مهيأة لتضافر الجهود وكافة للتواصل إلى وقف شامل ودائم لإطلاق النار فى اليمن، وأن الهدف هو تهيئة الظروف الملائمة لتنفيذ دعوة المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة بعقد اجتماع بين الحكومة الشرعية والحوثيين وفريق عسكرى من التحالف تحت إشراف المبعوث الأممى، وذلك لبحث مقترحات بشأن خطوات وآليات تنفيذ وقف إطلاق النار بشكل دائم فى اليمن، وخطوات بناء الثقة الإنسانية والاقتصادية، واستئناف العملية السياسية بين الأطراف اليمنية للوصول إلى مشاورات بينهم للتوصل إلى حل سياسى شامل فى اليمن.. وأوضحت أن قرار وقف إطلاق النار من جانب قوات التحالف بناء على قبول الحكومة اليمنية الشرعية دعوة الأمين العام للأمم المتحدة لوقف إطلاق النار وخفض التصعيد واتخاذ خطوات عملية لبناء الثقة بين الطرفين، وأن هذه المبادرة من جانب التحالف امتداد لمبادرات سابقة لدفع الأطراف إلى حل سياسى ينهى الصراع ويخفف المعاناة على السكان، ويؤكد استجابة السعودية للأمم المتحدة فى ظل الظروف الصعبة التى تعيشها معظم دول العالم بسبب انتشار وباء فيروس كورونا المستجد والمخاوف من وصوله إلى اليمن.

وكان المبعوث الأممى لليمن مارتن جريفيت قد صرح يوم 01/4/0202 أنه أرسل مقترحات باتفاقيات إلى الأطراف اليمنية وذلك فى سياق مساعيه لإيجاد حل للأزمة اليمنية، منتهزًا الظرف العالمى والمخاطر التى أفرزها فيروس كورونا المستجد، وأن هذه المقترحات تشمل الآتى:

- مقترحات الأمم المتحدة المحدثة حول وقف إطلاق النار يشمل عموم اليمن.
- مقترحات بعدة إجراءات اقتصادية وإنسانية لتخفيف معاناة اليمنيين، وبناء الثقة بين الأطراف.
- دعم قدرة اليمن على التصدى لتفشى فيروس كورونا المستجد.
- استئناف المفاوضات بشأن العملية السياسية.

وقال جريفيت إن المقترحات التى أرسلها متوازنة وتعبر عن المصالح الأساسية لكل الأطراف إلى أقصى حد ممكن، كما تمثل حزمة واقعية وشاملة، ويمكن اليمن من الابتعاد عن العنف ومعاناة الماضى، واتخاذ خطوة تاريخية نحو السلام، وحث الحكومة والحوثيين على قبول هذه المقترحات من دون تأخير، والبدء فى العمل معًا من خلال عملية سياسية رسمية لإنهاء الحرب بشكل شامل، وأن المجتمع الدولى مستعد لتقديم الدعم والضمانات لتلك العملية، وأن وقف القتال بشكل عاجل أصبح أمرًا مصيريًا شديد الأهمية بعد ظهور أول حالة إصابة بفيروس كورونا فى اليمن.. وأن مبادرته هذه جاءت بعد نقاش مع الأطراف ومجموعة يمنية متنوعة وانه تلقى ردود فعل وتعليقات من الحكومة اليمنية والحوثيين على تلك المقترحات، وأعرب عن أمله فى عقد اجتماع افتراضى «بوسائل الاتصال الحديثة» عبر الإنترنت لجميع الأطراف فى أقرب وقت ممكن للاتفاق على المقترحات المشار إليها.

وقد صرح الأمين العام لجامعة الدول العربية بأن المقترحات التى قدمها المبعوث الأممى مارتن جريفيت، تعد فرصة حقيقية لا ينبغى تضييعها، وأن قرار وقف إطلاق النار من جانب التحالف لدعم الشرعية فى اليمن، لاقى ترحيبًا من كل أطياف الشعب اليمنى.

ويلاحظ أن الحوثيين لم يعلنوا رسميًا موافقتهم أو التزامهم بوقف إطلاق النار الذى أعلنته قوات التحالف والحكومة الشرعية وذلك حتى 12/4/0202، بل إنهم وصفوا المبادرة من جانب قوات التحالف والحكومة اليمنية بأنها لا تعدو أن تكون إحدى المناورات السياسية التى تقوم بها قوات التحالف وإنها

ليست صادرة عن نية صادقة ورغبة حقيقية فى وقف إطلاق النـــار ووقف القتال وانه من الأحرى أن يصدر مجلـــس الأمن قرارًا ملزمًا بوقف القتال فى جميع أنحاء اليمن، وقالوا إن قوات التحالف لـــم توقف هجماتها على عدة مواقع رغـــم ما تزعمه من إعلان وقف إطلاق النار. واشترط الحوثيون ما يلى للموافقة على مبادرة المبعوث الأممى جريفيت:

- وقف جميع العمليات القتالية فى جميع أنحاء اليمن.
- إلغـــآء الحظر المفـــروض على مطار صنعاء.
- رفـــع الرقابة المفروضـــة على الموانئ الخاضعة لجماعة الحوثيين.

وأوضحوا أن هذه الـــشروط من وجهة نظرهم هى الســـبيل الوحيد للشروع فى أى نقـــاش يكون فى ظل ظـــروف آمنة وهادئة، واتهموا مجلس الأمـــن بأنه يجارى التحالف بدلاً من أن يصدر قرارًا بوقف القتال، ورفع الحصار الجائر عليهـــم، وتوعدوا بالتصدى للاعتداءات عليهم بكل ما أوتوا من قوة.

وقد تفاوتـــت الآراء إزاء موقف الحوثيين وعلاقتهم بإيران التـــى تدعمهم بقوة، فثمة من يرى أنهم تابعين لإيران تبعية كاملة، ومن يرى أنها تبعية جزئية ولكنها بنفس القرارات الحاســـمة فى القضايا الأساسية فى يد إيران خاصة فيما يتصل بالتحكـــم فى الصواريخ الباليســـتية والطائرات المســـيرة «الدرون»، وآخرون يرون أن جماعة الحوثيين تملك قرار الاختيار وأن علاقاتها مع إيران تكميلية! وأن بإمكانهم الابتعاد عن إيـــران والاقتراب من الســـعودية فهى الأقرب لهم كما أن العلاقات معها أقل اشكالية من علاقاتهم مع إيران على المستويين الإقليمى والدولى، ويرون أن اهتمام إيران بهم هو فى إطار صراعها مع السعودية، وأنه أصبح أمـــام الحوثيـــين المفاضلة بين الاســـتجابة لتوحيد جهود الأطراف اليمنية من أجـــل التركيز على العمـــل للتوصل لحل سلمى من ناحية ولمواجهة جائحة كورونا من ناحية أخرى أو ترك اليمنيين فريسة للصراع وجائحـــة كورونا، وأن اســـتمرارهم فى عدم الالتزام بوقف إطلاق النار والتصعيد سيبقى الموقف يدور فى حلقة مفزعة.

وترى الحكومـــة اليمنيـــة الشرعية أن مبادرة التحالف تؤكـــد النهج الذى أتى على اثره هـــذا التحالف، وهو تحقيق الســـلام القائم على إنهاء الانقلاب فى اليمن، واستعادة الشرعية، وتتهم الحوثيين بعدم الالتزام بأى هدنة منذ عـــام 5102 حتى الآن، وعليهم أن يثبتوا عكس ذلك وعدم تمسكهم بعقيدتهم فى نظرية الولاية الحصرية على الشعب اليمنى، واعتمادهـــم على التمويـــل الإيرانى الضخم بالمال والســـلاح، وتعتـــبر الحكومة مجلس التعاون الخليجى أكبر الداعمين لليمن حيث تقدر قيمة المســـاعدات التى قدمها منذ عام 5102 نحو 31 مليـــار دولار أمريكى، كما أن الســـعودية أعلنت استضافة مؤتمر رفيع المســـتوى لإعلان خطة الاستجابة لليمن لعام 0202 برئاسة مشتركة مع الأمم المتحدة، وأن السعودية ستقدم 005 مليون دولار أمريكى منهم 52 مليون دولار للمساعدة فى مواجهة انتشار جائحة كورونا.

وتتمســـك الحكومة اليمنيـــة الشرعية بالســـلام المرتكز على المرجعيات الأساســـية وهى:

- المبادرة الخليجية للسلام فى اليمن وآلية تنفيذها.
- مخرجـــات مؤتمر الحـــوار الوطنى اليمنى.
- القـــرارات الأمميـــة ذات الصلة وفى مقدمتها قرار مجلس الأمن 6122.

وأكدت الحكومة أنهـــا ترغب فى إنجاح مهمـــة المبعوث الأممـــى إلى اليمن جريفيت، ودعت المجتمـــع الدولى ومجلـــس الأمن إلى ممارســـة مزيد من الضغوط على الحوثيين للاســـتجابة لهذه المبـــادرة وتحذيرها من تحملهـــا تبعات اســـتمرار تعنتها ورفضها لإعلان موافقتها على وقف إطلاق النار.

وقد ناشدت الحكومة الأحزاب والمكونات السياســـية إدراك مدى حساســـية المرحلة والابتعاد عن المناكفات وتبادل الاتهامات التى تخدم ميليشيات الحوثيين المدعومة من إيران.. ووافقـــت الحكومة على تمديـــد قرار إغلاق المنافذ البرية والبحرية والجوية حتى إشـــعار آخر، باســـتثناء الرحلات التجارية والإغاثية شريطة خضوعها لتطبيق التعليمات الصحية الخاصة بمواجهـــة جائحة كورونا، وتجهيز وسائل الوقاية والمحاجر، ودعم قدرات القطاع الصحى بالتعاون مع الســـعودية والمنظمات الدولية وبقية الـــشركاء، واتهمت الحوثيين بعدم اتخـــاذ الإجراءات الصحيـــة الكافية لمواجهة جائحة كورونا وانهم يمثلون احتمالاً لنقل العدوى عن طريق الإيرانيين إلى اليمن.

وعقـــد مجلـــس الأمـــن جلســـة يوم 71/4/0202 خاصـــة بالمبـــادرة الجديدة بشأن اليمن والاستماع إلى تقرير من المبعوث الأممى لليمن مارتن جريفيت ومندوبى الدول المتصلة بالأزمة اليمنية، وقدم جريفيت تقريرًا مفصلاً تناول فيه كل التطورات الأخيرة منذ نداء أمين عام الأمـــم المتحدة وإعلان تحالف دعم الشرعية والحكومة اليمنية وقف إطلاق النار، وعدم إعلان الحوثيـــين موقفهم منه، ومقترحاته التى قدمتها للأطراف، والخاصة بالأزمة اليمنية ومـــا تلقاه من ردود إيجابية من الحكومة والحوثيين، وأنه يتوقع أن تتبنى الأطراف اليمنية المقترحـــات التى قدمها فى المستقبل القريب.

وتحدث وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشئون الإنســـانية وركز على عدة أولويات تشـــمل حماية المدنيين، وإيصال المساعدات الإنســـانية، وتمويل جهود الإغاثة، وانعاش الاقتصاد اليمنى، والعمـــل على التقدم نحو الســـلام، وأشـــار إلى أنه توجد قيود مرهقة للغاية أمام توصيل المساعدات للناس خاصة فى شمال اليمن.

وقالـــت المندوبة الأمريكيـــة إن على كل الدول الأعضاء الامتثال الكامل لحظر الأسلحة المنصوص عليه فى قرار مجلس الأمن 6122، وأعربت عـــن القلق من اســـتمرار التدخل الإيرانى فى النزاع بتقديم المســـاعدة القتالية للحوثيـــين، ودعت الحوثيـــين إلى عدم إعاقة العمليات الإنســـانية لأن ذلك أدى إلى تعليق جزئى للمســـاعدة الأمريكية فى شمال اليمن، باستثناء العلاجات الأكثر أهمية لانقاذ أرواح الناس، وأن الحوثيين يهددون الجهود الدولية لتقديم المســـاعدة الضرورية لمنع انتشـــار جائحة كورونا فى اليمن.

ورحب نائب المنـــدوب البريطانى بالدور الإيجابى للحكومة اليمنية، وإعلان السعودية واســـتعدادها للدخول فى محادثات ســـلام لتحقيق وقـــف لإطلاق النار عـــلى الصعيد الوطنـــى، وأعـــرب عن الأمـــل فى أن يحول الحوثيون ترحيبهم بدعوة الأمين العام للأمم المتحدة بوقف إطلاق النار إلى موقف حقيقى على الأرض.

وقد أصدر مجلس الأمـــن بيانًا صحفيًا بتأييـــد نداء الأمـــين العام للأمـــم المتحدة المشارإليه، وبقرار قوات التحالف والحكومة اليمنية وقف إطلاق النار لمدة أسبوعين وحث الحوثيين عـــلى تقديم التـــزام مماثل بوقف إطـــلاق النار، وطالب الحكومـــة والحوثيين بالانخراط بشكل بناء مع مقترحات جريفيت، وأهميـــة التدابـــير الإنســـانية والاقتصادية وإيصال المساعدات للمحتاجين.

ولكن يبقى الســـوال الأساسى وهو هل تحقق مبـــادرة المبعوث الأممى جريفيت هذه المرة بعض النجاح وتمهد الطريق لبناء الثقة بين الأطراف اليمنية؟ أم أنها ستؤول إلى نفس مصير سابقاتها من المبادرات؟

والحقيقـــة أن الأمر كله يتوقف على مدى رغبة وصـــدق الأطراف الإقليميـــة والدولية الضالعة فى الأزمة اليمنية، فإذا صدقت النوايا فإنه بإمكان هذه الأطراف أن تمارس مزيجًا من الضغوط والاقنـــاع على الأطراف اليمنية، بل أكثر من ذلك أن تســـاعدها على التقارب وبنـــاء الثقة المفقـــودة، وأن يكون دعم هذه الأطراف الدولية والإقليمية فى اتجاه مســـيرة الدخول فى مفاوضات مـــن أجل التوصل إلى تسوية سلمية بمشاركة كل الأطراف اليمنية وفقًـــا للمرجعيات ذات الصلـــة، وذلك كله للخروج من حلقة الصراع المفزعة والتخفيف من أحزان اليمن الذى لم يعد سعيدًا بأى حال من الأحوال.

إفريقيا والتصدى لفيروس كورونا وتداعياته

تتواتر المعلومات عن انتشار فيروس كورونا المستجد كوفيد 19- فى العديد من دول القارة الإفريقية على نحو شمل انتشاره حتى وقت قريب حوالى 45 دولة - وعلى الرغم من أن عدد المصابين بالفيروس فى العالم قد تجاوز المليون ويتجه إلى المليون وربع، إلا أن انخفاض عدد المصابين فى القارة الإفريقية - وإن بدا أقل من نظرائهم فى قارتى أوروبا وآسيا وبالطبع فى أمريكا الشمالية ومتسماً بالبطء نسبياً - ويقدر طبقاً لمنظمة الصحة العالمية منذ بضعة أيام بنحو العشرة آلاف مصاب وتتجاوز الوفيات الخمسين - إلا أن مخاطر انتشاره مستقبلاً بين شعوب ودول القارة أكبر وأسرع لاعتبارات موضوعية عديدة، تجعل من القارة الإفريقية فى هذا الإطار حالة خاصة وفريدة.

سفير د. صلاح حليمة

salah_halima@hotmail.com

وقد دفعت تلك الاعتبارات - التى سنجئ على ذكرها - إلى تحرك إفريقى مؤسسى عبر وسائل الاتصال على مستوى رفيع، تجسد فى عقد قمتين مصغرتين لوضع رؤية ومقاربة قارية منسقة وشاملة والتحدث بصوت واحد مشترك مع التحرك جماعياً بآليات تستهدف مكافحة هذا الوباء ودرء مخاطره، وقد ضمت القمة الثانية عدداً من رؤساء دول وحكومات إفريقية - وشارك فيها الرئيس الفرنسى - وهم رؤساء دول الترويكا الإفريقية - مصر وجنوب إفريقيا ورواندا - بجانب رؤساء دول من المناطق الخمس الإفريقية، تحت مظلة الاتحاد الإفريقى فى حضور رئيس مفوضية الاتحاد الإفريقى ورئيس مركز الاتحاد لمكافحة الأمراض، ورئيس منظمة الصحة العالمية.

واقع الأمر، تواجه دول القارة الإفريقية مستويات متعددة من المخاطر التى تتطلب تبنى حزمة متنوعة من الإستراتيجيات فى مواجهة تحدى الكورونا. ويمكن اختزال الوضع فى إفريقيا فى اتجاهين، الأول: يتوقع انتشار الفيروس فى العديد من الدول الإفريقية بسبب ارتفاع نسبة الفقر، وضعف النظم الصحية، وازدحام المناطق الحضرية، بينما يرى الثانى: بل ويعقد الآمال على الجو الحار القاتل للفيروس (وهو أمر ليس مؤكداً بعد ..) وعلى التركيبة السكانية ذات الأغلبية للشباب بما لديهم من قدرات عالية فى المناعة لتجعل من الإصابة بالفيروس تحت الأسوأ. أما من حيث القدرات الإفريقية من الناحية الاقتصادية على مواجهة الفيروس، تجدر الإشارة إلى أن حوالى 95٪ من اقتصاديات الدول الإفريقية تعتمد على المشروعات الصغيرة والمتوسطة وبالتالى تتسم بالهشاشة نسبياً، حيث يتعذر عليها منفردة مواجهة فيروس كوفيد 19- على النحو المنشود، إذ أن الأمر يتطلب دعماً مالياً، وحشداً تمويلياً، لمواجهة التداعيات الاقتصادية والاجتماعية والصحية المترتبة على انتشاره ومواجهته. كما أن القدرات المعملية والإكلينيكية المتوافرة لدى الدول الإفريقية فى الوقت الحاضر مقصورة على مواجهة هذا التحدى، الأمر الذى يستوجب رفع كفاءتها وقدراتها بشكل فورى، فضلاً عن الأوضاع الأمنية الهشة، سواء بسبب الصراعات المسلحة فى القارة الإفريقية والتى تصل إلى حوالى 15 صراعاً إفريقياً/ إفريقياً، أو بسبب أنشطة التنظيمات الإرهابية المتطرفة فى منطقة الساحل، والتى تعقد كل منهما من عمليات مواجهة هذا الخطر الجاثم على شعوب ودول القارة، وهو الأمر الذى يتطلب إنشاء ممرات إنسانية وتجارية فى إطار مواجهة مخاطر انتشار الفيروس. يضاف إلى كل ذلك عبء اقتصادى ضخم على الدول الإفريقية يتمثل فى الديون المستحقة على الدول الإفريقية والتى تقدر بحوالى 40 ٪ من الناتج المحلى الإجمالى.

فى ارتباط بمجمل ما تقدم، تبلور التوجه الرئيسى للقادة الأفارقة فى محورين، الأول: الاعتماد على النفس أى على دول وشعوب القارة الإفريقية بدعم صندوق الاتحاد الإفريقى لمكافحة فيروس كورونا عبر المؤسسات الإفريقية، بل والعمل على تعزيزه، وذلك بحث رجال الأعمال الأفارقة والقطاع الخاص على المساهمة فى هذا الصدد. وهو الصندوق الذى تم إنشاؤه فى اجتماع القمة الإفريقى المصغر السابق.

والثانى: مخاطبة الشركاء الدوليين لدعم القارة الإفريقية فى مواجهة هذا الوباء، خاصة على ضوء ما انتهت إليه قمة العشرين بشأن مكافحة فيروس كورونا، والتى تناولت دعم الاقتصاد العالمى بحوالى 5 تريليونات دولار، فى إطار رصد مخاطر جديدة على إفريقيا بسبب النظم الصحية وعدم قدرة الاقتصاديات الإفريقية على مواكبة مكافحة الوباء، كما تم تناول عملية إسقاط الديون، وتقديم حزمة مساعدات عبر البنك الدولى وصندوق النقد الدولى وبنك التنمية الإفريقى (عرض البنك 3 مليارات دولار).

وقد تواكب مع التحركات الإفريقية (القمم الإفريقية المصغرة)، والدولية (اجتماع مجموعة العشرين)، موقف داعم من الأمم المتحدة تمثل فى تصريحات للسكرتير العام للأمم المتحدة وجه خلالها نداء دولياً لوقف إطلاق النار للإسهام فى وقف انتشار الفيروس باعتباره عدواً مشتركاً، كما يتجه مجلس الأمن نحو التوافق على مشروع قرار بأن فيروس كورونا تهديد للإنسانية وللأمن والسلم الدوليين مع المناشدة بوقف فورى لإطلاق النار، فى إطار تضامن دولى شامل لمواجهة هذا الوباء.

بانوراما أفريقيا (4)

يحتفل الاتحاد الإفريقى فى 25 مايو من كل عام بيوم تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية عام 1963، وتمر إفريقيا والعالم هذا العام بمشكلات كبيرة أهمها الإرهاب والأوبئة.

الأوبئة فى إفريقيا

منذ الأزمنة القديمة عرف الإنسان الأوبئة EPiDEMiC وأحياناً الجائحة PANDEMiC وفاقتها، ولعل طاعون أوروبا فى عام 1351 والذى عرف باسم «الموت الأسود» كان من أشهر الأوبئة.

وقد أعادت الأوبئة على مر التاريخ تشكيل المجتمعات التى تصيبها، كذلك العلاقات بين القوى المختلفة الداخلية والخارجية بما تحدثه من تغييرات سكانية وانتقادية ذات تأثير عميق.

تتعرض القارة الإفريقية والتى يبلغ تعداد سكانها حوالى مليار نسمة - مثلها فى ذلك مثل باقى قارات العالم - إلى أمراض وأوبئة متنوعة.

ومن الأمراض الشائعة الحدوث فى إفريقيا حمى الالتهاب الشوكى، إنفلونزا الطيور، الملاريا، الإيدز، الإيبولا، الحمى الفيروسية المختلفة. وتسبب هذه الأمراض وفاة الآلاف من الأشخاص وتؤدى إلى تدهور المستوى الصحى للسكان وبالتالى تؤثر على الإنتاجية والاقتصادات الوطنية.

وفى معظم أجزاء إفريقيا يتعرض الإنسان الإفريقى للأمراض لأسباب كثيرة منها سوء التغذية، تلوث المياه وعدم توافر المياه النقية، نقص المجارى الصحية، وطرق جمع القمامة، وتلوث الهواء فى المدن، عدم توافر الأطقم الطبية والأجهزة والمؤسسات والأدوية والبحث العلمى، وضعف نظم الرعاية الصحية وتطول قائمة الأسباب.. ومع ذلك فإن أجندة إفريقيا 2063 تضمنت الأمل فى قارة «حيث يمكن تحقيق الإمكانات الكاملة للمرأة والشباب والبنين والبنات متحررين من الخوف والمرض والفقر».

كانت إفريقيا مجالاً للجهود الدولية للتعرف على الأمراض وعلاجها، ومن ذلك أن العالم الألمانى روبرت كوخ «1843 - 1910» اكتشف فى عام 1883 البكتيريا المسببة للطاعون أثناء دراسته لها فى مصر والهند، ونال الدكتور ألبرت شنايتر «1875 - 1965» القس والطبيب والفيلسوف والموسيقى الألمانى جائزة نوبل للسلام فى عام 1952 لجهوده من أجل الأخوة بين الأمم، واشتهر بمداواة

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

الأفارقة، فقد بنى مستشفى من حسابه الخاص فى الجابون فى عام 1924، ثم أعاد بناءه بعد عودته من الأسر فى فرنسا بسبب جنسيته الألمانية أثناء الحرب العالمية الأولى.

وإذا استعرضنا الأوبئة التى أصابت إفريقيا خلال السنوات الخمس الأخيرة فقط سنجد: الطاعون فى مدغشقر «2014 - 2017»، فيروس زيكا فى العالم «2015 - 2016»، الحمى الصفراء فى أنجولا والكونغو الديمقراطية وكينيا فى 2016، الإيبولا فى الكونغو وأوغندا من 2018 وحتى الآن، الحصبة فى الكونغو 2019 وحتى الآن، الكورونا «كوفيد - 19» فى العالم من فبراير 2020 وحتى الآن.

وتنبه منظمة الصحة العالمية إلى أهمية مساعدة الدول الإفريقية لمقاومة هذه الجائحة خاصة وأن البنية التحتية الصحية فى إفريقيا ضعيفة من حيث عدد المستشفيات وتأهيل الكوادر الطبية ومواد التعقيم والوقاية... إلخ. فعلى سبيل المثال يقدر عدد أجهزة التنفس الصناعى «التى يحتاجها مرضى كورونا» بحوالى 2000 جهاز فقط فى القارة كلها! ولكن من الأخبار السعيدة أن بعض الدول الإفريقية بدأت فى إنتاج أجهزة تنفس محلية وهذه الدول هى جنوب إفريقيا وغانا وأوغندا ونيجيريا.

وتستخدم الدول الإفريقية الآن التطبيقات المتاحة على الإنترنت للتعريف بالمرض، والكشف عن بعد على المرضى، وتوفير الاتصال بالأطباء لعلاج الحالات المصابة، وتتبع معظم الدول سياسة التباعد الاجتماعى كوسيلة أساسية لتفادى انتشار المرض. ويرافق الاستعدادات الطبية الدعوة إلى دعم الاقتصادات الإفريقية ولو بإجراءات مؤقتة مثل وقف سداد أقساط الديون.

عقدت خلال شهر إبريل قمة إفريقية عن طريق الفيديو كونفرانس شارك فيها الرئيس عبدالفتاح السيسى لبحث جائحة «كوفيد - 19» ووسائل مواجهتها، واتفق على إقامة صندوق مشترك لجهود مكافحة المرض.

صرح السيد تيدروس أوحانوم غيبريسوس المدير العام لمنظمة الصحة العالمية قائلاً: لن نتمكن من وقف «كوفيد - 19» إلا من خلال التضامن. يجب أن نعمل - البلدان والشركاء فى مجال الصحة والمصنعون والقطاع الخاص - معاً لضمان استفادة الجميع من ثمار العلم والبحوث».

عقد اجتماع افتراضى «تليفكونفرانس» للقادة والمنظمات الدولية والإقليمية يوم 24 إبريل 2010، وتعهد جميع المشاركين بالعمل من أجل تحقيق هدف الإتاحة العالمية المنصفة على أساس غير مسبوق من الشراكة. واتفقوا على إيجاد صوت موحد قوى، والبناء على التجارب السابقة والخضوع للمساءلة أمام العالم والمجتمعات المحلية وبعضهم البعض. وسيتم الإعلان عن مبادرة جمع التبرعات فى ٤ مايو 2020 لتعبئة الموارد الكبيرة لتسريع وتيرة حماية العالم كله من «كوفيد - 19».

وقد ساهمت مصر - خاصة منذ إنشاء «الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية» (الصندوق المصرى للتعاون الفنى مع إفريقيا سابقاً) فى عام 1980، فى إيفاد آلاف الفنيين ومن بينهم مئات الأطباء المصريين لعلاج المرضى فى إفريقيا، بالإضافة إلى إقامة بعض المستشفيات النموذجية «فى جنوب السودان على سبيل المثال»، وإيفاد قوافل طبية تجوب أنحاء القارة، وهى جهود يقدرها تماماً الأشقاء الأفارقة.

لاحظت أن هناك دولاً لديها «فرق خاصة للإغاثة والإنقاذ» من الكوارث

المختلفة مثل الحرائق الضخمة والزلازل والفيضانات والعواصف والأوبئة وغيرها، وهى فرق مدربة ومجهزة تهرع للمساعدة عند حدوث الكوارث وبالتالى تقلل من الخسائر البشرية والمادية، وربما يكون مناسباً أن نرعى فرقة أو فرقاً مماثلة مصرية لمواجهة أية كوارث لا قدر الله. وقد سارعت عدة دول مثل روسيا والصين وكوبا لمساعدة الدول الأخرى لمواجهة جائحة «كوفيد - 19» وكانت مصر من أوائل الدول التى أرسلت مساعدات وتعاونت مع الدول المصابة.

ستنتصر القارة الإفريقية على هذا الوباء، كما انتصرت على الأوبئة الأخرى، وندعو الله أن يرفع الداء والبلاء عن البشرية جمعاء.

وانجارى ماتاى

وانجارى ماتاى «1940 - 2011» هى أول امرأة إفريقية تفوز بجائزة نوبل للسلام فى عام 2004، وهى ناشطة كينية فى مجال الحفاظ على البيئة.

ولدت فى نييرى وسط كينيا وتنتمى إلى قبيلة كيكويو أكثر القبائل انتشاراً فى كينيا. كانت تعمل مع والدتها فى الزراعة فأدركت مبكراً أهمية الأرض وعلاقتها بالهواء والشمس والنبات. تفوقت فى اللغة الإنجليزية فى المدرسة الإبتدائية، وتحولت إلى الكاثوليكية ثم انضمت إلى «رابطة مارى» التى شعارها خدمة الله عن طريق خدمة الناس. حافظت أمها على حمايتها أثناء حركة الماوماو ضد الاحتلال الإنجليزى، وهى حركة كان قوامها الرئيسى قبيلتها الكيكويو. بناء على ترشيح السياسى الكينى توم مبويا أرسلت مع مجموعة للدراسة بالولايات المتحدة فى عام 1960، درست علم الأحياء واللغة الألمانية.

حصلت بعد ذلك على منحة للبحث العلمى فى إحدى الجامعات الألمانية وبعد العودة عينت أستاذاً مساعداً بجامعة نيروبى، ثم أصبحت أول امرأة تحصل على الدكتوراة فى شرق إفريقيا فى عام 1971.

من خلال عملها فى الجامعة كافحت من أجل المساواة بين الرجل والمرأة، كما ترأست الصليب الأحمر الكينى وأسست مركزاً لحماية البيئة وتعاونت مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة الذى أنشئ فى نيروبى فى عام 1972 «وظل العالم المصرى القدير الدكتور مصطفى طلبة

وانجارى ماتاى

(1922 - 2016) رئيساً له لمدة ٢٢ عاماً، وأعجبت كثيراً بشخصيته العلمية أثناء زيارة له إلى بنجلاديش فى عام 1977».

أدركت وانجارى ماتاى من خلال أنشطتها فى مجالات المرأة والبيئة والمساعدة أن السبب الرئيسى لمشاكل كينيا هو ما تشاهده من تدهور بيئى خطير وسريع، وكان زوجها يعمل فى مجال التشجير فربطت فى ذهنها بين حماية البيئة وتوظيف العاطلين بمساعدة برنامج الأمم المتحدة للبيئة، استطاعت المشاركة فى المؤتمر الدولى الأول للإسكان الذى عقدته الأمم المتحدة فى عام 1976. وبعد ذلك قامت فى عام 1977 بتأسيس «حركة الحزام الأخضر»وشجعت النساء على زراعة أشجار فى مشاتل بالتعاون مع المجلس الوطنى للمرأة الكينية، ويتم صرف مبلغ صغير عن كل شتلة، ثم توزع الأشجار على أماكن مختلفة لزراعتها فى البلاد.

أُنتخبت بعد عدة محاولات رئيسة للمجلس الوطنى للمرأة وظلت فى منصبها حتى عام 1987.. أثناء ذلك وبسبب كونها من الكيكويو، وبسبب رغبة الحكومة - فى ذلك الوقت على حد زعمها - فى الحد من نفوذ هذه القبيلة، قل التمويل لمجلس المرأة فزادت وانجارى من أنشطة المجلس الخاصة بالبيئة، واستطاعت بمساعدة من الجمعية النرويجية للغابات وصندوق الأمم المتحدة التطوعى للمرأة أن تستمر فى تمويل حركة الحزام الأخضر.

فازت وانجارى بنوبل للسلام فى عام 2004 وحاولت شرح فلسفتها فى كتبها كالآتى:

»وفى محاولة لشرح عملى وفلسفتى بعد حصولى على جائزة نوبل للسلام، تذكرت الكرسى الإفريقى ثلاثى الأرجل، والذى يتكون من مقعد وثلاثة أرجل، تمثل الرجل الأولى الحيز الديمقراطى حيث تحترم الحقوق سواء حقوق الإنسان أو المرأة أو الطفل أو البيئة، وترمز الرجل الثانية إلى الإدارة المستدامة والمسئولة للموارد الطبيعية لمن يعيشون اليوم ومن فى المستقبل معاً، بطريقة عادلة ونزيهة، بما فى ذلك الأشخاص على هامش المجتمع.

وترمز الرجل الثالثة إلى ما أسميه ثقافات السلام. وتتخذ هذه الثقافات شكل النزاهة والاحترام والحنو والصفح والتعويض والعدالة» كتاب إفريقيا والتحدى ص٥٥ - سلسلة عالم المعرفة 410.

وفى عام 1992 اختيرت متحدثة رئيسية فى مؤتمر قمة الأرض الذى عقدته الأمم المتحدة فى ريو دى جانيرو بالبرازيل.

وبتمويل من برنامج الأمم المتحدة للبيئة امتدت حركة الحزام الأخضر إلى باقى أنحاء إفريقيا، وتفرغت وانجارى من أجل الحركة. ودخلت فى معركة حول مشروع إنشاء مجمع ضخم للإعلام فى حديقة الحرية «أوهورو» المحمية البيئية وبسبب حملة وانجارى ضد هذا المشروع انسحب الممولون ولم ينفذ المشروع «قضية مشابهة لحملة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ضد مشروع هضبة الأهرامات فى مصر فى السبعينيات من القرن الماضى»، وبعدها أصبحت تميل إلى المعارضة السياسية فى كينيا وتعرضت للعديد من المشاكل لهذا السبب. وقد تدخل الرئيس السوفيتى السابق ميخائيل جورباتشوف فى عام 1993 لدى الحكومة للسماح لوانجارى بالسفر إلى طوكيو لحضور مؤتمر الصليب الأخضر الدولى «منظمة أنشأها جورباتشوف».

نجحت فى الانتخابات البرلمانية فى عام 2002 كمرشحة للمعارضة الكينية «ائتلاف قوس قزح الوطنى»، وعينت مساعد وزير بوزارة البيئة والموارد الطبيعية فى عام 2003. وفى نفس العام أسست حزب «مازينجيرا الأخضر الكينى» الذى أصبح عضواً فى «اتحاد الأحزاب الخضراء الإفريقية»، وفى الاتحاد العالمى للأحزاب الخضراء GLOBAL GREEN.

الجدير بالذكر أن الإعلام أثار تصريحات نسبت إلى وانجارى بأن مرض الإيدز صنعه الرجل الأبيض للقضاء على الأفارقة، ولكنها نفت

تماماً هذا التصريح، وأضافت أنها ضد الخزعبلات المرتبطة بمرض الإيدز فى إفريقيا.

فى عام 2005 انتخبت أول رئيسة للمجلس الاقتصادى والاجتماعى والثقافى للاتحاد الإفريقى، وعينت سفيراً للنوايا الحسنة لحماية النظام البيئى لغابات حوض الكونغو. وفى عام 2006 أسست مع حائزات جائزة نوبل أخريات «مبادرة نساء نوبل» لتوحيد الجهود من أجل السلام والعدالة والمساواة.

فشلت فى الانتخابات البرلمانية فى عام 2007، وظلت ضمن الأعضاء البارزين بالمجلس الاستشارى «للجمعية الأوروبية للبرلمانيين مع إفريقيا».

نجحت حملتها لزراعة 30 مليون شجرة فى إفريقيا، فوضعت وقادت حملة الأمم المتحدة «بليون شجرة» التى أطلقها برنامج الأمم المتحدة للبيئة فى عام 2006، وتطورت هذه المبادرة إلى زراعة «تريليون شجرة» يقودها صندوق نبات لكوكبنا PLANT FOR THE PLANET الذى شارك فى مبادرة بليون شجرة.

وشاركت مصر فى مبادرة بليون شجرة، واتبعت سياسة التشجير فى الحزام الأخضر بالعاصمة الإدارية الجديدة.

توفيت وانجارى فى سبتمبر 2011 بسبب مرض السرطان ودُفنت فى «معهد وانجارى ماتاى للسلام ودراسات البيئة» فى نيروبى، وحظيت بتكريم كبير بعد وفاتها أيضاً ومن ذلك إنشاء جائزة باسمها لحماية البيئة.

تركت ثلاثة كتب مهمة هى: «مظلة الأمل» عام 2002 - «حركة الحزام الأخضر» عام 2003 - «لست خاضعة»، مذكرات عام 2006، «التحدى لإفريقيا» عام 2009. ولم يترجم من هذه الأعمال سوى الكتاب الأخير فى سلسلة عالم المعرفة الكونية، وهو ثرى بالأفكار وتتناول فيه مشاكل إفريقية كثيرة. لقد كانت مناضلة إفريقية ساهمت فى تحسين ظروف الحياة لوطنها وقارتها والعالم.

الفيل

أضخم الحيوانات التى تعيش على سطح الأرض ويتميز بقوته وذكائه، وهو من الحيوانات طويلة العمر إذ يصل عمره أحياناً إلى أكثر من 70 عاماً.

أقدم أجداد الفيل هو حيوان الموريثيريم الذى كان يعيش فى مصر منذ حوالى 65 مليون سنة، وتطورت عنه ثلاثة أنواع منها الفيلة.

ورغم أن الأفيال عاشت فى جميع القارات ما عدا أستراليا وانتاركتيكا، إلا أنها لا توجد الآن إلا فى إفريقيا وآسيا. توجد ثلاثة أنواع من الأفيال وهى فيل السافانا وفيل الغابة الإفريقيان، والفيل الآسيوى. وأكبرهم حجماً هو فيل السافانا ويصل ارتفاعه إلى نحو أربعة أمتار، ويزن حوالى 7 آلاف كيلو جرام. ويمكن التمييز بين الفيل الإفريقى والفيل الهندى بعدة صفات أهمها أن الفيل الهندى أصغر حجماً، وأذناه لا تصل إلى أكتافه وارتفاعه يتراوح بين 2 – 3.5 متر، ووزنه حوالى 3 آلاف كيلو جرام.

ويعيش الفيل على أكل كميات كبيرة من النباتات يلتقطها بزلومته، ومثله مثل الزراف ينام من 2 - 4 ساعات فقط يومياً. ونابا الفيل هما نمو لسنتيه القارضتين، والأذنان الكبيران يستخدمهما للتهوية وترطيب شرايين الدم تحتهما.

وللأفيال حياة اجتماعية حيث يعيش فى قطعان كبيرة، ويتميز الفيل بالعاطفة والإخلاص فهو يخاطر بحياته من أجل باقى أفراد القطيع. وتحتفل الفيلة بميلاد الصغير وتبكى لموت أحدها، وإذا كانت فى الحبس تطيع مدرباً واحداً فقط. وهناك دلائل كثيرة على ذكاء الأفيال فهى تتذكر الطرق إلى الماء والطعام.

ويقول القزوينى فى كتابه «عجائب المخلوقات»: الفيل هو حيوان بهى نبيل من أعظم الحيوانات، وربما كان فى فمها ثلاثمائة سن، وهو أظرف وألطف من كل حيوان خفيف الجسم رشيق، صنع الله فى خلقته عجائب قدرته، وهو أن رقبته لما كانت قصيرة خلق الله لها خرطوماً طويلاً يقوم مقامها، يرفع العلف والماء إلى فمه بها وتدور على جميع بدنه كما تدور يد الإنسان، ويضرب بها، وله أذنان كبيرتان كل واحدة على شكل مزين متحركتان، وإنما يدفع بهما الذباب والبق عن فمه، لأنه مفتوح دائماً.. وإذا وقع على جانبه لا يقدر على القيام فتخبر الفيلة بعضها بعضاً، فيأتيه الفيل الكبير يجعل خرطومه تحته وسائر الفيلة يعاونونه حتى ينتصب على قوائمه».

استخدم هانيبال «حنبعل» القائد القرطاجنى الشهير الأفيال فى حملته وحروبه ضد روما، فخرج عام 218 ومعه 36 فيلاً إفريقياً وفيل آسيوى واحد يقود كل منها مدرب وذلك لغزو روما، وكان يستخدم الأفيال لحمل المؤن، وقد ماتت كل الأفيال أثناء الطريق خاصة عند عبوره جبال الألب حيث ماتت الأفيال أثناء الرحلة بسبب البرد الشديد وهى الآتية من قرب خط الاستواء، وأيضاً بسبب ندرة الحشائش التى إن وجدت يغطيها الجليد، وكذلك سقطت الأفيال من الجبال العالية لتعثرها أو لما أصابها من جوع وإجهاد، وعندما وصل هانيبال إلى روما لم يكن معه سوى الفيل الذى يركبه.

وتخبرنا سورة الفيل بالقرآن الكريم - أعاد الله عليكم شهر رمضان الكريم بالخير والبركات - عن حملة الملك أبرهة الحبشى الذى ذهب بجيشه والأفيال لهدم الكعبة المكرمة، ولكن الله أرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول.

ويذكر أن الملك ليبولد الثانى ملك بلجيكا والذى احتل الكونغو وجعلها ملكاً له، أحضر مدربين هنود لتدريب الأفيال الإفريقية فى الكونغو.

ولا تستخدم الأفيال فى إفريقيا الآن إلا فى حمل السياح فى الحديقة الوطنية «محمية» جرامبا فى السنغال، وتعتبر مصدراً للدخل للإنفاق على الحديقة. وأظن أن كلنا يتذكر - أو حتى يعرف - شغف الأطفال وتطلعهم إلى ركوب الفيل فى حديقة الحيوان بالجيزة.

وكان الأفارقة يصطادون الأفيال بحفر حفر عميقة وتغطيتها بالأغصان لتقع فيها الحيوانات والأفيال. وأتذكر أن الكاتب النمساوى ستيفان تسنايج فى كتابه الشهير عن الفيل، ذكر أن أقزام إفريقيا كانوا يجرون بين أرجل الفيل ويظلون يجرون تحته ثم يغرسون الحربة فى منطقة البطن «غير السميكة» ثم يقفزون بعيداً عنه قبل أن يقع ويموت.

تناقص عدد الأفيال الإفريقية بسبب الصيد غير القانونى للحصول على أنيابها العاج لأنه تصنع منها أدوية شعبية فى آسيا، كما تستخدم فى أعمال فنية غالية الثمن وأعمال للزينة.

فى عام 2007 نال الزامبى سيميونجا جائزة داج همرشولد للحفاظ على البيئة فى إفريقيا، ومن مسوغات منحه الجائزة أنه ابتكر برنامجاً للحفاظ على الأفيال ورفع مستوى معيشة سكان المنطقة التى تعيش فيها الأفيال حتى توقف سكان 64 قرية عن الصيد غير القانونى لها.

وتعتبر الأفيال من الحيوانات المعرضة للخطر بسبب الصيد غير القانونى من ناحية، ومن ناحية أخرى بسبب تدهور البيئة الطبيعية من السافانا والغابات المدارية.

كورونا والحرب الباردة الأمريكية الصينية 3

إلحاقاً لمقاليّ السابقين فى هذا الشأن فقد أصبحنا نخطو فى طريق جديد مفاده التعايش مع جائحة كورونا المستجد كوفيد ١٩، المثير للجدل، وهل هو طبيعى أو مصطنع، وما أسميه بالجدل حول مفهوم جديد مفاده مسألة الردع الجرثومى الجديد مرتبطا بإستراتيجية الردع النووى الذى كان سائداً بين القوى النووية فى العالم منذ الحرب الباردة فى خمسينيات القرن الماضى بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى سابقاً.

سفير د. يوسف الشرقاوى

yelsharkawy@yahoo.com

ويسود تفاؤل بانحسار انتشار الفيروس وسيتم التخفيف التدريجى لحظر التجول مع التطبيق الحازم للإجراءات الوقائية والاحترازية والإلزام بقاعدة إلزم البيت فى مصر ومعظم دول العالم .

وأود الإشارة فى البداية إلى أنه كان لتقديم مصر مساعدات طبية وسط شدة ومعاناة أزمة كورونا المستجد خلال مارس وإبريل ٢٠٢٠، لكل من الصين الشعبية وإيطاليا وللولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من أننا نحصل من الأخيرة أى الولايات المتحدة على حوالى مليار ومائتى مليون دولار سنوياً منذ حوالى أربعة عقود من الزمان، ردود فعل إيجابية فى تلك الدول وقيمة معنوية على صعيد القوة الناعمة المصرية، ودعم لعلاقات مصر وهذا بلا شك لفتة إنسانية ورسالة شكر وتقدير وصداقة قوية بين مصر وتلك الشعوب والقيادة السياسية المصرية والقيادات فى تلك الدول، كما أنها تدل على عمق التعاون بينهم فى السّراء والضرّاء والمصالح المتبادلة الممتدة.

يلاحظ أن ما قامت به وزارة الخارجية والسفارات والقنصليات المصرية فى الخارج بالتعاون مع الجهات المعنية فى مصر من جهود شاقة وجادة لإعادة العالقين المصريين فى الخارج فى الدول العربية والإفريقية والآسيوية والأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية وغير ذلك بسبب أزمة كورونا المستجد فى العديد من دول العالم إلى مصر تنفيذاً لتوجيهات السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى يؤكد على اهتمام الدولة المصرية ورعايتها لمواطنيها فى كل الظروف وتقديم كافة أشكال الحماية والدعم لهم، هذا بالإضافة إلى ما تقوم به الدبلوماسية المصرية بالتعاون مع الجهات المعنية من تدعيم العلاقات فى كل المجالات وجذب الاستثمارات ورعاية المبعوثين والموفدين والمقيمين والزائرين وحل مشكلاتهم.

وأود التأكيد أيضاً على أن مصر لم تتخذ أى إجراء لإعادة مهاجرين أو لاجئين إلى دولهم واستمرت فى ضمان تضمينهم فى الدعم المقدم وفى نظم الرعاية الصحية.

يلاحظ أن ذلك الخطر الصحى والعدو الجديد غير المرئى والخفى وغير المتوقع يختلف عن أخطار الحربين العالميتين الأولى والثانية وغيرهما من حيث :

أ - أنه تم بدون تحالفات عسكرية وسياسية كبرى.

ب - أنه ينخر الجهاز التنفسى لمن يصيبه بدون استعراض للقوة والغطرسة وسياسات الهيمنة.

ج - أنه يتحرك بدون أسلحة فتاكة نووية كانت أو تقليدية.

د - يحقق أهدافه بدون تمهيد أو دعم كوماندوز أو وحدات استخباراتية وتجسس تمارس أعمالها بسرية لتحقيق أهدافه.

ه - يحقق أهدافه دون آلة إعلامية وبدون استخدام وسائل التواصل الاجتماعى والتكنولوجيا السياسية الحديثة.

إن ذلك الفيروس الخبيث الصامت المعروف باسم كورونا المستجد كوفيد -١٩ الخبيث الذى يصغرنا بحوالى ٥ ملايين مرة وطلب من حوالى ٣ مليارات إنسان حول العالم أن يجبروا على التزام بيوتهم، انتشر ذلك الفيروس وسط إجراءات احترازية ووقائية مبنية على قاعدة إلزم بيتك التى ترسخت وإعلان فشل التكنولوجيا الطبية فى دول العالم المتقدمة فى التعامل معه حتى الآن ٢٨ إبريل ٢٠٢٠ فى إيجاد مضاد حيوى مناسب أو مصل لذلك:

- يلاحظ اتخاذ العديد من الخطوات العملية الدقيقة المهمة داخلياً وخارجياً فى مصر وغيرها فى المجالات الصحية والمالية والانضباط السلوكى، وكان لذلك التأثير الإيجابى على صعيد معالجة فيروس كورونا المستجد.

-أنه من مؤشرات ذلك تزايد معدلات التعافى لدى البشر مع معدلات الوفيات المنحسرة من دولة إلى أخرى، وتواصل منظمة الصحة العالمية جهودها وبعض المنظمات الأخرى الإقليمية أو الدولية ظلت تواصل دفع مرتباتها وأعمالها بتقنية الأون لاين الإلكترونية ويمكن الإشارة إلى أهم أبعاد تلك الأزمة فى هذا الصدد فى الآتى :

-أضحت أزمة الفيروس عالمية محدقة من نوع جديد وفريد تغطى الإنسانية وكافة بقاع الأرض ولها آثار وتداعيات قوية وطنية وإقليمية ودولية يجب الوقوف عليها ودراستها.

- أن عملية انتشار الفيروس تتم وسط جدل أمريكى صينى عن الفاعل لتلك الأزمة والمسبب الرئيسى لها بشكل مباشر وارتفعت لهجة التصريحات الرسمية بين الجانبين ولم تعد تقتصر على دوائر غير رسمية ويمكن أن أشير إلى أبعاد تلك الأزمة وغير ذلك من أبعاد محورية فى رأيى على النحو التالى :

- أستطيع القول دون تهويل أو تهوين أن العالم فى طور التجربة لإنتاج مصل ولم يتوصل علمياً إلى العلاج الصحيح لتلك الأزمة.

- أوضحت أن العالم يواجه محنة كبيرة سواء على مستوى الدولة الأعظم والدول الكبرى المتقدمة وكذا الدول النامية بمختلف قارات العالم وعلى مستوى الأغنياء والفقراء وعلى كافة المسئولين ودرجاتهم والعمالة غير المنتظمة والنظامية وعلى النخبة على كل المستويات مثلما أصيب رئيس الوزراء البريطانى بذلك الفيروس ودخوله الرعاية المركزة ثم تعافى وعاد إلى عمله فى ٢٧ إبريل ٢٠٢٠.

إنه فى الوقت الذى تواجه الإنسانية هذه المحنة القاسية فقد كشفت عن وجه آخر وهو أنها منحة على مستويات ومجالات

مختلفة على صعيد لم شمل الأسرة وتعميق العلاقات الأسرية.

إنه فى مصر هناك تحرك على كافة المستويات الرسمية المعنية لمواجهة تلك الأزمة كما أقرت الدولة منحة مالية للعمالة غير المنتظمة تم صرفها على دفعتين كما نشطت منظمات المجتمع المدنى والجمعيات الخيرية فى أنشطتها التى تم تكثيفها فى شهر رمضان وإبان أزمة الفيروس مما يعكس تنامى الروح الإنسانية والإيجابية فى مواجهة تلك الكارثة كما تعمقت العلاقات الأسرية ووفرت وقتاً لتنمية المهارات والقراءة وممارسة الرياضة والتعليم الإلكترونى والتعليم عن بعد بشكل ناجح.

على مستوى العلاقات الأمريكية الصينية وتكرار النزاعات بين واشنطن وبكين، أكبر اقتصادين فى العالم، علناً، بشأن فيروس كورونا المستجد. تتوالى الحرب الإعلامية وتدخل فى إطار التلويح بفرض عقوبات متبادلة ففى بادئ الأمر أثنى الرئيس الأمريكى دونالد ترامب على تعامل الصين مع تفشى الفيروس، ولكنه وغيره من مسئولين أمريكيين أشاروا إلى كورونا المستجد على أنه «الفيروس الصينى»، وفى الأيام القليلة الماضية تصاعدت حدة التوتر الإعلامى بينهما، فقد صرح الرئيس الأمريكى دونالد ترامب ١٩ إبريل ٢٠٢٠ أن الصين يجب أن تتحمل العواقب إذا ثبت أنها مسئولة عن عمد عن وباء فيروس كورونا.

وأضاف ترامب فى مؤتمر صحفى «إذا كان الأمر ناجماً عن خطأ، فالخطأ ليس إلا خطأ. أما إذا كانت مسئولة عن عمد، إذن بالتأكيد يجب أن تكون هناك عواقب». ولم يعط ترامب المزيد من التفاصيل عن الإجراءات.

واتصالاً بذلك فقد انتقد مساعدون بارزون لترامب الصين لافتقارها إلى الشفافية بعد تفشى وباء كورونا فى مدينة ووهان، كما علق ترامب المعونات إلى منظمة الصحة العالمية، متهماً إياها بالتحيز للصين. وأعلن الرئيس الأمريكى، دونالد ترامب، أنه أمر بتعليق المساهمة المالية التى تقدمها الولايات المتحدة إلى منظمة الصحة العالمية، بسبب «سوء إدارة» المنظمة، التابعة للأمم المتحدة، لأزمة تفشى فيروس كورونا المستجد.

منذ ظهور فيروس كورونا نهاية 2019 وتتهم الولايات المتحدة الأمريكية على الصعيد الإعلامى الصين بأنها وراء هذا الفيروس، وتهدأ هذه الاتهامات الأمريكية حيناً لكن سرعان ما تتجدد فى أحيان أخرى بحدة، ومؤخراً قال مسئولون بالمخابرات والأمن القومى الأمريكى إن الحكومة

الأمريكية تنظر فى احتمالية أن يكون فيروس كورونا المستجد قد نشأ فى مختبر صينى، وليس فى أحد الأسواق، بحسب ما أكدت عدة مصادر على الأمر لشبكة «سى إن إن»، والتى حذرت من أن الوقت لا يزال مبكراً لوضع أى استنتاجات.

وأوضحت شبكة «سى إن إن» الإخبارية، أن تلك النظرية واحدة من عدة نظريات يبحثها المحققون وهم يحاولون تحديد أصل فيروس كورونا الذى أسفر عن وباء وقتل مئات الآلاف من الأشخاص. ولا تعتقد الولايات المتحدة أن الفيروس كان مرتبطاً بأبحاث السلاح البيولوجى، وفقاً للتقرير. وأشار المسئولون إلى أن مجتمع الاستخبارات يستكشف أيضاً سلسلة من النظريات الأخرى بشأن مصدر الفيروس، وهو الأمر المعتاد فى مثل هذه الأحداث الكبرى.

ومن ناحية أخرى فقد ذكرت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الصينية هوا تشونينج عن تعامل الصين مع الفيروس الذى ظهر أولاً فى مدينة يوهان فى ديسمبر ٢٠١٩، واصفة هذا التعامل بأنه واضح وشفاف.

جاء ذلك فى رد من هوا على تقرير لوكالة بلومبرج جاء فيه أن الاستخبارات الأمريكية خلصت فى تقرير سرى مقدم للبيت الأبيض إلى أن بكين لم تعلن عن حقيقة إجمالى حالات الإصابة والوفاة بسبب الفيروس.

وقالت هوا فى بيان صحفى اعتيادى فى بكين إن «بعض المسئولين الأمريكيين يريدون فقط أن يعكسوا اتجاه أصابع الاتهام.. فعلياً لا نريد الدخول فى جدل معهم، ولكن أمام مثل هذا التحليل والافتراء الأخلاقى من جانبهم، أشعر بالاضطرار بأخذ بعض الوقت وتوضيح الحقيقة مجدداً».

وكانت بلومبرج، نقلت عن 3 مسئولين أمريكيين طلبوا عدم كشف هويتهم أن البيانات التى أعلنتها الصين حول حالات الإصابة والوفاة جراء كورونا كانت غير كاملة.

وفى هذا الإطار أيضاً فقد ذكر الرئيس الصينى، شى جين بينغ ٢٧ مارس ٢٠٢٠، أنه أجرى اتصالاً هاتفياً مع نظيره الأمريكى دونالد ترامب، أكد فيه أن بلاده تتعامل بـ«شفافية وصراحة» فيما يتعلق بفيروس كورونا، مطالباً الولايات المتحدة باتخاذ إجراءات «عملية وفعالة» لحماية أرواح المواطنين الصينيين الموجودين على أراضيها.

وأشار إلى أنه أبلغ ترامب بأن التنسيق الصينى الأمريكى «هو الخيار الوحيد الصحيح»، مؤكداً أن بكين كانت «صريحة وشفافة» بشأن وباء كورونا، فى رد ضمنى على اتهامات ترامب..

ذكرت أيضاً وزارة الخارجية الصينية ١٦ إبريل ٢٠٢٠ أن منظمة الصحة العالمية «لم تجد أى دليل» على أن فيروس كورونا، الذى تسبب فى إصابة ما يربو على مليونى شخص فى أنحاء العالم، أُنتج فى أحد المعامل.

وأدلى تشاو لى جيان المتحدث باسم الوزارة بهذه التصريحات رداً على سؤال بشأن الاتهامات بأن فيروس كورونا تم تخليقه فى أحد المعامل فى مدينة ووهان بوسط الصين، التى بدأ منها التفشى فى نهاية العام الماضى.

ذكر وزير الخارجية الأمريكى مايك بومبيو فى هذا الشأن «نجرى تحقيقاً مفصلاً بكل ما لدينا من إمكانات حول كيفية تفشى هذا الفيروس، وانتقال العدوى

كورونا والحرب الباردة الامريكية الصينية 3

فى العالم والتسبب بهذه المأساة».

وقد جاءت تصريحات بومبيو رداً على سؤال حول مقال فى صحيفة واشنطن بوست يشير إلى أن سفارة الولايات المتحدة الأمريكية فى بكين كانت قد أخطرت وزارة الخارجية الأمريكية، قبل عامين، عن تدابير وقائية غير كافية فى مختبر فى ووهان يعمل على دراسة فيروسات كورونا لدى الخفافيش..

وخلال مؤتمره الصحافى اليومى فى البيت الأبيض حول فيروس كورونا، ذكر ترامب «إننى اليوم آمر بتعليق تمويل منظمة الصحة العالمية كما نعكف على مراجعة لتقييم دور المنظمة فى سوء الإدارة الشديد والتعتيم على تفشى فيروس كورونا».

ووجه الرئيس الأمريكى اتهامات كثيرة إلى المنظمة الأممية، بالقول إن «العالم تلقى الكثير من المعلومات الخاطئة حول انتقال العدوى والوفيات» الناجمة عن الوباء.

وأضاف أن المنظمة «أخفقت فى واجبها الأساسى وتجب محاسبتها» على استجابتها لتفشى وباء كوفيد 19- بعد ظهوره فى الصين.

تجدر الإشارة إلى أن الأمين العام للأمم المتّحدة، أنطونيو جوتيريش قد علق على ذلك بالقول :

إن قرار ترامب «ليس وقت خفض موارد» منظّمة أممية منخرطة فى الحرب ضدّ وباء كوفيد 19-.

وإنه فيما يتعلق بدول الاتحاد الأوروبى فقد أظهرت تلك الأزمة ضعف مؤسسات الاتحاد فى التعامل معها من البداية.

كما أعربت بعض دول الاتحاد عن شكواها بسبب عدم تقديم يد العون والمساعدة ومن ذلك ما أعربت عنه إيطاليا بل وصل الأمر إلى حرق أفراد لعلم الاتحاد الأوروبى.

ذكرت رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين ١٨ مارس ٢٠٢٠ بأن القادة الأوروبيين قللوا فى البداية من حجم خطر فيروس كورونا.

أثرت تداعيات أزمة كورونا على مجرى ومصير التضامن الأوروبى والعديد من المنظمات الإقليمية الأوروبية وغير الأوروبية.

من التساؤلات فى هذا الشأن: هل الأزمة أكبر بكثير من حجم الاتحاد الأوروبى وتاريخه ومصداقيته تقنياً واقتصادياً؟ هل جميع الدول الأعضاء تعانى من نقص حاد على المستوى الصحي؟ هل لم يسعف الوقت الاتحاد الأوروبى للوصول إلى توافق أو إجماع حول آلية المساعدة الصحية؟ لماذا لم يقم الاتحاد حتى الآن ببناء إستراتيجية تصد لجائحة كورونا المستجد؟ هل اتفقت الدول الأعضاء فى الاتحاد الأوروبى حول كيفية بناء آلية للتصدى لكورونا المستجد على المستوى العلمى والعملي؟ كيف يمكن معالجة الآثار الاقتصادية والاجتماعية لتلك الأزمة داخل الاتحاد الأوروبي؟

إنه فى إطار التعرف على بعض ما أحدثته تلك الأزمة فقد ظهرت مشاهد ذات دلالات عميقة حول دور الاتحاد الأوروبى فى التعامل فى بداية الأزمة مع الدول المنكوبة منها :

- مشهد الأطباء الكوبيين الذين وصلوا إلى إيطاليا والترحيب الهائل بهم.

- مشهد تقبيل الرئيس الصربى لعلم الصين اعترافاً منه بدعمها ومساندتها لبلاده.

- من الأبعاد الرئيسية لتلك الأزمة عالمياً ما نلاحظه من ممارسات لا تتسق مع قواعد القانون الدولى والعلاقات بين الدول خاصة فيما يتعلق بعمليات القرصنة على شحنات المطهرات والكمامات حتى من جانب بعض الدول المتقدمة.

- الأهم من ذلك لم تستطع الدول النووية العظمى والكبرى التى تمتلك ترسانات ضخمة من أسلحة الدمار الشامل والتكنولوجيا الإلكترونية المتقدمة ومراكز أبحاث علمية واستعداد لحروب جرثومية والأقمار الصناعية وأجهزة استخبارات عالية الجودة لم تستطع مواجهة ذلك الفيروس الخفى منذ نوفمبر ٢٠١٩ حتى اليوم.

- يحتدم الجدل حول أسبابها والفاعل الأساسى وراءها وتثار تساؤلات حول نظرية المؤامرة فى هذا المضمار ويدافع بعض المدافعين عن وجهتى النظر فى الصين والولايات المتحدة بدعوى المؤامرة متضمنة أن ذلك الفيروس القاتل الصامت مصنع كسلاح بيولوجى وتم نقله لبؤرة معينة. ثم ما لبث أن انتشر وأضحى فيروس كورونا المستجد يتفشى فى ربوع وبقاع العالم بوتيرة وسرعات مختلفة طبقاً لدرجة التعامل معه والخطوات الاستباقية بجدية والمنهجية العلمية فى التعامل وسلوك الدول وثقافة الالتزام الشعبية لمواجهته.

-ومن المهم اتباع المنهج العلمى فى المعالجة بالأدلة العلمية الدقيقة وليس الاعتماد على فروض نظرية المؤامرة الوهمية.

- سوف تسفر هذه الأزمة دون تهويل ولا تهوين فى رأيى عن إيناع نظام دولى جديد يختلف عن مرحلة ما قبل كورونا المستجد.

- أقترح فى إطار الإعداد لنظام دولى جديد ما بعد فيروس كورونا المستجد كوفيد - ١٩ ما يلى :

وفى ضوء الآتى :

أ - فشل علاج أزمة كورونا المستجد عالمياً.

ب - اندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ وإنشاء عصبة الأمم وفشلها.

ج - قيام الحرب العالمية الثانية وإقامة منظمة الأمم المتحدة وعلى ضوء الظروف الكارثية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية على مستوى العالم بسبب ذلك الفيروس وعدم قدرتها على التعامل بقوة لمجابهة هذا الفيروس القاتل الصامت الخبيث، فإننى أدعو شخصياً لإنشاء نظام دولى جديد يتضمن الآتي:

- أهمية إعادة صياغة ميثاق الأمم المتحدة.

- إعادة صياغة مفاهيم مهمة خاصة الأمن القومى والأمن الإقليمى والأمن الإنسانى والسيادة

والتعاون الدولى والأمن الجماعى والتضامن الدولى والأمن الإقليمى.

مثلما حدث عقب انتشار الطاعون فى أوروبا فى القرن ١٤ وما أحدثه من تغيرات بنيوية واقتصادية وسياسية فى أوروبا ومفهوم الدولة الحديثة والعلاقة بين السلطة والشعب وإيناع الدولة الحضارية الجديدة بمؤهلاتها وقدراتها اللازمة التى تؤكد مكانتها بأفعالها وليس بأقوالها فقط.

- وفى تقديرى أن قضية العولمة الجديدة فى عالم ما بعد كورونا تنذر بحرب باردة جديدة مرتكزة على صراع المصالح الاقتصادية بين الولايات المتحدة والصين وليس الأيديولوجية بين هذين القطبين الرئيسيين حالياً فى المؤهلات الاقتصادية وليس العسكرية الشاملة وذلك على الرغم من ارتباط المصالح الاقتصادية والإنتاج الاقتصادى وارتباط الشركات الدولية متعددة الجنسية بهما مع تزامن ذلك مع تصريح الرئيس ترامب بما يصفه بالفيروس الصينى المسبب لانتشار وباء كورونا المستجد كوفيد - ١٩ ونفى الصين لذلك.

- فى إطار العمل لإنشاء نظام دولى جديد عادل وإنسانى فإن ذلك يتطلب البحث عن آليات جديدة تعلى ما أسميه المشترك فى الإنسانية خاصة إعادة مفاهيم وآليات ما يلي:

- الحق فى الحياة.

- وحق الصحة.

- وحق العمل.
- الحق فى التعليم.
- الضمان الاجتماعى.
- حماية حقوق المسنين.
- حماية حقوق الشباب.

- تحديد مفهوم آليات السوق والعرض والطلب وعلاقاتها بقطاعات ضرورية مثل الصحة والتعليم والغذاء.

- هذا بالإضافة إلى حقوق الإنسان المستقرة فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان والاتفاقيات الدولية ذات الصلة.

- أهمية تشكيل تجمع دولى جديد وإعادة بعث وتطوير وتنشيط حركة عدم الانحياز الجديدة بغرض صياغة نظام مالى وتجارى وسياسى وثقافى عالمى جديد عادل.

-من أهم المتغيرات التى سيشهدها النظام المالى الدولى الجديد وتأثيره على حرب العملات الدولية والتوازن الاقتصادى الدولى هو مسعى الصين لإصدار عملة رقمية صينية.

وتختلف العملة الرقمية الصينية، ويرمز لها حتى الآن بـ DC/EP عن البيتكوين المستخدمة على نطاق محدود فى المضاربة وفى القليل جداً من المعاملات. كما تختلف أيضاً عن مشروع مارك زوكر بيرج لإصدار عملة رقمية أطلق عليها اسم (ليبرا).

العملة الرقمية الصينية، على عكس البيتكوين والليبرا (أى رمز الميزان باللغة اللاتينية)، هى عملة صادرة عن البنك المركزى الصينى ولها أوزان مرجحة للعملات الرئيسية الأخرى.

- وأن ذلك فى تقديرى يعنى التأثير على التعامل التجارى مع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبى وداخل مجموعة دول بريكس وتجمعات آسيوية مهمة والتعامل مع روسيا الاتحادية والهند وباكستان وإيران وغير ذلك.

- أهمية وضع الآليات اللازمة على المستوى الدولى والإقليمى وغيره للصحة ولكبار السن والشباب والمرأة والطفل والأسرة معاً بعدما انتشر مفهوم العلاج للشباب بشكل متحيز فى بعض الدول المتقدمة خاصة فى ظل عدم قدرة النظام الصحى على الاستيعاب الكامل للمرضى.

- أن تلك الأزمة أبرزت أهمية الاعتماد على الذات فى وقت الأزمات وغير ذلك ليس فقط من أجل تحقيق التكافل الاجتماعى بل أيضًا لمواجهة جميع التحديات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمنية والثقافية والإعلامية والنفسية.

- أن الأزمة أوضحت أهمية البناء على المشترك بين الشعوب واستثماره وتشجيع عمليات التواصل والتعددية الثقافية وبناء وترسيخ العلاقات بين الشعوب.

- كما أنها أوضحت ضرورة العمل على القضاء على ما يدافع عنه البعض مما يسمى بصراع الحضارات.

- فى ضوء انحسار الفيروس تتحرك مصر ومعظم الدول ومنظمة الأمم المتحدة والمنظمات والوكالات الدولية التابعة لها إلى رفع تدريجى لقيود فيروس كورونا المستجد عن بعض قطاعات الخدمات والأعمال الضرورية وفقاً للقواعد والإجراءات التى تضعها مصر وكل دولة ومنظمة وذلك فى ضوء وجود مؤشرات عالمية على تراجع الإصابة بكورونا وسوف تبدأ مصر العلاج ببلازما المتعافين.

- أنه كما كانت أزمة فيروس كورونا المستجد محنة فقد كشفت أنها منحة ومن ذلك أصبحت هناك ضرورة عملية من أجل تفعيل التعاون الدولى لأول مرة لمواجهة عدو خفى عالمى رغم استمرار النزاعات والصراعات المستعرة واستنزاف الشعوب خاصة فى منطقتنا العربية.

- أن التحرك لمواجهة هذا الخطر الحالى يجب أن تكون علمية وإنسانية بدون دوافع اقتصادية أو سياسية أو دينية أو ديموغرافية أو استخباراتية.

- أنه مما يرثى له فقد كشفت تلك الأزمة عن وجود قلة نادرة ترفض دفن من توفى بسبب فيروس كورونا فى مدافنهم بدعوى الخوف من انتشار الوباء وقد تم التصدى لهم وإدانة هذا التصرف غير الأخلاقى وغير القانونى.

- كان لتلك الجائحة حتى الآن آثار كارثية على سوق البترول والدول المنتجة حيث انخفضت أسعاره فى بعض الأوقات إلى الصفر ثم انخفضت الأسعار إلى ما دون حوالى ٣٧ دولاراً تحت الصفر. وكان لذلك آثار كارثية على الدول المنتجة للبترول.

- يلاحظ أن تلك الأزمة قد ساهمت فى انخفاض كبير لنسبة التلوث البيئى نتيجة توقف حركة السيارات والقطارات.

لذا أرى أنه يجب أن يعاد النظر فى دور الدولة والشركات الكبرى داخل النظام الدولى الجديد فى إطار الحفاظ على القوة الشاملة للدولة وللفرد وزيادة الوعى والتعاون وتحقيق المصلحة وقضية الترابط والأنشطة الاقتصادية بين الدول.

- يلاحظ انخفاض الجريمة بكافة أشكالها فى العديد من الدول بسبب كورونا مقابل تزايد القرصنة الإلكترونية.

- تزايدت حركة ومكاسب شركات الإنترنت والتجارة الإلكترونية وارتفعت أسهم شركاتها وصناعة الترفيه الإلكترونى والثقافى بكافة أشكاله إلكترونياً مقابل الخسائر الكبيرة لدور السينما والمسرح والصناعة التقليدية بسبب التباعد الاجتماعى وتوقف حركة السفر والسياحة وانتشار العزلة بين الدول وداخلها وعاش الكثيرون فى معازل وحجر صحى منزلى قاس مما دفع الاتجاه إلى تخفيف قيود العزل وسوف يتوقف تطبيق ذلك على جدوى ثقافة الالتزام والانضباط للحفاظ على الأمن الصحى وسلامة الجميع.

- نجحت تجربة التعليم عن بعد من خلال التعليم الإلكترونى وتحول البيت إلى شبه مدرسة أو مكتب للعمل ويجب الأخذ فى الاعتبار أن البيت ليس بديلاً عن المدرسة والذهاب إلى المدرسة والعمل والاستفادة من هذا التطور الإيجابى.

دنيا العادات والتقاليد فى مكنز الفولكلور

دنيا العادات والتقاليد ورمزها (ـ 3) بموقع مركز توثيق التراث على الإنترنت وبمكنز الفولكلور المطبوع الذى وضعه الدكتور مصطفى جاد، هى الأخرى دنيا واسعة سعة الحياة وتراكمات الزمن.. ما هى اعتقادات الناس حول الحمل والميلاد وعاداته ومناسباته: الحمل والوحم، والوضع وعلاماته، ومستلزماته وأدواته. الوالدة: طعامها ومتى يسمح بزيارتها، والوليد والحبل السرى وجنس المولود والعناية به وتجميله ووقايته من السحر بالتحويطة والأحراز .. رضاعته وتسميته .. السبوع وموعده وطقوسه: الشموع ورش الملح والغربلة ودق الهون والعقيقة والنقوط.

رجائى عطية

rattia2@hotmail.com

عادات الزواج والخطوبة والشبكة والمهر والجهاز، تزيين العروس والحنة وكتب الكتاب والزفاف ومتى يسمح برؤية العروس، نقوط الزفاف ونفقاته، والكوشة ومصاحبة العروس واختبار العروسين. الدخلة وضوابطها، الصباحية وعاداتها. الموت وعلاماته وطقوسه وعادات التعامل معه. الأعياد الإسلامية: المولد النبوى، وطلعة رجب، والإسراء والمعراج، والنصف من شعبان، واحتفالية رمضان وصومه، وليلة رؤية الهلال، والسحور والمسحراتى والإفطار وموائد الرحمن. الكنفانى وفانوس رمضان، عيد الفطر وكعك العيد، والعيدية، وعيد الأضحى وأضحيته وصلاته .. فتة العيد والمحمل وليلة القدر. الأعياد القبطية: عيد النيروز وبلحه وخروج الماشية فيه إلى نهر النيل، ورؤية رأس المعمدان، عيد الصليب، وعيد الصوم الكبير، وعيد الملاك: قرص الملاك وشكشوكة السمك ونزول النقطة، عيد الميلاد وعيد الغطاس وعيد الرسل وعيد العذراء وعيد البشارة وأحد السامرية وأحد التناصير .. أربعاء أيوب وخميس العهد والجمعة الكبيرة وسبت النور وعيد القيامة وعيد الصعود. الأعياد القومية: شم النسيم ووفاء النيل وكسوف الشمس وخسوف القمر وليلة النقطة وكذبة أبريل .. مواسم الزرع وإعداد التربة وبذر التقاوى وتلقيح النبات ورى الأرض وعلاج الزرع، ومواسم الحصاد وبشارات المحصول وجمعه وكيله وحفظه. دنيا القانون والتحكيم العرفى: المجالس العرفية وقضاتها وأنواعهم ومسمياتهم: رجال الصلح، والملم (راعى البيت فى القضاء البدوى)، والضريبى (فى قضايا العرض والاعتداء على الحرمات)، وأهل الديار (فى نزاعات ملكية الأرض وحدودها)، وأهل الفلاليح (فى المنازعات حول الزراعة)، وأهل العرايش (نزاعات النخيل)، والزيادى (فى قضايا سرقة الحيوانات)، والمسعودى أو المنشد (فى مسائل الأحوال الشخصية الخطيرة)، ومناقع الدم (فى الإصابات والجروح)، والعقبى (فى المهور والطلاق)، وقضاة أصحاب الحرف، والمراضى (القضاة الشرعيون بالصحراء الغربية) .. لهؤلاء القضاة أعوان: المبشع، والسامقة، والأمينة، وكاتب الجلسة .. وللقانون العرفى مواد، ولها حفاظ .. من أشهرهم «أولاد على» فى الصحراء الغربية .. ولفض المنازعات قواعد: العطوة (كالهدنة)، ونقل الجيرة، والبشعة، وحلف اليمين، والعقوبات العرفية.

فى عالم الأدب الشعبى والملاحم والأساطير ـ ورمزها (ـ 4) بالموقع والمكنز ـ يتجلى التلاحم العربى فى تراثنا العريض المتراكم فى الأدب الشعبى. الأساطير المصرية والعربية والإفريقية والبابلية والهندية والآشورية والكردية والإيرانية، وما بينها من تلاحم، والحكايات الشعبية والخرافية، والاجتماعية والسياسية والأخلاقية، وحكايات المعتقدات حول الأولياء والقديسين، والقصص العربى فى خلق الكون والسيرة النبوية وقصص الأنبياء، وقصص الملوك والحكام والحب والعشق والرحلات، وقصص الأذكياء، وقصص الحمقى والمغفلين. السير والملاحم الشعبية: السيرة الهلالية وحكاياتها وأبطالها: أبوزيد الهلالى ودياب غانم والزناتى خليفة وخضرة الشريفة. سيرة عنترة بن شداد وأحداثها فى مرحلة التكوين ثم الفروسية ثم الأسطورة ثم المرحلة الملحمية وامتدادها وأبطالها .. عنترة وشيبوب وعروة وعبلة وأولاد وبنات عنترة. سيرة الظاهر بيبرس، وأحداثها بين الواقع والخرافة، وشخصيات السيرة وأبطالها. سيرة الأميرة ذات الهمة وأحداثها ومواليد بنى كلاب وحرب الروم وأبطال السيرة وقصة أميرتها ذات الهمة: فاطمة بنت مظلوم بن الصحصاح بن جندبة بن الحارث الكلابى. سيرة على الزيبق وملاعيبه، وسيرة سيف بن ذى يزن وأحداثها وحكاويها فى حرب الأحباش والبحث عن كتاب النيل وعبدة النار وحكايات الأبطال: سيف بن ذى يزن، وعاقصة ابنة الملك الأبيض (الجنية أخت الملك سيف فى الرضاعة)، والحكيمة العاقلة أو الساحرة التى

تساعد سيف بن ذى يزن. سيرة الزير سالم وحرب التبع والبسوس وثأر كليب، وسيرة حمزة البهلوان، وسيرة فيروز شاه ما بين السودان واليمن ومصر والهند والصين وإيران. المغازى والسير: الشعرية والنثرية والتاريخية.

وتحت رمز (ـ 5) بالموقع والمكنز، نطل على المواويل والأشعار. الأغانى الشعبية للميلاد والزواج والوفاة. الأغانى الدينية فى القصص الدينى وفى المدائح النبوية وجماعات الطرق الصوفية والابتهالات والأغانى الكنسية. أغانى الأعياد والاحتفالات، فى أعياد الفطر والأضحية والحج ورأس السنة الهجرية، وأغانى عاشوراء وأغانى شم النسيم وأغانى القمر وأغانى التقديس فى الأعياد المسيحية. أغانى العمل والزرع والحرث والحصاد. أغانى الساقية والشادوف والطنبور. أغانى الرعاة والصيادين والبحارين. أغانى السمر ومواويل الحب، وأغانى الإنشاد الدينى والزار. الأمثال الشعبية فى الأشياء والحيوانات والطيور، وفى السموات والكواكب والنجوم، وفى عالم الملائكة والجان، وفى العفاريت والأسياد! دنيا الألغاز وعالمها المبهر الذى لاينتهى ولا يفرغ له معين! الفنون الشعبية وموسيقاها وأغانيها فى الميلاد والزواج والوفاة، وفى القصائد والتلاوات والابتهالات الدينية. موسيقى وأغانى العمل فى مواسمه ومراحل الزرع، والرى والحصاد، وموسيقى وأغانى الرقص والأسمار، وآلات الموسيقى: الآلات الوترية وآلات النفخ بأنواعها العديدة الطريفة، وآلات النقر والإيقاع من الدربكة والدف والمزهر إلى الطار والبازة والنقرزان والطبول والكاسات والصاجات. الصيغ الموسيقية الآلية، والفرق والمؤدون الشعبيون: المنشد الدينى أو الصييت، والمغنى البلدى، والمداح، وشاعر السيرة، والموالدى، والمداوى، والصحبجى. المراقص والألعاب التمثيلية والدراما الشعبية والمسرحية، والأزياء والحلى الشعبية.

أما القطاع الرئيسى الأخير ورمزه (ـ 6) بالموقع على الإنترنت وبالمكنز ـ فيحوى كل ما يندرج فى الثقافة المادية من حرف وأبنية وسك معادن ومشغولات ذهبية وفضية ونحاسية وزجاجية، وحرف النجارة والحدادة والرخام والفخار والجلود والمكرميات والغزل والنسيج والصباغة والحصير والسروجية والسيوفية والخيامية، وصناع الشموع والخزف والخوص والطوب والحياكة والسبح والخرز والحبال والأحرمة والطواقى .. أرباب المهن الشعبية: السقاءون، والسماكون والصيادون، والبلانات والدلالات، والحلاقون والرعاة والعطارون والباعة الجائلون. دنيا عريضة عرض الحياة، طويلة طول التاريخ منذ بدء الحياة فى مصر والمنطقة العربية إلى الحاضر الذى نعيش فيه!

كم كنت أتمنى أن يعيش أديبنا الفذ يحيى حقى، عاشق مصر الكبير، إلى اليوم الذى يرى فيه هذا العمل الرائع الذى نهضت على جمعه وتبويبه وتعبئته همم وقرائح وعزائم، ويسرت الإطلال ـ وبيسر وسهولة دانية ـ على تراكمات هذا التراث الشعبى .. معتقداته وعاداته وتقاليده وآدابه وفنونه وملاحمه وأساطيره ومواويله وأغانيه وأشعاره وحرفه ومنتجاته المادية .. كم كنت أتمنى ـ لولا ضيق المقام ـ أن أحكى لك ما عاناه يحيى حقى ورواه فى كتابه الرائع: «يا ليل يا عين»، حين شرع بمصلحة الفنون فى إقامة عرض للفنون الشعبية، ردّا لزيارة الفنون الشعبية الصينية مرة، وتحية للرئيس تيتو ضيف عبدالناصر مرة .. كيف وجد الوفاض خالياً تمامًا مما يمكن عرضه وتقديمه للفنون الشعبية، فأرسل زكريا الحجاوى ليجوب قرى مصر ونجوعها ودساكرها ليقوم بمسح جغرافى لفنوننا الشعبية فى ربوع مصر. أكاد أرى يحيى حقى وقد ارتسمت على ملامحه ابتسامته العذبة وفرحه الغامر، لو لحق بهذا العمل الجليل!

«كورونا» يضع العالم على أعتاب أزمة أمن غذائى:

والفقراء الأكثر تضررا

بينما تواصل التحذيرات والتوقعات السلبية من جراء استمرار فيروس كورونا فى الانتشار على سطح الكرة الأرضية وبالرغم من أن حجم تأثير المرض على كافة المجالات مازال قيد الدراسات المستفيضة إلا أن تأثيره الاقتصادى يمثل تخوفا كبيرا لدى كافة دول العالم فى المقام الأول فالحقيقة المؤكدة هى أن هذه الجائحة قد تسببت بالفعل فى حدوث تراجع اقتصادى على المستوى العالمى ومن المرجح أن ينسحب ذلك على الاقتصاديات النامية وفى هذه السياقات يمكن للتباطؤ الاقتصادى أن يزيد من تفاقم مشكلة انعدام الأمن الغذائى القائمة حيث إن ظروف الإجراءات الاحترازية التى تتخذها الدول لمكافحة هذا الوباء تحد من قدرة الأفراد على الوصول إلى المواد الغذائية بطرق مختلفة بينما انخفاض الدخول أو ارتفاع معدلات انعدام الأمن الوظيفى.

هادية الشربيني

sherfayez@yahoo.com

وتحت عنوان «كيف نحد من تأثير فيروس كورونا فى الأمن الغذائى تطرق برنامج الأغذية العالمى التابع للأمم المتحدة إلى الأزمة المرتقبة فى سوق الغذاء العالمية مطالبا بضرورة تجنب التكالب على السلع ورصد الأسعار ودعم المحتاجين من خلال شبكات الحماية الاجتماعية التى يمكن أن تحد من تأثير تفشى هذا الوباء العالمى.

ويعتقد كبير الخبراء الاقتصاديين فى برنامج الأغذية العالمي عارف حسين بأنه فى الوقت الذى ينبغى أن يكون فيه القطاع الغذائى والزراعى أقل تضررا عن غيره من القطاعات إلا أن نقص العمال بسبب تفشى المرض أو توقف عمليات النقل وإجراءات الحجر الصحى تحد من القدرة على الوصول للأسواق وحدوث انقطاعات فى سلسلة التوريد ينجم عن خسارة المواد الغذائية وهدرها وهذا من شأنه أن يؤثر فى عمليات التوريد.

وتشير التقارير الصادرة عن الأمم المتحدة أن فيروس كورونا قد يضع العالم على أعتاب أزمة أمن غذائى لأن الانتشار الواسع النقاق للمرض فى أى بلد فقير أو أكثر فقرا قد يؤدى إلى دخولها فى مرحلة أعلى معدل لانعدام الأمن الغذائي الحاد.

ووفقا لهذه التقارير فإن إنعدام الأمن الغذائى الحاد يحدث عندما لا يستطيع الشخص تناول ما يكفيه من الطعام بما يعرض حياته أو سبل عيشه لخطر مباشر.

ويعتقد الخبراء بأنه حتى يمكن الحد من التأثير السلبى لجائحة كورونا على الأمن الغذائي العالمى فإنه على كافة البلدان الاحتفاظ بهدوئها فى مواجهة اضطرابات سلسلة الأحداد وعدم اللجوء إلى سياسات افقار الجار والعمل على تسهيل التدفق السلس للتجارة العالمية بما يساعد على تأمين توريد الأغذية.

نصف مليار تحت خط الفقر

ومن هذا المنطلق حذرت منظمة أوكسفام الخيرية من الأثار الاقتصادية لوباء كورونا التى قد تدفع بنصف مليار إنسان للعيش تحت خط الفقر ما لم يتم تقديم خطط دعم عالية عاجلة للدول الفقيرة التى تعانى من تفشى الوباء.

وأشارت التقديرات الاحصائية لتقرير أوكسفام بأن تأثير الإغلاق فى مختلف دول العالم أثر بشكل كبير على الدول الفقيرة فى جنوب الصحراء الأفريقية وساحل البحر المتوسط ومعضلة الشرق الأوسط مما يعيد الحرب ضد الفقر ومكافحته على المستوى العالمى لما كانت عليه قبل 03 عاما فى هذه المناطق على وجه الخصوص.

وفى أول جلسة مفتوحة عقدها مجلس الأمن الدولى منذ بدء انتشار «كوفيد ـ 91» أعلن «ديفيد بيزلى» المدير التنفيذى لبرنامج الأغذية العالمى التابع للأمم المتحدة بأن العالم لا يواجه جائحة صحية عالمية فحسب بل يواجه أيضا كارثة إنسانية عالمية وأن الانتشار العالمى «كوفيد ـ 91» أسفر عن أسوأ أزمة إنسانية منذ الحرب العالمية الثانية مؤكدا بأن العالم بالفعل يواجه عاصفة قوية.

ووفقا لتصريحات بيزلى أمام مجلس الأمن فإن ملايين المدنيين الذين يعيشون فى دول متضررة من النزاع بما فى ذلك العديد من النساء والاطفال يواجهون خطرا حقيقيا وخطيرا للغاية يتمثل فى الوقوع فى براثن المجاعة.

ووفقا لتقرير برنامج الأغذية العالمى فإن هناك 531 مليون شخص يواجهون مستويات الجوع أو ما هو اسوأ من ذلك الحاجات 031 مليون شخص اضافى على حافة المجاعة بسبب انتشار فيروس كورونا ومن الجدير بالذكر فإن البرنامج العالمي للأغذية يقدم حاليا المساعدات التى تعد شريان الحياة لما يقرب من مائة مليون شخص بدلا من حوالى 08 مليون شخص قبل بضع سنوات فقط ومن ثم فإذا لم يتمكن البرنامج من الوصول إلى هؤلاء الأشخاص فى خلل الأوضاع الحالية فإن الخبراء يتوقعون أن يموت 003 ألف شخص من الجوع كل يوم على مدى ثلاث أشهر.

أنظمة الانذار المبكر

يعتبر برنامج الأغذية الدولى التابع للأمم المتحدة بمثابة «العمود الفقرى

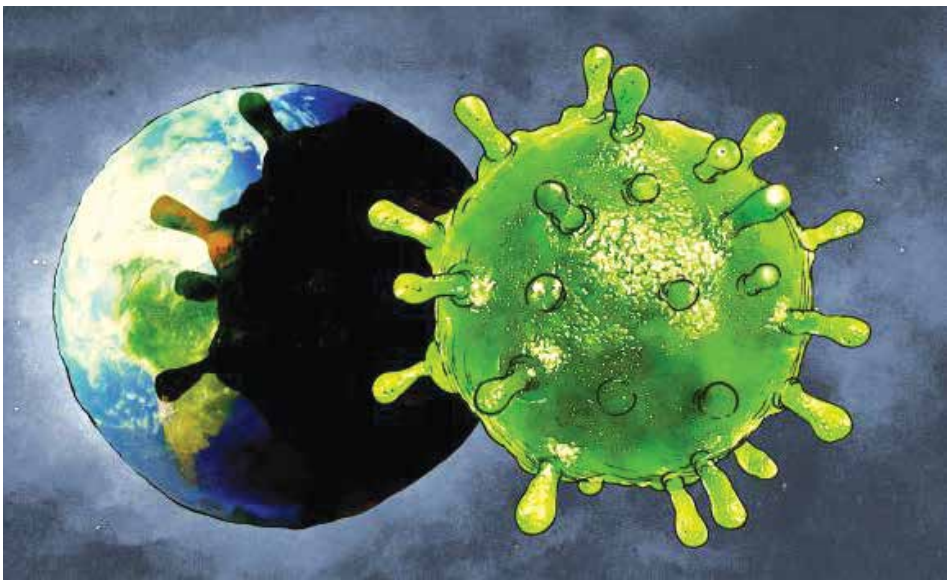

اللوجيستى» للعاملين فى المجال الإنسانى وأكثر من ذلك الآن بالنسبة للجهد العالمى للتغلب على جائحة كوفيد ـ 91 ومن ثم قام ديفيد بيزلى المدير التنفيذى للبرنامج بحث مجلس الأمن على تولى زمام المبادرة للعمل على إتاحة الفرصة لوصول إنسانى سريع ودون عوائق إلى المجتمعات الضعيفة واتخاذ إجراءات منسق لدعم المساعدة المنقذة للحياة وذلك بتوفير 053 مليون دولار لإنشاء شبكة من المحاور اللوجيستية للحفاظ على حركة سلاسل التوريد الإنسانية فى جميع أنحاء العالم.

وأكد بيزلى على الحاجة لانظمة الانذار المبكر لأننا إذا لم نستعد ونتصرف من الآن لتأمين الوصول وتجنب نقص التمويل وتعطيل التجارة فقد نواجه مجاعات متعددة ذات أبعاد مدمرة فى غضون بضعة أشهر قصيرة فالوقت ليس فى صالحنا وعلينا العمل بحكمة وسرعة ومن جانبه سلط «تشو دونج يو» المدير العام لمنظمة الاغذية والزراعة «الفاو» الضوء على أن هناك حاجة إلى إجراءات متماسكة بين الجهات الفاعلة الانسانية والاغاثية والسلام لمعالجة الاسباب الجذرية لانعدام الأمن الغذائى الحاد.

وأوضح دونج يو بأن توقعات الأمن الغذائى فى عام 0202 تبدو قائمة مشددا على أهمية الانذار المبكر والإجراءات السريعة لاستباق انعدام الأمن الغذائى الناجم عن الصراعات والصدمات الاقتصادية والآن «كوفيد ـ 91».

إلا أن المدير العام للفاو عاد وأشار إلى أن هناك بصيص أمل من حيث أنه من خلال مراقبة تطور هذه الصدمات عن كثب يمكننا التدخل بسرعة للتخفيف من أثارها.

الأولوية للفقراء

بدون شك ووفقا للدراسات الاقتصادية الدولية فإن الدول التى تعانى مستويات مرتفعة من إنعدام الأمن الغذائى تكون أقل استعداداً لمواجهة تفشى المرض على نحو وبائى وتزداد احتمالية ارتفاع معدلات الوفيات فيها.

وفى الوقت نفسه تعتمد الزراعة والصناعات الخدمية فى البلدان الأشد فقرا اعتمادا أقل على التكنولوجيا واعتمادا أكبر على التواصل المباشر وهذا يعنى أن إجراءات احتواء انتشار مرض الكورونا المصممة على أساس الحد من التواصل بين البشر قد تتعرض لخسائر أكبر.

ومن ثم فقد تؤدى العواقب الاقتصادية المترتبة على هذا المرض إلى تعزر عدد يفوق المتضررين من المرض نفسه ومن ثم فقد وصت المنظمات الدولية المعينة بتوفير الغذاء ودعم الأمن الغذائى الدولى بالتفكير بالفقراء بالعديد من البلدان الذين يعتمدون على الواردات لتلبية احتياجاتهم الغذائية وحاجتهم من الوقود ويعتمدون على الصادرات من السلع الأساسية ليدفعوا مقابل احتياجاتهم لأنه لمثل هؤلاء فإن التراجع الاقتصادى بسبب كورونا يعنى ارتفاعا كبيرا فى أسعار الواردات وانخفاضا كبيرا فى الصادرات وبالتالى فنحن فى أمس الحاجة لضمان نجاتهم من تلك الضربة القاضية المزدوجة ومد يد العون لهم لكى يتجنبوا القرض لأزمة غذاء طاحنة هم فى غنى عنها.

وقد سبق لوزير التنمية الألماني أن حذر من تداعيات جائحة كورونا الراهنة ولاسيما بالنسبة لبعض الدول الأفريقية مطالبا بمديد العون للدول الفقيرة ليس على مستوى المساعدات الغذائية فقط بل على مستوى مدها بالعقاقير والأمصال التى قد تتوافر للحد من انتشار الوباء.

وعلى كافة الاحوال فإن بعض الدراسات تؤكد بأنه من الثابت علميا وتاريخيا حدوث مجاعات بعد الأوبئة التى شهدها العالم بيد أن الفرق بين الماضى وما يحدث الآن أن النقص فى الناتج الغذائى وتوفير الطعام كان مرده فى الغالب لنفص العنصر البشرى وعدم القدرة على العمل ولكن حاليا وبعد أن حلت التكنولوجيا محل الأيدى العاملة فى الكثير من المجالات الزراعية والصناعية وفى مجالات النقل وبالتالى فإن التأثير سيكون أخف وطأة على الدول القوية والمتقدمة بيد سيكون قاسيا لدى الدول الضعيفة النامية ومن الأرجح أن السنوات المقبلة بعد زوال الجائحة ستشهد إعادة فى توزيع الثروات عبر العالم بحيث ستزيد من تركيز الثروة فى يد الأغنياء وسيزداد الفقرء فقرا وهذا يبين أهمية تنفيذ الدول الغنية لما فعلته على نفسها من وعود بشأن الدول الفقيرة الأكثر تضررا بتقديم حزمات من المساعدات الاقتصادية ومراجعة ديون الدول الأكثر فقرا وبالتالى فإن الأمل ينقد على أن تغير الدول الغنية من أنماط تعاملتها السابقة مع الدول الأكثر فقرا ولاسيما وأن الأمم المتحدة تقدر أن محو الآثار السلبية لأزمة كورونا على الدول النامية تتطلب أكثر من 5.2 تريليون دولار بعد زوال الجائحة الكرة ستصبح فى ملعب الدول المتقدمة وحتى ينعم الجميع بإزالة آثار عدوان كورونا لابد مديد العون للدول الفقيرة لأننا جميعا نحيا على كوكب واحد لابد أن تسوده مبادئ التعاون المتبادل والتعايش السلمى والرخاء.

الدولة عبر التاريخ
فى السياسة والجغرافيا والقانون والجيواستراتيجى

الدولة إقليم سياسى فى مفهوم التاريخ الحضارى والجغرافيا السياسية:
لما كانت الدولة واحدة من أهم الظواهر السياسية فى المكان. فإن تركيز التاريخ الحضارى والجغرافيا السياسية على تحليلها يقتضى الإلمام بتطور مفهوم فكرة الدولة ونشأتها. فالدولة هى تطور لعدة ظواهر تاريخية وجغرافية وسياسية وقانونية واجتماعية وحضارية وثقافية وغيرها. فلقد كانت النشأة الأولى بعد اكتشاف الإنسان للزراعة واستئناسه للحيوان ومعرفته لقيمة النبات. فعن طريق اكتشاف الزراعة والاستقرار فى المكان بصفة دائمة أخذ فى إنشاء المدنية والحضارة، الأمر الذى أدى إلى تقسيم التطور الحضارى للبشرية إلى ثلاث مراحل رئيسية هى مرحلة الجمع والالتقاط والصيد، ثم مرحلة الزراعة، وأخيراً مرحلة التصنيع.

وهذا الأمر هو ما جعل الوحدة الأولى لارتباط الإنسان بالمكان هى الظاهرة البشرية أى العائلة أو الأسرة الكبيرة. ومن ثم دخل الإنسان بعد ذلك مرحلة التنظيم القبلى نتيجة اندماج الأسر والعائلات مع بعضها، حيث أصبح التنظيم القبلى أكثر تقدماً اجتماعياً وسياسياً، وأسفر هذا التحول والانتقال عن نشأة شكل الإقليم السياسى الأكثر اتساعاً، الأمر الذى أصبح فيه اختيار مفهوم الدولة وارداً لتنظيم شئون الرى والزراعة، والعلاقة بين الأرض والإنسان والمكان. حيث نشأت هذه الفكرة فى الأودية النهرية مثل وادى النيل فى مصر، وأودية دجلة والفرات فى العراق، وأودية أنهار الهند والصين.

مصر أقدم الدول فى التاريخ الإنسانى:

وبالنسبة لمصر فإن الحاجة لتنظيم شئون الرى والزراعة والتحكم فى النهر، جاءت بعد استقرار المصرى القديم فى وادى النيل مع العصر الحجرى الحديث حوالى الألف الثامن قبل الميلاد نتيجة استقرار حالة المناخ المطير التى سادت شمال إفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحجرى القديم الذى استمر منذ حوالى عشرين ألف عام قبل الميلاد حتى الألف الثامنة قبل الميلاد، الأمر الذى أخذت فيه الأمطار تقل رويداً رويداً، ثم أعقب ذلك عصر جفاف طويل أدى إلى تحويل شمال إفريقيا إلى صحراوات شاسعة.

وكانت مصر من أقدم الدول التى ظهرت فى التاريخ البشرى، فاستقر الإنسان على أرضها فى الألف الثامنة قبل الميلاد بعد انحسار العصر المطير، فما كان من الإنسان المصرى إلا التجاوب مع البيئة الجديدة والاستقرار على شاطئ النيل فى واديه

سفير د .عادل السالوسي

dr.adelelsaloussy@hotmail.com

شمالاً وجنوباً بسبب تراكم طبقات الغرين، الأمر الذى أدى به إلى استئناس الحيوان واكتشاف الزراعة وأدواتها وتشييد المساكن وتنظيم الجماعات على أساس المصالح المشتركة، وصنع الأوانى الفخارية والآلات الحجرية، ثم بدأ فى بناء أول مجتمع كبير لعبادة الإله رع رب الكون وإله الشمس بالنسبة له فى مدينة أون أو هليوبوليس عام 4242 قبل الميلاد، أى تقريباً بعد مرحلة استقرار فى الوادى استمرت حوالى أربعة آلاف عام تكون فيها وادى النيل ضيقاً فى الجنوب واسعاً فى الشمال مكوناً الدلتا بسبب تراكم وترسب طبقات الغرين بداية من الألف الثامنة قبل الميلاد.

الملك مينا «نعرمر» موحد القطرين عام ٣٢٠٠ق.م:

ثم ظهرت مرحلة أخرى من التفاعل السياسى مع البيئة ظهر فيها أحد الملوك العظام ويسى مينا Weues قام عام 3200 قبل الميلاد بتوحيد القطرين الشمالى والجنوبى حيث كانت مصر مقسمة منذ عصر مملكة رع فى أون إلى 42 إقليماً منها 20 فى الشمال و22 فى الجنوب، وقام هذا الملك ورجل الدولة المفكر باختيار موقع وسط بين أون فى الشمال مكان عين شمس الحالية والأقصر عاصمة الإقليم الجنوبى، ولتكون العاصمة الجديدة فى موقع وسط فى منف wemphis ومكانها الآن قرية ميت رهينة وليكون ذلك ترضية لأهل الشمال والجنوب، الأمر الذى جعل هذا التجاوب بين المكان والزمان والإنسان بالنسبة لمصر قلب العالم القديم جغرافياً، وقبلته التاريخية والحضارية والإنسانية.

وإن ذلك كان فى الواقع اعتقاد الكثير من علماء الحفريات والآثار والمصريات أمثال العلامة فلاندرز بترى الإنجليزى وجيمس هنرى بريستد الأمريكى وأدولف إيرمان الألمانى وماسبيرو الفرنسى الذين أقروا مع عدد كبير آخر من العلماء والمؤرخين والجغرافيين وعلماء الإنثروبولوجى، وأتفق معهم جميعاً وأضم صوتى إليهم باعتبارى من دارسى الحضارات القديمة لمصر والشرق الأدنى القديم وبلاد ما بين النهرين ولمعرفتى باليونانية واللاتينية والحضارتين الإغريقية والرومانية، بأن فكرة الدولة نشأت فى مصر وانتقلت منها إلى مدن ودويلات الشرق الأدنى القديم Le-vant مع استحداث هذه المدن والدويلات فى الشرق الأدنى وبلاد الإغريق لنظام دول المدينة city-state أو الـ polis وذلك للطبيعة الجغرافية وتضاريس المكان المكونة لهذه المدنيات والحضارات القديمة سواء في الشرق الأدنى مثل صيدا وصور وجبيل وعكا على الساحل الفينيقى أو أور ur ولاجاش وأوما وبابليون فى بلاد دجلة والفرات، أو إسبرطة وأثينا ومقدونيا وطيبة وكورنث وغيرها من بلاد الإغريق، وروما عاصمة الإمبراطورية الرومانية.

اغسطس اوكتافيانوس

قسطنطين الأول

طبيعة نشأة الدولة فى أوروبا فى العصور الوسطى والحديثة:

جاءت فكرة نشأة الدولة فى أوروبا في فترة العصور الوسطى مغايرة للأوضاع التاريخية والاجتماعية والسياسية والحضارية عنها فى بلاد وحضارات الشرق الأدنى القديم. فلقد تدهورت أوضاع الإمبراطورية الرومانية التى سادت عالم البحر المتوسط بكل ولاياتها عن الحضارات القديمة فى مصر والشرق الأدنى القديم والغرب فى قرطاجنة بعد سقوطها عام 146 قبل الميلاد، إلى تدهور أوضاع الإمبراطورية وعدم قدرتها على التحكم فى ولايات ومدن العالم الهيللينستى مثل الإسكندرية وبرجامة وقيصرية وأفيسوس والرها ونصيبين وغيرها، بل حتى أثينا اليونانية عاصمة الفكر والفلسفة لقرون خلت، وروما مجد الرومان فى العصور الملكية والجمهورية ثم الإمبراطورية منذ أغسطس قيصر العظيم الذى حكم من 27 ق.م حتى 14 ميلادية، وذلك بسبب التفسخ والانهيار والانحطاط والاضطراب الذى ساد الفترة الثانية للإمبراطورية بعد نهاية عصر الأباطرة العظام مع ظهور المسيحية واعتراف الإمبراطور قسطنطين العظيم فى شكل مرسوم ميلان عام 313 ميلادية بالديانة الجديدة بالإضافة إلى ديانة الإمبراطورية الفرنسية تهدئة للمشاعر والاضطرابات التى بدأت تسود أرجاء الولايات الرومانية التى كانت تنعم يوماً ما بالسلام الرومانى Pax Romanu الذى كان يسود العالم القديم وكل مدن ودويلات عالم البحر المتوسط قلب الحضارة والمدنية والمعرفة لقرون خلت.

الإمبراطور قسطنطين والاعتراف بالمسيحية وإنشاء عاصمة جديدة:

الأمر الذى جعل الإمبراطور قسطنطين يعقد فى عام 325 ميلادية أول مجمع مسكونى ضم كنائس الشرق الرئيسية مثل الإسكندرية وإنطاكية وأفسوس وروما وقيصرية فى مدينة نيقيا Nicea للبحث فى طبيعة السيد المسيح بعد حالة الاضطراب التى سادت أرجاء الإمبراطورية، فضلاً عن فترة الاضطهاد التى مرت بمصر خلال فترة حكم الإمبراطور السابق دقلديانوس وذلك بسبب أفكار الراهب أريوس وخصمه السكندرى أيضاً إثناسيوس حول طبيعة السيد المسيح، وصدر عن المجمع ما يسمى «قانون» الإيمان النيقى لتهدئة المشاعر وإحلال السلام والاستقرار والأمن داخل أرجاء ولايات الإمبراطورية الرومانية فى ظل وجود دين ومعتقد جديد بخلاف ديانة الإمبراطورية الوثنية وعبادة الإمبراطور نفسه باعتباره الكاهن الأعظم ورمز السلطتين الدينية والزمنية وظل الإله الأعظم على الأرض.

تواكب ذلك مع حرص الإمبراطور قسطنطين العظيم على إنشاء عاصمة جديدة للإمبراطورية الرومانية مكان بلدة بيزنطة القديمة على البسفور سماها روما الجديدة Roma Nova عام 330 ميلادية لكى تكون بعيدة ومحصنة عن المشكلات السياسية والأمنية وهجمات البرابرة الآسيويين من الهون من الشرق الآسيوى ثم بدايات ظهور جماعات المتبربرين من شمال وغرب أوروبا والزحف على أملاك الإمبراطورية من القوط الشرقيين والغربيين والماغيار والجرمان والوندال وغيرهم، وتسمت المدينة الجديدة باسم قسطنطين أى القسطنطينية وهى التى أصبحت فى عصر الإمبراطور ثيودوسيوس عام 395 ميلادية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وأصبحت روما القديمة على نهر التيبر هى عاصمة الإمبراطورية الرومانية الغربية، وتم تقسيم ولايات الإمبراطورية على هذا الأساس وأصبحت ولاية مصر تتبع الإمبراطور الجالس فى القسطنطينية.

هجوم البرابرة على الإمبراطورية الرومانية الغربية:

كانت أوروبا خلال تلك الفترات الزمنية تموج باضطرابات وتفسخ لمظاهر الحضارة والمدنية وشكل الإمبراطورية التى عهد العالم القديم فيها السلام والأمن والرخاء، الأمر الذى جعل فكرة ميلاد الدولة الحديثة فى أوروبا لم تنشأ بعد، حيث عاصرت القارة مخاض حروب وهجمات من المتبربرين غير المتحضرين على ولايات وأملاك الإمبراطورية الرومانية الغربية خاصة من عناصر الهون الوحشية التى جاءت من آسيا فى شكل موجات أعمالاً للهدم والتخريب والدمار لكل مظاهر الحضارة، وبالمثل جاءت من شمال أوروبا فى القرنين الرابع والخامس عناصر من الغجر الماغيار أى المجريين البرابرة والجرمان والقوط والوندال وغيرهم فى موجات من الزحف على مدن وولايات الإمبراطورية حتى تم إسقاط روما العاصمة عام 410 ميلادية على أيدى برابرة القوط بزعامة آتيلا، ثم كان السقوط الكبير والنهائى لروما عام 476 ميلادية على عهد البرابرة القوط الجرمان برئاسة أدواكر زعيم إحدى القبائل الجرمانية من إسكندنافيا.

تلت ذلك موجات من المتبربرين هرباً من الأوضاع المعيشية الصعبة فى شمال إسكندنافيا وشمال البلطيق تسمى الفايكنج فى مطلع القرن التاسع الميلادى، وكانت هذه آخر القبائل المتبربرة المنظمة التى اجتاحت أوروبا وبدأت فى تكوين مجتمعات قبلية كبرى ثم قومية وثقافية ولغوية أسفرت فى النهاية بعد عدة قرون عن أشكال إمارات ودوقيات وملكيات ودول خلال القرون 15، 16، 17 بل وحتى القرن 19 فى شكل استكمال الاتحاد الألمانى عام 1870 والوحدة الإيطالية عام 1870 لتتشكل أوروبا الحديثة بوضعها النهائى.

كما استطاع أحد الجرمان ويسمى شارلمان العظيم عام 800 ميلادية إحياء الإمبراطورية الرومانية الغربية المقدسة المسيحية ولتبدأ بعده حقبة جديدة فى التاريخ الأوروبى الوسيط، وليأخذ تاج تتويجه إمبراطوراً من أيدى البابا ليو الثالث ويضعه بنفسه على رأسه فى إشارة ورسالة لمرحلة جديدة من الصراع بين سلطة الكنيسة

الدولة عبر التاريخ

وسلطة الإمبراطور على رعايا وممالك الدولة الرومانية المسيحية الجديدة، ولتدخل أوروبا فى مرحلة صراع طوال العصور الوسطى التى تسمى بالمظلمة نتيجة تراجع دور العلوم والفنون والآداب وظهور الخرافات بسبب سيطرة رجال الدين غير المتنورين على المجتمع الأوروبى، حيث احتدم الخلاف والصراعات بين بابا روما الكاثوليكية وأتباعه والأفكار الإصلاحية الجديدة التى جاءت بعد ذلك بقرون خلال القرن السادس عشر من اللوثرية والكالفنية والإنجيلية، الأمر الذى أدى بكنيسة القديس بطرس إلى حركة إصلاح كنسى مضاد كرد فعل لحركة الإصلاح الدينى الأوروبى Re-formation .

أيضاً جدير بالذكر أن سيادة الفكر الدينى الكنسى من خلال كنيسة القديس بطرس فى أوروبا فى العصور الوسطى، لم يعرف فكرة المجتمع المتماسك فى المدنيات الشرقية، وإنما كان هناك بشر تواكبت ظروفهم وأسلوب المعيشة كأقنان serfs للأرض فى امتدادات عصر الإقطاع فى أوروبا العصور الوسطى مع فكرة الحق الإلهى المقدس للملكيات والإمبراطور الغربى من خلفاء شارلمان على أساس أن الله هو الذى اختار الحاكم لرعاية شئون البشر، وبالتالى الاعتقاد بأن سلطة الحاكم مستمدة من سلطة الله الذى اصطفاه لرعاية شئون هؤلاء القوم حيث سادت أوروبا خلال الفترة من 1478ـ 1535 فكرة الحق الإلهى للملوك، وأن رأس الدولة يحكم باسم الله والقوانين الإلهية، وقال لويس 14 ملك فرنسا بأن الدولة أنا وأنا الدولة.

إلا أنه مع انقضاء فترة العصور الوسطى المظلمة فى أوروبا ودخول عصر الجامعات والنهضة والتنوير ظهر مصطلح المجتمع مع الإيمان بفكرة الحق الطبيعى، وأصبح الحاكم مسئولاً أمام الشعب وارتبط ذلك بنشأة الدولة القومية الحديثة منذ القرن السابع عشر على أساس أن كل مجتمع يريد أن تكون له ثقافته الوطنية ولغته وأسلوب وتقاليد وأنماط حياته، الأمر الذى جعل هذه اللهجات واللغات تتحرر من اللغة اللاتينية رويداً رويداً حيث كانت اللاتينية لغة الكتابة والعلم والدين والثقافة والمدنية والتحضر، وانقسمت أوروبا المسيحية إلى دول قومية، كما انقسمت إلى مذاهب وطوائف مسيحية متعددة الإيمان والعقيدة حول طبيعة السيد المسيح، الأمر الذى صارت فيه لكل دولة قومية وطن ولغة وحدود سياسية.

أهمية الموقع البحرى للدولة:

يؤدى الموقع الساحلى للدولة إلى غناها الاقتصادى واحتكاكها الحضارى، وبالتالى قوتها وتقدمها، فوقوع الدولة على البحر يشجعها على البحث فيه عن ثروات كالأسماك بأنواعها والبترول والغاز الطبيعى والأملاح والمعادن واللؤلؤ والثروات الأخرى الدفينة فى قاع البحر. كما أنه من الضرورى أن تكون المياه أمام الدولة الساحلية دافئة مفتوحة للملاحة، هذا مع أهمية وجود المرافئ والموانئ الطبيعية لرسو السفن وانطلاق أساطيل الدولة الساحلية إلى البحر العريض المفتوح.

فضلاً عن أن الموقع الساحلى البحرى يؤثر فى اقتصاد الدولة، وفى الدور الذى تلعبه، وفى مصالحها المختلفة، فكل هذه المقومات تؤثر بدورها فى الجغرافيا السياسية للدولة، حيث لعب الموقع البحرى دوراً خطيراً فى بناء إمبراطورية سياسية واقتصادية لبريطانيا، كما لعب دوراً خطيراً فى سياسة اليابان العدوانية تجاه الصين فى منشوريا عام 1931 ثم مع الولايات المتحدة فى بيرل هاربر خلال الحرب العالمية الثانية. ومع البرتغال وإسبانيا فى حركة الكشوف الجغرافية والالتفاف حول رأس الرجاء الصالح والوصول إلى جزر الهند الشرقية، بل والقضاء على الدولة المملوكية فى مصر ابتداء من معركة ديو البحرية عام 1509 حتى سقوط المماليك فى مرج دابق أمام العثمانيين فى 1516 والقضاء على دولتهم التي كانت تقوم على الرخاء الاقتصادى عن طريق الاتصال بين الشرق والغرب. الأمر الذى قضى بالتوازى على دويلات المدن الإيطالية مثل البندقية وبيزا وجنوة وفلورنسا التى كانت تتاجر مع الدولة المملوكية فى مصر.

وبالرغم من أن الثورة الصناعية الأولى قامت فى بريطانيا منذ 1760ـ 1830 على المواد الخام المحلية وعلى الاختراعات ورأس المال الإنجليزى، إلا أن الموقع البحرى لبريطانيا ساعدها على السيطرة على مستعمرات ونقاط ارتكاز عالمية تستورد منها المواد الغذائية وكذلك الخامات وتكون محطات لسفنها التجارية مثل هونج كونج وسنغافورة وملقا وعدن وسوقطرة والسويس ومالطا وقبرص وجبل طارق وسيلان وهرمز وجزر أسونسيون وسانت هيلانة وموريشيوس وجزر الفوكلاند وغيرها وكلها تقريباً تقع على طرق الملاحة الدولية عبر بحار ومحيطات العالم.

ضعف موقع الدول الحبيسة land: locked states إن ظاهرة الدول والإمارات والدوقيات الحبيسة أمر قديم فى التاريخ.

فولتير

حيث يوجد فى العالم حوالى 43 دولة حبيسة لا ساحل لها على البحار أو المحيطات الخارجية أى خمس دول العالم تقريباً. وهى تنتشر فى أربع قارات: أوروبا وإفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. إلا أن أكثر من ثلث تلك الدول الحبيسة تقع فى قارة إفريقيا.

وتلك الدول تجارتها الخارجية صغيرة وضئيلة، حيث تتعرقل فيها التنمية الاقتصادية، فهى بعيدة عن البحار معزولة تعيش شعوبها آلاماً نفسية نتيجة عدم اتصالها المباشر بالبحر. حيث يلاحظ أن عدداً كبيراً من هذه الدول ينقصها التماسك السكانى والقوة، وبالتالى فهى ضعيفة من النواحى السياسية والاقتصادية بل وحتى الاجتماعية.

ولكن ليس شرطاً أن تكون الدولة الحبيسة ضعيفة وعاجزة. فقد كانت النمسا الحبيسة فى عهد أسرة الهابسبرج مركزاً لإمبراطورية برية قوية وعظيمة وكانت زعيمة لأوروبا فى عهد مترنخ خلال مؤتمر فينيسيا 1814ـ 1815 وتزعمت سياسة توازن القوى فى أوروبا وإرجاع الملكيات لفرنسا وغيرها بعد فشل حروب نابليون الأوروبية ولمدة مائة عام حتى عام 1914، كما أنه على الرغم من أن الوصول إلى بحر البلطيق والحصول على موطئ قدم على ساحله كان هدفاً للسياسة الخارجية للقيصر الروسى بطرس الأكبر 1689ـ 1725 إلا أن الإمبراطورية الروسية التى تبوأ عرشها كانت قوية رغم أنها محبوسة بالتجمد لوقوع معظم أراضيها وموانئها شمال خط عرض 66 درجة أى شمال الدائرة القطبية الشمالية التى تتجمد بالموت أكثر من عشرة أشهر فى العام. وكان لسيطرة الأتراك على البحر الأسود وجميع موانئه والمضايق التركية فى القرن الذهبى

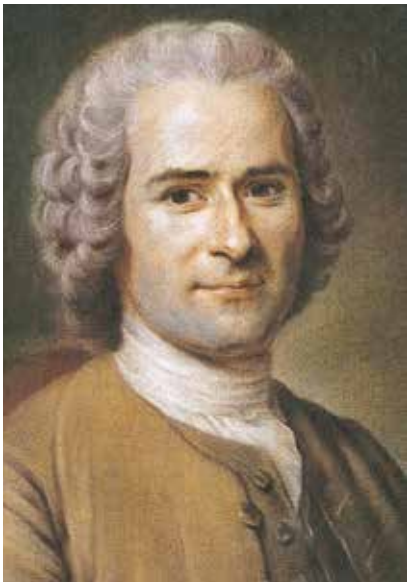

جان جاك روسو

والبسفور والدردنيل ما شكل عائقاً لخروج روسيا إلى بحر إيجه والمياه الدافئة. الأمر الذى أصبحت فيه مسألة الاتصال بالبحر أمراً حيوياً وعاجلاً للدولة الحبيسة خاصة مع حركة ازدهار التجارة البحرية وتوسعها فى القرن التاسع عشر، ما جعل هذه الدول فى حاجة ماسة إلى البحار والمحيطات لنقل جزء من تجارتها الدولية، حيث تواجه عدد من الدول الحبيسة خطر العزلة فضلاً عن المنازعات الكثيرة على طول حدودها السياسية ومع الدول الشاطئية الملاصقة لها.

وصول الدول الحبيسة للبحر:

يشغل دائماً الدول الحبيسة هاجس الوصول إلى البحر. فقد وقعت 32 دولة على معاهدة برشلونة عام 1921 مؤيدة لحرية العبور عبر أراضيها تسهيلاً لنقل سلع الدول الجارة الحبيسة دون فرض ضرائب جمركية عليها، مع تقاضى رسوم مرور بسيطة ومعقولة، فيما عقدت الأمم المتحدة مؤتمراً عام 1958 للدول الحبيسة لمناقشة قانون البحار، وأكدت وثائقه حرية المرور البرئ للدول الحبيسة. ونتيجة لقيام دول إفريقية كثيرة بعد 1960، الأمر الذى جعل الأمم المتحدة تعقد مؤتمراً آخر للدول الحبيسة عام 1964 أكدت فيه حرية العبور البرئ لسلع الدول فى أراضى دول أخرى لكن ربطت ذلك بتحفظات، إذ أكدت أن دول العبور تأكيداً لسيادتها لها الحق فى أن تمنع مرور السلع والأشخاص التابعة لدول أخرى فى أراضيها. كما عقدت الأمم المتحدة عام 1982 مؤتمراً آخر للدول الحبيسة وقانون البحار أقر التحفظ السابق، وقد اختلفت أساليب تسهيل اتصال الدول الحبيسة بالبحر تاريخياً حول ثلاث طرق هى النهر الدولى، والمعبر الأرضى، والنوايا الطيبة فى ضوء التشريعات والقوانين.

ومن ثم فإن الدول الحبيسة التى لا تعبرها أنهار دولية تؤدى إلى وصولها إلى البحر، فإن وصولها إلى البحر يتوقف على النية الطيبة للدول المجاورة. وعلى قرارات المؤتمرات الدولية أعوام 1921، 1958، 1964، 1982.

دراسة حالة الممر البولندى فى الاتجاه نحو الوصول إلى البحر:

جرى تطبيق مبدأ الرئيس الأمريكى ويدرو ويلسون الشهير بعد مخاض لحرب العالمية الأولى والخاص بحق الدول الحبيسة فى الحصول على منفذ للبحر من جانب واحد فقط رغماً عن ألمانيا التى هزمت فى الحرب العالمية الأولى وطلب منها دفع تعويضات طائلة كانت جزءاً من شرارة الحرب العالمية الثانية بعد وصول هتلر للمستشارية فى عام 1933 متزعماً للحزب النازى، وقد شجع على نشأة الممر البولندى مروره وسط سكان بولنديين منتشرين فى مناطق لغتها الأصلية ألمانية. وتقع مدينة دانزج «جوانسك» فى نهاية الممر البولندى على ساحل بحر البلطيق، إلا أنه بعد إعادة تقسيم بولندا للمرة الثالثة فى التاريخ بين هتلر وستالين جاء عام 1945 بسقوط ألمانيا النازية، إلا أن السوفيت تقدموا غرباً فى بولندا واستعادوا الأراضى التى سلبت منهم بواسطة بولندا عام 1921، وقاموا بتعويض بولندا بقطعة من أراضى ألمانيا المهزومة مماثلة لنفس المساحة من شرق ألمانيا حتى نهر الأودر-نيس فصار لها ساحل على بحر البلطيق. ولما تم توحيد ألمانيا بشطريها الشرقى والغربى عصر المستشار هيلموت كول عام 1990 جرى توقيع معاهدة بين ألمانيا الموحدة وبولندا فى 13 نوفمبر 1990 أقرت فيها ألمانيا بوصول بولندا إلى نهر الأودر-نيس أى الممر البرى الذى يؤدى إلى بحر البلطيق، مع عدم استطاعة ألمانيا الموحدة مطالبة روسيا بالأرض التى اقتطعها السوفيت من شرقها وضمها إلى بولندا «هذا وقد قمت فى سبتمبر 1984 بزيارة هذه المنطقة المهمة إستراتيجياً التى حولت بولندا من دولة حبيسة إلى أخرى لها إطلالة على بحر البلطيق من خلال جوانسك فى سبتمبر 1984.

دراسة موقع سبتة ومليلة: تقدير الموقف الحضارى والسياسى والقانونى:

1- لقد أشار العالم الإنجليزى لويس مورجان فى 1877 ولأول مرة فى تاريخ البحث العلمى إلى دراسته حول نشأة المجتمعات البشرية القديمة المسماة «أبحاث خطوط التقدم الإنسانى» حيث تناول مراحل تطور الإنسان البدائى خلال مرحلتى الوحشية والبربرية وحتى دخول عصر المدنية والحضارة. وأشار إلى أن البشرية مرت بعصور تطور رئيسية ثلاثة هى الوحشية والبربرية والمدنية. وأن مهارة الإنسان هى التى أكدت وجوده على سطح الأرض.

كما وأن عصر الوحشية كان بمثابة طفولة الجنس البشرى حيث كان يعيش فى الكهوف من الغابات الاستوائية، ويسكن أحياناً فى الأشجار هرباً من الوحوش المفترسة. ثم بدأ باستخدام الأسماك والحيوانات المائية الأخرى فى الطعام، كما تعرف على أهمية النار فى طهى الطعام، وكانت معرفته بالأحجار المصقولة أى الظران ثورة فى إشعال النيران وتناول أطعمة جديدة. كما توصل فى نهاية هذه المرحلة الوحشية إلى اختراع القوس والسهم حيث أصبحت ثمار الصيد عنصراً غذائياً رئيسياً. واستخدمت النار والمعاول الحجرية فى صنع القوارب البدائية المحفورة من الخشب.

2- هذا وتميز عصر البربرية بالنسبة له فى حدث مهم هو استئناس وتربية الحيوانات ومعرفة النباتات بصورة عشوائية فى حين ظلت الزراعة غير معروفة إلى وقت متأخر جداً فى هذه المرحلة، إلى أن جاءت زراعة الأرض بالحبوب مع استقراره بجانب جداول المياه والأنهار وهى بدايات مرحلة دخول المدنية أى الطور الثالث فى حياة الإنسان البشرى وهو ما يمكن أن يكون بدايات الألف الثامنة قبل الميلاد، مع استقرار المناخ وتوقف الأمطار التى استمرت فى شمال إفريقيا ما يزيد عن عشرة آلاف عام.

3- ويشير مورجان إلى بدايات المرحلة الثالثة وهى المدنية مركزاً على بلاد اليونان وجزرها ابتداءً من الحضارة المينوية فى كريت فى بدايات 2000 قبل الميلاد أى عصر بطولات التاريخ والأساطير والفتوحات العسكرية، وكيف أن قبائل أثينا الأربعة الرئيسية ظلت مستقرة فى أجزاء متفرقة من سهل أتيكا فيما قسمت الأرض وتحولت إلى الملكية الفردية، وبدأ إنتاج الحبوب وصنع النبيذ والزيت وتحولت التجارة فى بحر إيجة تدريجياً من أيدى الفينيقيين أهل صور وصيدا وجبيل إلى أيدى أهل أتيكا، ثم خطى أهل أثينا خطوات أخرى متقدمة باندماج القبائل على هيئة شعب واحد، فكان ذلك سبباً فى قيام نظام قانونى أثينى أسمى من النظام القانونى للقبائل والفروع. وأن تلك المرحلة جاءت بعد حضارات مصر القديمة والشرق الأدنى القديم وحضارات

ما بين النهرين وسوريا الكبرى وحضارات ميديا وليديا وعيلام وفارس والهند والصين بعشرات القرون.

4- وبالرغم من عصور مهد المدنية الإغريقية والرومانية القديمة، وامتداد العالم الرومانى لقرون على كل بلاد وممالك وحضارات عالم البحر المتوسط، إلا أن اللغة الإغريقية لم تبد أية مقاومة حيث حلت اللغة اللاتينية محل كل اللغات القومية لعالم البحر المتوسط، ولم يعد هناك أى تمييز كبير بين الولايات الرومانية، وقد حلت القوانين الرومانية والحكم والإدارة فى كل مكان محل تنظيمات روابط الدم القديمة فسحقت روما آخر آثار القوميات الإقليمية للعالم القديم. فقضت على قرطاجنة المستعمرة الفينيقية مكان تونس الحالية عام 146 قبل الميلاد، وأصبحت هذه الكتلة البشرية الضخمة من عالم البحر الأبيض المتوسط من أقصى الشرق إلى الغرب مرتبطة مع بعضها برباط واحد هو الدولة الرومانية والسلام الرومانى Pax Ro-mana الذى أصبح مع مرور الوقت أسوأ أعدائها المستبدين، وقد حطمت هذه الأقاليم الشاسعة فيما بعد روما وحفرت لها قبرها هجمات ألاريك ملك القوط من شمال أوروبا المتبربرين بفضل تنظيم قواتهم الهائلة كما يقول إدوارد جيبون فى الجزء الثانى من كتابه "اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية" حول حصار روما ومحاولة السيطرة على أبوابها الاثنى عشر، وكان أول انفعالات الدهشة والحنق التى أحس بها نبلاء وشعب روما هو أن بربرياً حقيراً تجرأ على إهانة عاصمة الدنيا، وكانت نتيجة هجمات جحافل القوط هى نقص الغذاء وهلاك سكان روما فى البيوت والشوارع فكانت المدافن العامة خارج أسوار العاصمة روما فى قبضة العدو حيث انتشرت الأمراض والروائح الكريهة من الجثث التى لم توار التراب، فلوثت الهواء وانتشرت الأمراض الوبائية فى أعقاب المجاعة التى لحقت بعاصمة الإمبراطورية الرومانية.

ويقول جيبون حول حصار روما ونهبها عام 410 ميلادية: استيقظ السكان على صوت هائل صادر من أبواق القوط. وهكذا نرى مدينة روما الإمبراطورية التى أخضعت ذلك الجزء الكبير من بنى الإنسان ورفعته إلى المستوى الحضارى، هكذا نراها بعد ألف ومائة وثلاث وستين سنة «أى منذ عام 753 قبل الميلاد تاريخ نشأة روما الملكية» تستسلم إلى قبائل الجرمان القوطية الهمجية الغاضبة. وأن ألاريك أعطى تعليماته لجنوده باحترام كنيستى القديس بطرس وبولس على اعتبار أنهما معابد مقدسة لا تمس.

5- ويستطرد جيبون فى أحوال سقوط روما عام 410 ميلادية بأن لصوص وجنود القوط جردوا قصور روما فى قسوة وشراسة من أثاثها الثمين الفخم، وكانت دواليب الأوانى الفخمة، وخزائن الملابس الحريرية والأرجوانية تكدس دون نظام فى العربات التى تسير وراء أى جيش قوطى، أما روائع الفن فقد عوملت معاملة خشنة، أو دمرت تدميراً عابثاً وصهرت تماثيل كثيرة للحصول على المواد الثمينة المصنوعة منها، وكثيراً ما حطمت أوانى الزينة ببلطة فى عملية تقسيم الغنائم والأسلاب.

ثم كان الانهيار الثانى والأخير وسقوط روما النهائى عام 476 ميلادية وارتبط باسم آخر الأباطرة وهو رومولوس أوغسطولوس، ثم بدأ حكم أدواكر بمملكة قوطية فى إيطاليا خلال الفترة من 476 حتى 490 ميلادية، وكان من الناحية الاسمية نائباً عن الإمبراطور فى القسطنطينية.

6- ويستطرد جيبون عن حكم ادواكر والبرابرة لروما بأن كوارث إيطاليا قهرت بالتدريج إحساس الرومان الشامخ بالحرية والمجد، وفى عصر القوة خضعت الولايات لجيوش روما كما خضع المواطنون لقوانينها، حتى إذا ما أطاحت النزاعات الأهلية بتلك القوانين أصبحت مدينة روما والولايات التابعة لها ملكاً ذليلاً لطاغية تعوزه الحكمة والذكاء. وفى الفترة نفسها ظهر المتبربرون بعد أن كانوا مغمورين محتقرين، دخلوا ولايات الإمبراطورية خدماً للرومان فى أول الأمر، ثم حلفاء، ثم كانوا فى نهاية المطاف سادة لأولئك الذين أصبحوا فى حماهم. وظل مصير روما يعتمد فترة طويلة على سيوف أولئك الغرباء. ورغم حرص ادواكر ونجاحه فإن المملكة الإيطالية كان يبدو عليها مظهر الشقاء والخراب والإنهاك، وفى عصر انقسام الإمبراطورية بين الشرق فى القسطنطينية والغرب فى روما امتنع ورود محاصيل وقمح مصر وإفريقيا التى كانت تدفع كجزية للإمبراطورية. فالرفاهية التى كانت روما تعيش فيها أنضجت مبدأ الاضمحلال، وامتدادات الغزو من الهون والقوط والماغيار والجرمان والوندال وغيرهم تضاعفت وأدت إلى خراب ودمار أملاك روما، وانهار الكيان الضخم تحت وطأة الغزاة، فجيوش المرتزقة طغت فى أول الأمر على حرية الدولة، ثم حطمت بعد ذلك جلال وعظمة وهيبة الملك، وبدأ تراخى قوة الحكومة والإدارة أمام طغيان

فون مترنيش

طوفان من البرابرة.

7- وطالما أن موضوعنا الرئيسى فى هذه الدراسة هو الدولة، فيجب أن نتعرض لمفهوم توازن القوى فى السياسة الدولية، والذى كان موجوداً بصور وصياغات مختلفة فى العصور والحضارات القديمة فى مصر وبلاد الشرق الأدنى ودجلة والفرات وغيرها عن طريق التحالفات بين تلك الشعوب والممالك والإمبراطوريات، فهناك بعض المعاهدات التى حفرت باللغة المسمارية بين حكام مدينة لاجاش Lagash وشعب أوما Ummu فى حوالى عام 3000 ق.م. فى بلاد ما بين النهرين وحضارات مدن ودويلات العراق القديمةCity- States.

وأيضاً المعاهدة التى أبرمها ملك مصر رمسيس الثانى عام 1279 أى بدايات القرن الثالث عشر قبل الميلاد مع خاتسيار ملك الحيثيين وحررت باللغة البابلية. فكل تلك المعاهدات من أقدم ما حفظ لنا التاريخ من شكل توازن القوى بين الشعوب.

8- إلا أن هذا المفهوم حول توازن القوى الدولى لم يأخذ بعدًا قانونيًا ملزمًا إلا مع بدايات القرن السابع عشر الميلادى حيث اهتمت القوى الأوروبية بعد حرب الثلاثين عامًا 1618- 1648 بإنشاء ميزان يتسم بالتوازن النسبى مع صلح وستفاليا 1648 الذى أنهى هذه الحرب فى شكل مجموعة المعاهدات الملزمة لأطرافها. هذا الصلح الذى يسميه هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة ومستشار الأمن القومى فى السبعينيات من القرن العشرين بالنظام الدولى الويستفالى westphalian state system وأيضًا تبنى هذا الفكر عدد كبير من علماء السياسة فى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، وأتفق معهم فى هذا المسمى تمامًا لأن وستفاليا كانت نقطة

بسمارك

تحول تاريخية فارقة فى التاريخ والقانون والسياسة الأوروبية الحديثة، باعتبارها أول متغير فى إعادة صياغة ورسم state craft لتلك السياسة ابتداءً من منتصف القرن السابع عشر أسست لنظام توازن القوى الأوروبى، فضلاً عن فصل الدين عن الدولة، وبدايات مفهوم الدولة الوطنية nati- on - state، وإقامة البعثات الدبلوماسية المقيمة التى أقرت الحماية المقررة لأعضاء البعثات من السفراء وغيرهم من المبعوثين، وما يتمتعون به من حصانات وامتيازات وغيرها مع أهمية متابعة الأوضاع السياسية والأمنية حتى لا يحدث خلل وعدم توازن فى إطار علاقات الملكيات الأوروبية الناشئة، وبالمثل حررت المعاهدة أو الصلح الفكر السياسى والقانونى الأوروبى من ظلمات العصور الوسطى، وكانت نقطة انطلاق لعصر التنوير والنهضة الأدبية والفنية والعلمية داخل القارة الأوروبية. كما كانت أيضًا بالمثل إحدى نتائج مخاض حركة الإصلاح الدينى Reformation فى القرن السادس عشر، وظهور المبادئ والعقائد الدينية فى قلب الدين المسيحى والإيمان والخلاص وغيره من اللوثرية والكالفنية والإنجيلية فى مواجهة كنيسة القديس بطرس فى روما الكاثوليكية والسلطة البابوية التى هيمنت على مقاليد الدين والسياسة فى أوروبا العصور الوسطى، وأدت إلى تراجع المجتمعات الأوروبية بسبب الصراع بين سلطة البابا الدينية وسلطة الإمبراطور والملكيات الزمنية.

9- أما نظام توازن القوى الأوروبى التقليدى الذى جاء به صلح وستفاليا عام 1648 كان فى نظر الفقيه القانونى الراحل صلاح الدين عامر فى كتابه «مقدمة لدراسة القانون الدولى العام» وضع أساس التعايش بين دول أوروبا الكاثوليكية والبروتستانتية، حيث أكدت معاهدة وستفاليا الهزيمة المزدوجة للبابا والإمبراطور وأسبغت رداء الشرعية الدولية الرسمية على مولد الدول الأوروبية الحديثة، ومن ناحية أخرى وضعت المبادئ الأساسية للقانون الدولى العام الأوروبى والتى تمثلت فى مبدأ سيادة تلك الدول والمساواة فيما بينها. كما سلم الملوك والأمراء بوجود قواعد غير مكتوبة يخضعون بحكمها فى علاقاتهم المتنوعة وتم استخدام مصطلح Droit des gens للتعبير عن قانون العلاقات بين تلك الدول. وبات القانون الدولى العام يحكم العلاقات بين الدول الأوروبية المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية على السواء، ومن ثم أصبح يطلق عليه القانون العام الأوروبى. فى نفس الوقت الذى ظهر فيه عدد من الآباء والفقهاء القانونيين كان أشهرهم الهولندى هوجو جروشيوس 1583- 1645 الذى يعتبر أبو القانون الدولى الحديث، وعرض نظريته عن القانون الطبيعى فى كتابه عام 1625 فى قانون الحرب والسلام وضمن أحد أجزائه حول البحار لإثبات حق مواطنيه الهولنديين فى ارتياد البحار والمحيطات بحرية لمباشرة التجارة مع جزر الهند الشرقية، وكان البحر الحر أحد أسباب ذيوع شهرة جروشيوس. كما رد أيضًا على القديس أوغسطين فى كتابه «مدينة الله» الذى كتبه مطلع القرن الخامس حيث توفى أوغسطين عام 430 ميلادية حول الحرب العادلة التى تسببت فى مآسى الحروب الصليبية، وقرر جروشيوس أن التفرقة بين حرب عادلة وأخرى غير عادلة، إنما هى مسألة ذات طابع أخلاقى، ولا دخل لها فى دائرة البحث القانونى.

10- هذا وقد مثلت الثورة الفرنسية 14 يوليو 1789 نقطة تحول فى مسار وتاريخ السياسة الدولية نظرًا للآثار الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التى طرحتها فى القارة الأوروبية وخارجها، خاصة أفكار مونتسكيو فى كتابه «روح القوانين» وجان جاك روسو وفولتير، وأفكار جون لوك وجون هوبر حول القانون الطبيعى والعقد الاجتماعى وغيره. أيضًا ديفيد ريكاردو وآدم سميث وغيرهما من الاقتصاديين الإنجليز والألمان، فقد مثلت الثورة الفرنسية تحديًا للنظم التسلطية الأوروبية ولنظام توازن القوى الأوروبى التقليدى الذى جاء به صلح وستفاليا عام 1648 حتى كان من حروب الثورة التى امتدت من 1794 حتى 1815 أن أشاعت جواً من الفوضى وعدم التوازن وسقوط الملكيات التقليدية فى أوروبا، فما كان من الدول الأوروبية خاصة النمسا وبريطانيا وإسبانيا وروسيا إلا أن عقدت مؤتمر فيينا 1814- 1815 خاصة بعد نجاحها فى هزيمة نابليون فى ووترلو 1815 ونفيه إلى جزيرة سانت هيلانة الإنجليزية جنوب المحيط الأطلسى ومكث بها حتى وفاته عام 1821، أعاد المؤتمر الملكية لفرنسا وباقى الدول الأوروبية، وأقر نظاماً من المعاهدات الدولية يسمى الوفاق الأوروبى لحفظ التوازن فى القارة والذى ظل صامدًا حتى حرب القرن 1853- 1856 وهزيمة تركيا أمام روسيا ووقوف الدول الأوروبية فى مواجهة روسيا وحصارها فى البحر الأسود وعدم خروجها إلى المضايق وبحر إيجة والمياه الدافئة وتوقيع معاهدة باريس 1856 التى أدت إلى تراجع دور روسيا وبداية اتجاهها نحو سيبريا والشرق الإسلامى فى آسيا الوسطى.

ثم كانت الوحدة الألمانية على يد المستشار بسمارك عام 1870، والوحدة الإيطالية على يد كافور عام 1870 الأمر الذى أصبحت فيه الدول هى الكيان السياسى ذو السيادة الوطنية الذى يتسم بالتجانس العرقى والثقافى واللغوى، وأن ذلك كان استكمال الدولة الوطنية فى أوروبا القرن 19.

11- هذا وتميزت السياسة الأوروبية بعد فترة توحيد ألمانيا عام 1870 بما يسمى المرحلة البسماركية فى السياسة الأوروبية وتحديدًا الفترة من 1870- 1890 أى فترة وجود بسمارك فى السلطة كمستشار لألمانيا الموحدة، حيث هيمنت ألمانيا على السياسة الأوروبية بشكل أدى إلى اتخاذ البنيان السياسى الدولى فى تلك الحقبة بنيان القطبية الواحدة المستندة إلى الهيمنة الألمانية وسياسة الاتجاه نحو الشرق، فضلاً عن نظام الأحلاف الأوروبى الذى لعبت فيه ألمانيا دور الموازن فى العلاقات الدولية الأوروبية، كما عقد فوتر برلين عام 1878 لوقف تدهور أوضاع الدولة العثمانية - رجل أوروبا المريض- أمام الزحف الروسى على ولايات الدولة العثمانية حيث سعت روسيا إلى تشجيع الشعوب السلافية الأرثوذكسية فى البلقان على الثورة على الحكم العثمانى، ودعت إلى إنشاء الجامعة السلافية التى تضم الشعوب السلافية فى البلقان من صربيا والجبل الأسود ومقدونيا وكرواتيا وسلوفينيا والبوسنة والهرسك وبلغاريا ورومانيا، الأمر الذى جعل تركيا العثمانية تسترضى تلك النزاعات الانفصالية بإعطاء الكنيسة البلغارية استقلالاً عن الكنيسة الأرثوذكسية فى القسطنطينية، أيضًا اعترفت تركيا صراحة فى اتفاقية برلين عام 1878 باستقلال صربيا والجبل الأسود عنها بشكل نهائى.

12- أيضًا من الظواهر المهمة فى السياسة الأوروبية خلال حقبة القرن التاسع عشر الخاصة بتركيا العثمانية السلجوقية هو التدهور الحاصل فى تلك الدولة منذ القرن السابع عشر حينما سلمت باستقلال المجر عام 1699، وبالرغم من أن أملاك هذه الدولة كانت داخل القارة الأوروبية وفى عالم البحر المتوسط إلا أنها لم تكن ضمن منظومة المجتمع الأوروبى السياسى أو القانونى. فهذا التدهور قد تبلور منذ منتصف القرن الثامن عشر متمثلاً بصورة واضحة فى معاهدة كوتشوك كينارجى عام 1774 على عهد الإمبراطورة الروسية كاترين الثانية العظمى التى استطاعت بعد هزيمة تركيا أمامها فى البحر الأسود الحصول على معظم مدن البحر الأسود الشمالية. ومع مطلع القرن 19 ظهر اصطلاح جديد فى السياسة الأوروبية يسمى بالمسألة الشرقية أى ما مدى تحديد وضع الدولة العثمانية الضعيفة وكيفية تعامل الدول الأوروبية معها. وبينما كانت روسيا تسعى إلى تقسيم أملاك الدولة العثمانية الضعيفة، كانت بريطانيا ترى ضرورة حماية كيان الدولة العثمانية حتى لا ينفتح المجال أمام التوسع الروسى فى أملاك تلك الدولة والاقتراب من السيطرة على القرن الذهبى والبسفور والدردنيل وبحر إيجة فى المتوسط، وحتى تجىء السياسة البريطانية اللحظة المناسبة للانقضاض على أملاك تلك الدولة وهو ما حدث خلال الحرب العالمية الأولى 1914- 1918. هذا وقد وقفت بريطانيا والدول الأوروبية بجانب تركيا فى حرب القرم 1853- 1856 خلال سنوات الحرب ثم فى معاهدة باريس 1856 فى مواجهة روسيا القيصرية لحرمانها من أية مكاسب حصلت عليها من تركيا.

13- ومن مظاهر حقبة بسمارك، أن شهد إقليم الكونغو صراعًا استعماريًا بين بلجيكا وفرنسا والبرتغال، وإزاء احتدام الخلاف وجه المستشار الألمانى بسمارك الدعوة إلى عقد مؤتمر دولى فى برلين لتحديد وضع الكونغو بصفة خاصة، وشكل التوسع الاستعمارى فى إفريقيا بصفة عامة، وانعقد المؤتمر فى نوفمبر 1884 حتى فبراير 1858، وقد أدى هذا المؤتمر إلى بدء مرحلة فى تاريخ التوسع الاستعمارى عرفت باسم التكالب على إفريقيا. وقد بلغت ألمانيا بعد المؤتمر حدًا من القوة جعلها تتفوق على باقى الدول الأوروبية، ما أدى إلى فقدان نظام الأحلاف الأوروبى الذى كان قائمًا منذ عهد مؤتمر فيينا 1814- 1815 صفة المرونة التى اتسم بها حتى عام 1870 تاريخ الاتحاد الألمانى، حيث شهدت تلك الفترة أى حوالى خمسين عامًا تقريبًا أزمات دولية فى منطقة البلقان انتهت بازدياد استقلال تلك المنطقة عن تركيا العثمانية، وتأكيد التدخل الأوروبى وخاصة الروسي فى الشئون الداخلية وأملاك الدولة العثمانية، إلا أن الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا نجحت فى حرمان روسيا القيصرية من أى مكاسب فى البلقان أو أى امتداد للنفوذ الروسى هناك بحجة العقيدة الأرثوذكسية وحماية حريات العقيدة المسيحية، ما دفع روسيا إلى التوسع شرقًا فى سيبريا حتى المحيط الهادى وأيضًا المناطق الإسلامية فى آسيا الوسطى، وقد كانت بريطانيا على استعداد لقبول هذا التوسع طالما أنه لا يمس مصالحها فى الشرق الأقصى والهند، فضلاً عن بعده عن القرن الذهبى والبسفور والمضايق وبحر إيجة والمياه الدافئة.

14- أيضاً لا يسعنا ترك أحد مبادئ العلاقات الدولية الحديثة، وهو مبدأ التكافؤ فى القوى النووية. ويقصد به قدرة كل دولة على امتصاص الضربة النووية الأولى وتوجيه ضربة نووية ثانية قاتلة للخصم. وذلك على غرار حالة توازن الرعب النووى بين الولايات المتحدة وحلفائها والاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية، وبين حلف شمال الأطلسى الذى أنشئ عام 1949 وحلف وارسو الذى أنشئ عام 1955 وحل مع تفكك الاتحاد السوفيتى فى 25 ديسمبر 1991. وقد جاء عصر الحرب الباردة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، الأمر الذى أدى إلى نشأة نظام الرعب النووى فى صورته النموذجية حينما تتوافر مجموعة من الشروط منها امتلاك الدول أطراف الميزان للأسلحة النووية، وقدرة هذه الدول على إخفاء وتخزين هذه الأسلحة، فضلاً عن إقناع كل طرف للآخر بأن شن الحرب سيلحق به أضراراً وخسائر لا يمكن تحملها. ومن ثم فإن ميزان الرعب يعتمد على عنصر نفسى أساسه شعور الدولة بأنها قادرة على تحمل ضربة نووية أولى مع إقناع الدولة الخصم بأنها لن تكون قادرة على تحمل الضربة الثانية القاتلة.

15- الحق أن هذا الرعب النووى أدى إلى استقرار السياسة والعلاقات الدولية طوال عصر الحرب الباردة وحتى الآن أى ما يقرب من 75 عامًا بعد الحرب العالمية الثانية من

بطرس الاكبر قيصر روسيا

حيث منع نشوب حرب عالمية ثالثة، رغم الصراع والتناقض الشديد بين الأطراف المتناحرة ودخول قوى نووية جديدة عالم النادى النووى، إلا أن القوى الرئيسية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بدأت فى التوصل إلى أسس جديدة للتفاهم والحوار مثل التزام الدولتين بعدم مفاجأة الطرف الآخر وعدم الدخول فى مواجهة. وقد انتهت حقبة من حقب توازن الرعب مع انهيار الاتحاد السوفيتى فى 25 ديسمبر 1991، حيث كانت الولايات المتحدة قد بدأت عام 1983 فى عهد الرئيس الأمريكى رونالد ريجان فى سياق تسلح أطلق عليه حرب النجوم من خلال مبادرة إقامة منظومة دفاع أرضية وفضائية تسمى ثاد، يمكنها أن تشن ضربة أولى مع استطاعتها تدمير الصواريخ السوفيتية القادمة إليها من الفضاء ردًا على تلك الضربة وقبل إصابة أهدافها، أى بمعنى آخر سقوط القدرة السوفيتية على شن ضربة ثانية مضادة.

أهم المراجع:

Atlas de Geographie Historique,Machette, Paris1896-

cary,cil: A History Al Rome,- London,Macmillan,1954

- صلاح عامر: مقدمة لدراسة القانون الدولى العام، النهضة العربية 2007.

- إدوارد جيبون: اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية، ترجمة نجيب هاشم 3 أجزاء، 1969.

- رأفت عبدالحميد: بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، 1972، دار الموقف.

كـــارثة تشيرنوبل

مع انتشار حرائق الغابات فى شـــمال أوكرانيا حول مدينة تشيرنوبل التى تقع بها محطات الطاقة النووية المهجورة والتى تســـبب انفجارها فى قتل وتشويه وتشريد أكثر من ثمانية ملايين شخص سواء فى أوكرانيا أو بلاروسيا وشـــمال أوروبا، ويتردد أن سبب الحرائق هو شغب فى إصلاحية بالمنطقة. ولكن السبب الأوقع هو اشـــتداد الرياح واندفاع ألســـنة اللهب فى كل اتجاه، وبدأ يصل إلى الغبار النووى المتراكم منذ سنوات، وأصبح قياس درجة الإشعاع 16 ضعفاً للنسبة العادية .

بدأت هذه الحرائق تثير المخاوف من تجدد مأساة انفجار المفاعل التى حدثت يوم السادس والعشرين من شهر إبريل عام 1986 فى مدينة تشيرنوبل فى العهد السوفيتى، حين قررت إدارة مفاعل لينين أن تجرى مناورة لاختبار المفاعل فى حالة انقطاع الكهرباء التى تقوم بالتبريد، فتم فصل الكهرباء لفترة وجيزة ثم إعادتها، لكن نظراً لعدم مهارة العاملين فى المحطة فقد ارتفعت درجة الحرارة بشكل كبير وبدأ الانفجار الذى تكتمت عليه سلطات الاتحاد السوفيتى لمدة 36 ساعة مما أدى إلى تسرب الإشعاع إلى روسيا البيضاء ثم إلى دول أوروبية كثيرة حتى اكتشـــفته الســـويد فى أجوائها فطلبت تفســـيراً، فاضطر الاتحاد السوفيتى إلى الاعتراف بالكارثة وإن كان قد أخفى حجم الكارثة والأعـــداد الحقيقية للقتـــلى والمصابين الذين تجاوزوا بكثير رقم 8 ملايين وترك جيلاً من المشـــوهين بتشوهات مختلفة، وتم إجلاء سكان المدينة والمدن الأخرى القريبة على أمل عودتهم بعد فترة قصيرة إلا أنهم لم يعـــودوا حتى الآن ومازالت المدينة مهجـــورة خاوية، وتمت تغطية المفاعل بقميص من الخرسانة المسلحة وبدأ مؤشر الإشعاع فى الانخفاض إلا أنه

سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

مازال حتى الآن وبعد 24 عاماً أعلى كثيراً من المعدل الطبيعى.

ونتج عن الكارثة أن جيلاً كاملاً من الأطفال وقتها أصيب بمشاكل متعددة ومنها مشاكل فى الإنجاب وكانت لدينا فى السفارة فى كييف سكرتيرتان متزوجتان منذ أكثر من 10 ســـنوات إلا أنهما لم تنجبا رغم كل أنـــواع العلاج والتلقيح الصناعى، وأخيراً أنجبت الأولى بعد 11 عاماً من الزواج والثانيـــة بعدها بعام واحتفلنا بهمـــا وفرحنا لهما كزملاء فى السفارة ولكنها فعلاً مأساة جيل كامل.

وفى عـــام 2015 نظمـــت وزارة الخارجية الأوكرانية زيارة إلى تشيرنوبل المدينة والمفاعل فطلبت الاشتراك معهم للتعرف عن كثب على الأحوال الجارية، وبينما نقوم بالاســـتعداد أرســـلوا لنا بعض محاذيـــر صادمـــة وكان منها تحذيرات صحية كعدم وجود إصابات ســـابقة أو حالية بأى نوع من الأورام، وكذلك ســـلامة الرئتين والكلى والكبد، وأكدوا أنه ســـيتم قياس نسبة الإشعاع فى الجسم كل مرحلة فى الزيارة. ونظراً لمعاناتى السابقة من أحد أشرس الأورام وخضوعـــى لعملية زرع نخـــاع فقد تراجعت عن إتمـــام الزيارة وطلبت من بعض الأصدقاء أن يوافونى بملاحظاتهم بعد عودتهم. واتضح أن نسبة الإشعاع مازالت مرتفعة رغم القميص المغطى به المفاعل وتعتزم السلطات القيام بوضع قميص جديد فوق القميص الحالى للحد من الإشعاع المتسرب.

رحم الله ضحايا الجهل الســـوفيتى فى موضـــوع المفاعل ســـواء بالموت أو بالإصابة والتشوه وجعل القادم أفضل وأعان الله حكومة وشـــعب أوكرانيا فى مواجهة كارثة تشـــيرنوبل التى تتزامن ووباء كورونا.

جريمة الإبادة الجماعية فى القانون الدولى

مرت خلال شـــهر ابريل الماضى الذكرى الاربعين لجريمة الابادة التى ارتكبتها الدولة العثمانية بحق الارمن الذين عاشوا خلال فترة الإمبراطورية العثمانية من 1915 إلى 1916حيث كان هناك ما يقرب من 1.5 مليون أرمنى يعيشـــون فى الإمبراطورية وتوفى ما لا يقل عن 664.000 وربما ما يصل إلى 1.2 مليون خلال الإبادة الجماعية و لقـــد أطلق الأرمن على تلك الأحداث (الجريمة الكبرى) أو (الكارثة)، ولان جريمـــة الابادة الجماعية تثير العديد من التســـاؤلات القانونية لما تلحقه من آثار خطيرة تمس بأمن المجتمعات واستقرارها ونظرا لأهمية موضوع الحماية الجنائية لحقوق الإنسان وأهمها الحق فى الحياة باعتبارها موضوع الســـاعة فى أحداث عالمنا المعاصر ففى هذا الســـياق سيتم التطرق الى جريمة الابادة الجماعية فى القانون الدولى :

أولاً:نماذج لجرائم الإبادة الجماعية المعاصرة

– مجـــازر الأرمن ومـــا رافقها من علميات تهجير وترحيـــل أو ما يعرف بالمذبحة الأرمنيـــة التى ارتكبت على يد السلطات العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى.

– حملات التطهير العرقى و'ترحيل تتـــار القرم من شـــبه جزيـــرة القرم وكذلك أكـــراد أذربيجان والقوقاز بأمر من جوزيف ستالين كشكل من أشكال العقـــاب الجماعـــى كنوع مـــن أنواع التعاون المزعوم مع النظام النازى خلال 1942 1943-م.

– المجاعة والحصار والاســـترقاق والإبادة فى الشرق الآسيوى والتى ارتكبت خـــلال الحربين العالميـــين، كالمجاعات التى أُرتكبـــت فى الهند الصينية فى فترة الاستعمار اليابانى لجزر الهند الشرقية الهولندية - والمجاعة والمجازر الفيتنامية عام 1945م - مجاعات كوريا الشمالية - مذبحة نانجينـــغ التى ارتكبت خلال الأشـــهر الأولى من الحـــرب الصينية اليابانية الثانية.

– جرائم الإبادة الإثنية فى يوغسلافيا عام 1991 - 1992م خلال شهرى أيار وحزيران حيث تعرضت مدينة فيشكراد وهامبارين إلى حملة إبادة، حيث قتل فى هامبارين لوحدها حوالى ألف شـــخص، بينما قتل أكثر من أربع آلاف شخص من قرية كوزاراك حيث تم إعدامهم ميدانياً، الجرائم الأبرز والأكثر وحشـــية كانت فى مدينة سراييفو، مذبحة سربرنيتشـــا فى البوسنة خلال شـــهر يوليو من عام 1995م والتـــى ارتكبها الجنرال راتكو ملاديتش.

– فى فلســـطين ارتكبت الســـلطاتُ

سكرتيرثان هند منذر ابورية

الإسرائيلية مجازرَ عـــدة كمذبحة دير ياسين 1948م وصبرا شاتيلا 1982م، أما فى لبنـــان فقد ارتكبت الســـلطات الإسرائيلية مجزرة قانا 1996م.

الغرضُ من هذا السرد المختصر جداً لفترة تاريخية قريبة شهد خلالها العالم آلاف المجازر لازالـــت آثارها حاضرة فى الأذهان وفى ذاكـــرة ضحاياه، وتعكس صـــورة الصراعات والحـــروب الدائرة والمركـــزة فى منطقة الشرق الأوســـط ومناطـــق أخرى من العالـــم، هو إلقاء الضوء على ما يحدث فى حاضرنا خاصة، وأن الذهنية التـــى تدير عمليات الإبادة والصّهر هى ذاتها لم تتغير بل أصبحت تجيدُ استخدامَ التقنية فى حروب الإبادة

ثانيا: التعريف بجريمة الإبادة الجماعية

تعد جريمة إبـــادة الجيش البشرى من الجرائم التى ألحقت خسائر جسيمة وفضيعة بالإنسانية وذلك فى كل مراحل التاريخ مثلما كنا قـــد أشرنا إليه لأنها تستهدف أسمى وأقدس حق وهبه الله تعالى للإنســـان ألا وهو الحق فى الحياة، من خلال إفنائه وسحقه من الوجود.

لقد عبر عنها رئيس الوزراء البريطانى أثناء الحرب العالمية الثانية «ونســـطن تشرشـــل WinstonChurchill»بأنها الجريمة التى ليس لهـــا وصف،وذلك لهول ما تتسبب فيه من حصد للآلاف أو الملايين من بنى الإنسان.

وجرائـــم الإبادة الجماعية تتماثل مع الجرائم المرتكبة ضدّ الإنســـانية فى إمكانية ارتكابهما فى وقت الســـلم وفى وقت الحرب، والاختلاف الوحيد بينهما ربما هو أنّ الجرائم ضدّ الإنسانية تقع تبعـــاً للجرائم ضدّ الســـلام أو لجرائم الحرب، وتكون على صلة بها، على خلاف الحال فى جريمـــة الإبادة الجماعية التى تعد مستقلة بذاتها، وتقع فى زمن السلم والحرب على حدّ سواء، ولابدّ أن تقع ضدّ مجموعة بحد ذاتها بهدف إنهاء وجودها كلياً أو جزئيا. يعتـــبر فعل الاضطهاد الموجّـــه بســـابق إصرار وتخطيط ضدّ جماعة معينة محلية أو خارجية (خارج حدود الدولة) جريمة ضدّ الإنســـانية ويشير إليها القانون الدولى تحت مسمى

(نية إجرامية تمييزية).

كما إنّ مجرمى الحرب هم القادة والرؤساء الذين تسببوا فى اقتراف جرائم الإبادة والجرائم ضدّ الإنسانية (انتهاكات حقوق الإنسان وحريته بصورة منتظمة) كونهم الجهة الرسمية التى فوضت وأقرّت ارتكاب الجرائم، بالرغم من أنّ هؤلاء لا يرتكبون الجرائم بأنفسهم، بل هم الذين يأمرون أو يخططون أو يحرّضون أو يسهمون بشكل أو بآخر فى ارتكابها، الأمر الذى يعنى أنّ القانون الجنائى الدولى (محكمة الجنايات الدولية) أقرت ما يُعرف بنظام المسؤولية الجنائية المباشرة للقادة بكافة صورها؛ أى سواء أكان هؤلاء القادة فاعلين أصليين، أم فاعلين غير مباشرين ارتكبوا الجريمة عن طريق الغير، إما بأمر منهم، أو التحريض، الإسهام، أو مساعدة وتسهيل فى ارتكابها، أو أى شكل آخر من أشكال ارتكاب فعل الإجرام.

وبناءً على ذلك، فإنّ صورَ المسؤولية الجنائية المباشرة لهؤلاء تتمثل فى المساهمة الجنائية الأصلية والمساهمة الجنائية التبعية، والاتفاق الجنائى، أو ما يطلق عليه قانونياً (المشروع الإجرامى المشترك). من هنا يأتى ضرورة تفعيل القرار رقم (21) المتعلّق بنشر القانون الدولى الإنسانى المطبق فى النزاعات المسلحة بنوعيها، طبقا للمادة 2/33، للحيلولة دون إفلات مرتكبى جرائم الحرب من المسؤولية الجنائية الدولية.

والمادة 18 من مشروع مدونة الجرائم ضدّ أمن وسلامة البشرية لعام 1996م عرفت الجرائم ضدّ الإنسانية وحددت صورها بأنّها (الأفعال والسلوك الإجرامى المؤثم التى يتحقق بها الركن المادى لجريمة الإبادة الجماعية)، وتتجلى صورها من خلال الأفعال التالية عند ارتكابه بشكل منتظم أو على نطاق واسع أو بتحريض أو توجيه من إحدى الحكومات أو من أى منظمة أو جماعة، وتشمل القتل العمد – الإبادة – التعذيب – الاسترقاق – الاضطهاد لأسباب سياسية أو عنصرية أو دينية – التمييز النظامى لأسباب عنصرية أو أثنية أو دينية والذى يشمل انتهاك الحقوق والحريات الأساسية للإنسان ويؤدى إلى ضرر جسيم بجزء من السكان – الإبعاد التعسفى أو القتل القسرى للسكان – الاحتجاز التعسفى – الإخفاء القسرى للأشخاص – الاعتداء الجنسى بكلّ أشكاله – الأعمال اللاإنسانية الأخرى التى تلحق ضررًا جسيمًا بالسلامة الجسدية أو العقلية أو بالصحة العامة أو بالكرامة الإنسانية مثل التشويه والإصابات الجسدية الجسيمة» حسب المادة الثانية من اتفاقية عام 1948.

ثالثا: أركان جريمة الإبادة:

كأى جريمة تتوفر جريمة إبادة الجنس البشرى على أركان عامة وهى الركن المادى والمعنوى والشرعى وعلى ركن خاص هو الركن الدولى الذى يميزها عن أركان الجريمة الداخلية، ولما كانت معاقبة جريمة إبادة الجنس البشرى هى مسألة ذات اختصاص دولى، فقد أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة أن إبادة الجنس فى نظر القانون الدولى هى جريمة دولية يدينها العالم المتمدين، ويعاقب مرتكبوها سواء كانوا فاعلين أصليين أو شركاء بصرف النظر عن صفتهم حكاما كانوا أو أفراد عاديين.

أ – الركن المادى لجريمة إبادة الجنس البشري

يقصد بالركن المادى لجريمة إبادة الجنس البشرى إقدام مرتكب هذه الجريمة على إتيان أحد الأفعال التى نصت عليها المادة الثانية من اتفاقية منع جريمة إبادة الجنس البشرى، أو المادة السادسة من نظام روما الأساسى وهي:

أ – قتل أفراد أو أعضاء الجماعة.

ب – إلحاق أذى أو ضرر جسدى أو عقلى خطير أو جسيم بأعضاء الجماعة.

ج – إخضاع الجماعة لظروف وأحوال معيشية قاسية يقصد منها إهلاكها أو تدميرها الفعلى كليا أو جزئيا.

د – فرض تدابير ترمى إلى منع أو إعاقة النسل داخل الجماعة.

هـ – نقل أطفال أو صغار الجماعة قهرا وعنوة من جماعتهم إلى جماعة أخرى.

ب – الركن المعنوى لجريمة الإبادة الجماعية:

يعد الركن المعنوى ركنا أساسيا فى جريمة الإبادة الجماعية إذ بدونه ينتفى وجه التجريم عن هذه الجريمة الدولية الخطيرة، كما تتنوع مستويات المقترفين لهذه الجريمة من حكام على اختلاف مستوياتهم فى هرم السلطة فى أية دولة أو كانوا أفراد عاديين .

ج – الركن الشرعى لجريمة الإبادة الجماعية:

يمكن التعرض إلى الركن الشرعى لهذه الجريمة وفقا لما تضمنته مختلف المواثيق الدولية ذات الصلة، وأهمها كل من ميثاق « نورنمبورغ » المادة (6/ جـ) من الميثاق و كذا لجنة القانون الدولى فقد أشارت فى تعليقها على جريمة الإبادة كأحد الأفعال اللانسانية فى سياق تعريفها للجرائم ضد الإنسانية فى المادة الثامنة عشر (18) من مسودة الجرائم المخلة بسلم البشرية وأمنها، إلى الإرتباط بين جريمتى القتل والإبادة، وإلى أن أهم ما يميزهما عن بعضهما اتجاه جريمة الإبادة بطبيعتها ضد مجموعة من الأفراد، حيث يتضمن الفعل المرتكب لقيام الجريمة عنصر التدمير الجماعى Mass Destruction الذى لا تتطلبه جريمة القتل العمد واخيرا جاءت اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها لعام 1948.

د: الركن الدولى لجريمة الإبادة الجماعية:

ويعد الركن الدولى للجريمة بمثابة المعيار الأساسى الذى يميزها عن الجريمة الجنائية الداخلية، ويتألف هذا الركن من عنصرين، أولهما، شخصى ويتجسد فى ضرورة أن تكون الجريمة الدولية قد ارتكبت باسم الدولة لحسابها أو برضا منها، من قبل الشخص أو الأشخاص الطبيعيين الذين يقدمون على اقتراف الفعل المجرم بناء على طلب أو أمر من الدولة باسمها أو برضا منها وثانيهما: يتمثل فى أن المصلحة المشمولة بالحماية تتمتع بالصفة الدولية حيث يعد الفعل غير المشروع انتهاكا لمصالح وقيم تعد

مذبحة سربرنيتسا

أساسية بالنسبة للمجتمع الدولى.

ثالثا:الإبادة الجماعية من منظور الجمعية العامة للأمم المتحدة

جاء فى القرار رقم 96 (د - 1) الذى أصدرتــه الجمعية العامة للأمم المتحدة فى الحادى عشر مــن كانون الثانى عام 1946م إنّ «إبــادة الجنس هى إنكار حق الوجــود لجماعات بشرية بأكملها، ويتنافى مــع الضمير العــام، ويصيب الإنسانية بأضرار جســيمة، سواء من الناحية الثقافية أو مــن ناحية الأمور الأخرى التــى من شــأنها تهديد هذه الجماعــات البشرية، الأمر الذى لا يتفق والقانون الأخلاقى وروح ومقاصد الأمم المتحدة، ولمــا كانت المعاقبة على جريمة إبادة الجنس هى مسألة ذات اختصاص دولى، لذلك تؤكد الجمعيــة العامة أنّ إبادة الأجنــاس جريمة فى نظر القانون الدولى، ويدينها العالم المتمدّن، ويعاقب مرتكبوها ســواء أكانوا فاعلين أصليين أو شركاء، بغضّ النظــر عن صفاتهم كحكام أو أشخاص عاديين، كذلك تدعو الجمعية العامة للأمــم المتحدة الدول الأعضاء لســنّ ما يلزم من قوانين لمنع هذه الجريمــة والعقاب عليها، وتوصى بتنظيم التعــاون الدولى بــين الدول لتسهيل التجريم العاجل لهذه الجريمة والعقاب عليها.

رابعا:اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والعقاب عليها

تم إعــداد مــشروع اتفاقية دولية بخصوص منع جريمــة إبادة الجنس البشرى والعقاب عليها، فى أعقاب صدور قرار الجمعيــة العامة رقم 96 (د - 1) حيث وافقت عليها الأمم المتحدة الموافقة عليها بالإجماع واعتمدتها فى التاســع من كانون الثانــى العام 1948م، وقد أشارت الاتفاقية إلى أنّ ارتكاب الجريمة لا يقتــصر على زمن الحــرب فقط، بل يتصوّر ارتكابها أيضاً فى زمن الســلم، وبذلك تعتبر الاتفاقية الأعمال التى ترمى إلى إبادة الجنس البشرى جريمة دولية واجبة العقاب بغــض النظر عن وقت ارتكابها، ويتحقــق الركن المعنوى فى هذه الجريمة حال توافر القصد الجنائى (التصريحات والأوامــر والتوجيهات)، وهو ما يعنى العلم والإرادة، فينبغى أن ينصرف علم الجانى إلى أنّ فعله ينطوى على قتل أو إيذاء أو تدمير أو قهر لجماعة معينة.

يقصــد بـــ الركن الــدولى أى إن الجريمة ترتكب بناءً على خطة مرسومة من جانب دولة ضــد دولة أخرى، وقد تصــدرت المادة الرابعة مــن الاتفاقية إمكان ارتكاب الجريمة بناء على تشجيع الطبقــة أو الفئة الحاكمــة فى الدولة المرتكبــة للجريمة، أما عن المســؤولية الجنائية فقد أشارت الاتفاقية إلى التزام الدول الأطــراف بمحاكمة كل من يثبت ارتكابه لتلك الجريمة ومعاقبته عليها، وكل من يتآمر أو يحرض أو يشترك أو يشرع فى ارتكابها.

خامسا: المحاكم الدولية والتصدى لجرائم الإبادة

بالرغــم مــن افتقار المؤسســات الأممية والمحاكم الدولية للإرادة، لكنها اســتطاعت أن تلعــب دوراً فى بعض القضايا المتعلقة بجرائم الحرب والإبادة، وقد ظهر ذلك من خلال محكمة جرائم الحرب فى يوغوســلافيا السابقة حيث أصدر مجلس الأمن قــراره رقم 808 لسنة 1993م وكان ضمن فقرته الأولى قرار المجلس بإنشاء محكمة دولية من أجل مقاضاة الأشخاص المسؤولين عن الانتهاكات الجسيمة للقانون الإنسانى الدولى التــى ارتكبت فى يوغوســلافيا السابقة منذ عام 1991م.

أما فى رواندا فقد أصدر مجلس الأمن قراره رقم 955 لسنة 1994م، بإنشاء محكمة جنائية دولية لرواندا وعلى ذات نهج النظام الأساسى للمحكمة الجنائية الدولية بيوغوسلافيا السابقة، مع مراعاة ما يتلاءم مع ظــروف رواندا، وقد نصّ النظام الأســاسى للمحكمــة الجنائية الدولية برواندا على اختصاص المحكمة بالمحاكمة على جرائم الإبادة الجماعية، والتى تضمنــت ذات الأفعال والصور المكونة للجريمة بينما عقب المسؤولون فى يوغســلافيا على أساس جريمة إبادة الأجناس.

وفى عام 2001م قدمــت المحكمة الجنائية الدولية ليوغوســلافيا السابقة أول إدانــة لجريمة الإبــادة الجماعية ضد الجينرال كريســتايتش لدوره فى مذبحة سربرنيتشيا عام 1995م (بعد الاســتئناف وجد أنّه غير مذنب بتهمة الإبــادة الجماعية ولكن بــدلاً من ذلك اتهم بالمســاعدة والتحريض على الإبادة الجماعية).

وختامــا يتضح لنا مــدى خطورة جريمة الإبادة الجماعية على أمن البشرية وبقائها، وهو ما جعل ســعى المجتمع الدولى وعبر مراحل تكوينه وتطوره إلى إيجاد مختلف السبل القانونية والآليات القضائية لمواجهة هــذه الجريمة التى تعتبر بحق ابشع الجرائم الدولية لما لها من تأثير مباشر على إفناء الإنسان وتهديد وجوده ، وعليه فقد كان المشرع سواء على الصعيد الداخــلى أو على الصعيد الدولى صارمــا إزاء ملاحقــة ومتابعة الجناة حتى يكونوا عبرة لغيرهم من مقترفى هذه الجرائم التى تقشعر لها الأبدان.

تشييع شهداء قانا 1996

العدالة والقضاء فى مصر القديمة

كان النظام القضائى فى مصر القديمة دقيقاً وصارماً، وكان الحاكم مسئولاً عن استتباب النظام الذى يكفل سير العدالة وتسوية الخلافات بين الشعب حسب القانون، وأن يضع اللصوص والقتلة تحت المراقبة، فكان يسند سلطته القضائية إلى الوزير الذى يجب أن يستمع فى قاعته إلى كل من يستأنف حكماً، ويراقب سير الإجراءات القضائية فى المملكة كلها على خير وجه.

وكان من واجبات القاضى أن يصغى تماماً إلى المدعى وأن يرفض الهدايا ولا يقبل الضغوط، وألا يكون بالغ القسوة إذا ما جاش به الانفعال، إلى غير ذلك من الواجبات التى تقر العدل والإنصاف بين المتقاضين.

كانت الإجراءات الجنائية قاسية فكانوا يستجوبون المجرمين بالضرب، الذى كان قانونياً وشائعاً، ولكنها كانت مخففة فى الشئون المدنية، ففى حالة المنازعات مع خزانة الدولة، يمنح أهل العاصمة مهلة قدرها ثلاثة أيام للاستئناف، أما أهل الريف فيمنحون مهلة شهرين.

وكان هناك كثير من الحكام والقضاة: رؤساء يشرفون على المنازعات فى المدن، وكذلك مجالس تتألف من الأعيان والموظفين (تداخلت واجبات الموظفين المدنيين والقضائيين، وموظفى المساحة والضرائب، نتيجة لنظام الشئون الاجتماعية والاقتصادية) وكان لديهم محاكم عليا فى القصور الملكية، ومحاكم فى المعابد تباشر سلطتها إما عن طريق مجالسها، أو بأوامر الوحى الإلهى. أما المشاكل البسيطة فكانوا يفصلون فيها «عند باب» الإدارات الحكومية. فتقدم الشكاوى كتابة أو يسجلها كاتب المحكمة. ويمثل الإدارة الحكومية «مندوب». ويبسط المتقاضون قضاياهم تبعاً لبروتوكول موضوع، ويقومون بمرافعات منمقة.

وسواء أكانت القضايا خاصة بالسرقات أو بالنصب فيما يتعلق بالمصالح الكهنوتية أو كانت قضايا معقدة حول ملكية الأراضى، فغالباً ما كانت الإجراءات عديدة لا تنتهى، وطلبات التأجيل ومهلات التروى فى القضايا كثيرة. واحتمالات الاستئناف لا نهاية لها، وبعض ملفات القضايا من أطول النصوص المكتوبة باللغة المصرية القديمة.

كان قمع الجرائم والجنح فى الريف من اختصاص حكام تلك الأقاليم، الذين يبدو أنهم كانوا يبتون فيها بسرعة وبطريقة

سفير أشرف عقل

فعالة، حتى أنه لم يسمع عن جرائم عامة فى الريف إلا ما ندر، غير أن بعض الجرائم أثرت على مصالح الحكومة مثل السرقة بالإكراه والمؤامرات الهدامة ومحاولات قتل الملك وسرقة المقابر والاعتداء على المومياء والعيب فى الذات الملكية وغيرها، ففى مثل هذه الحالات تتحرك سلطات العدالة العظمى، وتقام المحاكم فوق العادة وكذلك لجان التحقيق، وقد يتدخل الملك مباشرة فى بعض الأحيان.

أما العقاب البدنى، فكان يتفاوت ما بين الإعدام للتمرد والزنا من جانب المرأة، إلى الضرب فى قضايا السرقة والجرائم البسيطة وسوء استعمال الإدارة والنصب والوشايات التافهة. وقلما كان يحكم بالإعدام (قطع الرأس أو الحرق أو الانتحار الاختيارى للأعيان والوجهاء). أما الضرب فكان يوقع بسخاء وتبعاً لمعيار دقيق، وبين هاتين العقوبتين، كانت هناك عقوبات أخرى مثل جدع الأنف وقطع الأذنين والنفى إلى برزخ السويس.

كذلك كانت لدى قدماء المصريين سجون، ولكنها لم تستخدم إلا لحجز من ينتظرون الإعدام، والحجز الوقائى. وفيما عدا ذلك لم تستخدم تلك السجون إلا لإيواء المحكوم عليهم بالعمل الإجبارى وفى أشغال الرى والمناجم والحقول. وقد أثار اختراع المصريين لمعسكرات العمل الإجبارى هذه إعجاب الإغريق حيث وصفها المؤرخ الشهير هيرودوت بأنها كانت لصالح الشعب، ويضيف ديودور بأنها كانت تعمل على إخضاع المجرم عن طريق العمل.

مراجع :

1 - معجم الحضارة المصرية القديمة لمجموعة من المؤلفين الأجانب، طبعة عام 1996م ، القاهرة .

2 - المعجم الموسوعى للمصطلحات الثقافية، مكتبة لبنان، طبعة عام 1990م .

هل خسر العالم معركة كورونا؟

أيام قليلة تفصلنا عن انتصاف عام 2020 والعالم لايـــزال يترنح منهكاً فى مواجهة جائحة قيل أنها بـــدأت نهايات العام 2019 تحديداً فى مدينة ووهان الصينية، حيث تجاوز إجمالى عدد ضحاياها حتى الســـاعة 235 ألف وفاة وما يناهز الثلاثة ملايين إصابة حول العالم والأعداد فى ازدياد مضطرد. هذا فيما يتعلق بخســـارة الموارد البشرية أما فيما يتعلق بنواحى الحياة الأخرى من خســـائر اقتصادية فادحة تمثلت فى شـــلل شـــبه تام أصاب عجلات الصناعة والتجارة والسياحة والنقل بكافة أشكاله طال جميع دول العالم بلا استثناء، وتبعات اجتماعية نفسية أخرى وتأثيراتها السلبية على قطاعات التعليم والصحة وغيرها لم يتم إحصاؤها بعد، هذا إن أمكن حصرها بشكل دقيق فى المقام الأول.

ميسا جيوسي

حرم سكرتير أول جمال عطا

كما من المبكر أساســـاً معرفة الآلية التى سيتعامل بها العالم لمحاولة تدارك الانهيار المحـــدق بالاقتصـــاد العالمى وكيفية التخفيف من وطأة هذه الكارثة. وهنا مـــن الممكن النظر لجائحة كورونا من عدة محاور أهمها:

هل ضللت الصين - منشأ الفيروس - العالم فيما يتعلق بتوقيت ظهوره ومدى تفشيه فيها؟

يطرح العالم اليوم تســـاؤلاً قادته الولايات المتحـــدة الأمريكية وانضمت إليها العديد من دول أوروبا، بل وذهبت الســـويد لأبعد من ذلك بدعوة الاتحاد الأوروبى لإطلاق تحقيق شـــامل حول أصل وحيثيات ظهور فيروس كوفيد - 19. كما انضمت منظمات دولية كثيرة لهذه الدعـــوات وعلى رأســـها منظمة الصحة العالمية التى دعت على لســـان مســـئوليها لأن تكون جزءاً أصيلاً فى أى تحقيـــق تقوم به الصـــين فيما يخص جائحـــة كورونا. ولعـــل كل الأطراف الســـابق ذكرها تشترك فى طرح تساؤل جوهرى مفـــاده أن تعامل الصين مع ظهور فيروس كوفيد - 19 المســـتجد كان تعاملاً متراخياً إن صح التعبير مع الفيروس مما أصبح ســـبباً فى انتشاره المتسارع فى العالم وتحوله لجائحة تقف أمامها الإنسانية جمعاء عاجزة متخبطة.

هذه الجائحة بكل تفاصيلها المرعبة تثير عدداً كبيراً من التساؤلات المفتوحة حول كيـــف؟ ومتى؟ وأيـــن فى الصين تحديداً ظهر هذا الفيروس؟ وعن حقيقة مـــا إذا كان هذا الفـــيروس طبيعياً أم مخلقاً؟ هـــل علمت به الصين فى مرحلة مبكرة مـــن نوفمبر مـــن العام 2019 وأخفت ظهوره عن العالم فعاد تقاعسها هذا بويلات على البشرية أجمع؟ هل كان بالإمكان احتواؤه والســـيطرة عليه إن تعاملت معه الصين بجدية وشـــفافية أكثر إبان ظهوره فيها؟ كل ما ســـبق هو غيض من فيض أســـئلة كثيرة قد لا يكون المستقبل القريب مكاناً لإجابتها، على الرغم مـــن تصاعد الدعوات الدولية لإنشاء تحقيق شامل فى ظهور الفيروس وأســـباب تحوله لجائحة أنهكت العالم حيث دعـــت منظمة الصحـــة العالمية خاصة وأن فيروس كوفيد 19- المستجد هو من عائلة فيروســـات كورونا التى ظهرت من قبل فى أوبئة مثل الســـارس ومتلازمة الشرق الأوســـط التنفســـية، لكنها على حدتها لم تتحول لجائحة بهذا الشكل المرعب الذى شل العالم.

الحجر الصحى ما بين ضرورات حصر الفيروس وتبعات اقتصادية كارثية:

من الممكـــن الإجماع حتى يومنا هذا بأن العالم لا يـــزال يتخبط فيما يمكن تبنيه من آليات لمحاولة حصر وإنهاء هذه الجائحة، فى ظل تقارير تفيد بامتلاك هذا الفيروس القـــدرة السريعة على الانتقال مما يجعـــل مكافحته أكثر صعوبة. فما أن تتنفـــس بعض الـــدول الصعداء فى انحســـار عدد المصابـــين، حتى تظهر موجة جديدة تعيدنا إلى مرحلة الصفر ثانية ونجد منظمة الصحة العالمية تقول بأن التراجع الطفيف فى عدد الأشخاص المصابـــين بفيروس كورونا المســـتجد مرحب به، ولكنه لا يمثل حدثاً يستدعى الاحتفال، فى إشارة إلى أن الجائحة ليست على مشـــارف الانتهاء بعد. هذا الظرف

الضبابى جعل الكثير من الدول تجد فى الحجر الصحى الكامل أسلوباً غير قابل للاستمرار مع ما يمكن أن تحمله هذه الإجراءات من تبعات اقتصادية كارثية. وهنا ظهر الجدل المحتدم ما بين دعاة استمرار النشاط الاقتصادى مصحوباً بتدابير احترازية تضمن الحد من الاحتكاك البشرى قدر الإمكان وبالتالى تحجيم انتشار الفيروس، وفريق يرى أن أى عودة للحياة الطبيعية حتى مع أخذ تدابير التباعد الاجتماعى المطلوبة فى هذه المرحلة هو مقامرة قد لا تقوى الدول على تحمل تبعاتها. وهذا النقاش لم يقتصر على الدول الغنية أو الفقيرة، المتقدمة أو النامية لكنه إلى يومنا هذا لا يزال الطرح الأكثر جدلاً فى تداعيات هذه الجائحة. وخرجت لنا إحصائيات البطالة وطلبات الإعانة وإفلاس شركات ضخمة وانهيار أسهم فى البورصات العالمية وتدنى أسعار البترول وغيرها لتقول لنا إن العالم اقتصادياً حتماً ستختلف ملامحه ولو لحين فى حال انتهاء هذه الجائحة. وهذا الجدل أيضاً بكل جوانبه سينسحب على كل ما يتعلق باستئناف نشاطات الحياة الاعتيادية من تعليم وسياحة وترفيه وغيرها تتعلق باختلاف أنماط الاستهلاك البشرية ما بعد الجائحة.

الخطاب الملتبس:

منذ ظهور فيروس كوفيد – 19 المستجد والعالم بكافة شرائحه يعانى تخبطاً واضحاً فى الخطاب المتصل بهذه الجائحة. فمنذ البدايات لم يكن من الواضح مدى خطورة الفيروس وكيفية انتشاره وآليات التعامل معه، مما جعل الكثير من الجهات الرسمية تصدر خطابات ملتبسة حول طبيعة الفيروس وما يترتب على الإصابة به وكيفية التعامل معه. هذا التخبط بدأ فى عقر دار الفيروس فى الصين نفسها، حيث خرجت تقارير صحفية مفادها بأن الصين عاقبت كل من نشر أية معلومة تخص هذا الفيروس المستجد، وبالمقابل لم يكن الخطاب الرسمى الصينى واضحاً وافتقر للشفافية والصدق فى نقل تفاصيل ما كان حينها وباء. ومن ثم أصاب هذا التخبط الكثير من قادة العالم حيث قام الكثير منهم وعلى رأسهم الرئيس الأمريكى دونالد ترامب والذى ظهرت فى إدارته تقديرات تفاوتت بشكل كبير حول نشأة الفيروس ما بين أجهزة المعلومات والمخابرات، أسفرت فى البدء عن التقليل من حجم خطورة الفيروس فى مراحله الأولى والدعوة إلى استمرار الحياة بشكل طبيعى إلى أن ضرب الفيروس بقسوة ولاية نيويورك حينها تغير خطاب دونالد ترامب ليتسم بشدة أكثر وجدية فى التعامل مع الجائحة. هذا النموذج كان مكرراً فى إيطاليا وإسبانيا فى بدايات انتشار الفيروس إلى أن احتد الموقف وفوجئت حكومات هذه الدول بضراوة الفيروس وصعوبة التعامل مع سرعة انتشاره. فتغير الخطاب الرسمى ليكون أكثر حزماً مصحوباً بحزمة تدابير حادة من إجراءات غلق وحجر صحى وتقييد حركة.

العلاج المنتظر:

اليوم تتجه أنظار العالم نحو شعاع قد يرى فى نهاية هذا النفق المظلم متمثلاً بإيجاد لقاح لهذا الفيروس يجعل من الممكن القول بأن العالم قد أفاق من كابوس فيروس شل كافة مناحى الحياة فى كل أنحاء الكرة الأرضية. الأبحاث تسير على قدم وساق، واقتراحات لاستخدام بروتوكولات مختلفة فى العلاج ترتكز على لقاحات سابقة وأخرى طور التجارب السريرية. لكن حتى الجدول الزمنى للوصول إلى هذا اللقاح ليس متوفراً إلى يومنا هذا، أضف إلى هذا التحدى هو فى حال إيجاد اللقاح المنشود متى سيكون بالإمكان توفير ما يلزم منه لسد احتياج العالم بأسره، وكيف سترتب أولويات توفير اللقاح فى حال إيجاده.

ختاماً: يدور فى فلك الجائحة سؤال يطرح بقوة ألا وهو: هل سيعود العالم كما كان؟ وهل تخرج البشرية بدروس مستفادة من هذه الجائحة فيما يخص التعامل مع كوكب الأرض الذى عرضته الممارسات البشرية غير المسئولة والمتمثلة بإهدار مقدراته الطبيعية وتلويثه بمعدلات غير مسبوقة وانتهاك توازنها على أصعدة كثيرة أدت إلى كوارث بيئية وصحية لعل هذه الجائحة منها ولن تكون آخرها إن استمر النهج البشرى على ما هو عليه، لا بل قد يكون ظهور فيروس كوفيد – 19 إنذاراً بقادم أسوأ بكثير؟

كورونا.. «كوفيد- 19» ومخاطر الحرب البيولوجية

بين ليلة وضحاها. غير فيروس كورونا «كوفيد ـ 91» خريطة العالم العلمية والطبية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وتفاقمت الأزمة بشكل مخيف وإزداد حدة الموقف يوما بعد يوم وانتبه العالم لحتمية العمل والبحث الايجاد سلاح سريع وفتاك ليحد من هذا الوباء الجامح.

تعالت الأصوات والنبرات بين العلماء وإخصائى الأمراض المعدية والفيروسات والسياسيين لانقاذ البشر من فيروس حبس العالم بين الجدران، رغم أن هذا الفيروس اللعين لا يمتلك من اسلحة الدمار الشامل مثل الصواريخ ومقاتلات وكاسحات مدمرة ولكنه هو ميكروب أو جرثومة له القدرة على غزو البشر مسببا أمراضا وأوبئة كانت تحصد أرواح الناس حصدا فى الماضى، وتنشر ظلال الموت والفجيعة على كوكب الأرض.

وقد شاءت إرادة الله أن يتجاوز الخير والشر فى هذه الحياة الدنيا وأن يظلا فى سجال.

وقدم لنا العالم «جون بوستجيت» وهو استاذا للميكرو بيولوجيا فى جامعة سسكس بالمملكة المتحدة كتابة العمدة المعنون «الميكروبات والإنسان» ترجمة د.عزت شعلان.

وتناول الكتاب موضوعا له أهميتة فى حاضرنا وموضوع الميكروبات أو الجراثيم التى تجسدت الآن فى «كورونا العصر» ذلك الوباء المدمر للبشر، وقدم لنا هذا الكاتب فى كتابه تعريفات الميكروبات ومن أين تأتى ولماذا تسبب الأمراض وكيف يتم انتقالها، وكيف تعمل دفاعاتنا الطبيعية ضدها والميكروبات فى المستقبل وظلت هذه القضية بمحاكمة الميكروب قوية حتي الآن.

وعرف «جون الميكروبات بأن الميكروبات هى تلك الكائنات التي يدعوها الإنسان باسماء عدة منها العفن والخميرة والطحالب، وهناك الأسماء العلمية بأنها الميكروبات، وتعرف أحيانا بالكائنات الحية الدقيقة وتعيش فى كل مكان على الأرض والحق أن الميكروبات توجد حينما توجد الحياة على الارض وأهم ما أثاره الكتاب وقد نبهنا عنه كثيرا عدة المقالات فى مجلتنا الدبلوماسى الغراء هو الحرب البيولوجية

ويسجل الكاتب د.جون بوستجيت قائلا يمكن أن يجادل الإنسان بقوله أن الحرب البيولوجية فى هذه الأيام من الجحيم الذرى تعد صيغة إنسانية نسبيا من صيغ الحرب ذلك بأن هناك احتمالا معقولا لبقاء لجنس البشرى ممثلا فى بعض الاحياء مهما يكن سلاح الحرب البيولوجية فاتكا لسبب بسيط هو أنه لا يوجد حتى اليوم مرض لا يكون لدى قلة من السكان مناعة قوية ضده، ولا يصدق هذا بالضرورة على الحرب الذرية التى يمكن من ناحية المبدأ أن تدع الكوكب قاعا صفصفا خاليا من الناس والحيوانات العليا طيلة سنين بل عقود من السنين ولكن من الناحية العلمية لا يبدو هناك احتمال على الاطلاق لاستعمال سلاح الحرب البيولوجية.

فالمشاكل هائلة فيما يختص بتحضير القدر الكافى من الميكروبات وتحصين المواطنين ثم توزيع الميكروبات بحيث يتجه رذاذها

سفير د. سامح أبو العينين

samehenein@yahoo.com

نحو الطريق الصحيح حتى لو توافرت الموارد الضخمة تحت تصرف المؤسسات الحربية الحديثة ولا يقبل العقل العسكرى فى الحقيقة سلاحا يمكن أن يرتد إلى نحره لو غيرت الريح اتجاهها وفضلا عن ذلك فأغلب الميكروبات التي ينقلها الهواء يقتلها ضوء الشمس ولذا فالحرب البيولوجية الفعالة يبدو أنه لا يمكن شنها إلا أثناء ساعات الظلام.

نتائج هذه الاسلحة مرعبة كما أن مدى الخيال الإنسانى يبدو بغير نهاية وربما كانت الحكومات على حق فى الاهتمام بمختبرات الحرب الجرثومية طالما أمكن تشجيع العلماء على العمل فيها ومن الواضح فى عصرنا الآن أن الاسلحة المحظورة قوى تدميرية عالمية، لم يستطع حتى كتاب الخيال العلمي، خلال الأعوام الماضية المنصرمة ان يتخيلوا مداها.

ومن هذا المنطلق نذكر قرأنا بمعلومات فى غاية الاهمية عن خطورة اسلحة الدمار الشامل وتعريفاتها وجهود العلماء والمؤسسات الحكومية والاهلية لعقد المؤتمرات الدولية للحد من هذه الاسلحة المدمرة حيث إنه لا يغفل عنا الآن بعد اجتياح وباء كورونا كوفيد ـ 91 بقسوة هذا الوباءالذى ارعب البشر فى كل مكان على المعمورة.

الأسلحة البيولوجية

شهدت مراكز الأبحاث بمدينتى لندن وأكسفورد خلال الآونة الأخيرة عدة مؤتمرات تناولت منع انتشار الأسلحة البيولوجية والكيميائية – التعاون الدولى لمنع الإرهاب البيولوجى والكيميائى – تطوير أنظمة – لمراقبة تطور البرامج الكيميائية والبيولوجية بهدف تحسين الأمن والاستقرار الدولى – وأنظمة التحقق فى نزع تحسين أسلحة الدمار الشامل ووسائل التعامل مع عدم الامتثال – كيفية التعامل مع الإرهاب البيولوجى والكيميائى.

وفى هذا الصدد نعرض لأهم المصطلحات والمحاور ولاتفاقيات ذات الصلة بالأسلحة البيولوجية.

أولا: أهم المصطلحات والتعريفات:

1 – العوامل البيولوجية Biological Agents:

تصنف العوامل البيولوجية التى يصلح استخدامها فى الأسلحة البيولوجية فى خمس فئات وهى. البكتيريا، والفيروسات، والريكتسيات، والفطريات، والتكسينات وتتسلل للإنسان عبر الجهاز التنفسى أو الهضمى.

2 – الأسلحة البيولوجية Biological Weapon:

تتألف من عوامل بيولوجية ومن الذخيرة أو المعدات أو الوسائل المستخدمة لإيصالها، وتؤثر عوامل الأسلحة البيولوجية من خلال الأعراض التى تصاب بها الكائنات الحية، وقد تتمكن أيضا هذه العوامل من الضرر بالمعدات وذلك يجعل العناصر البلاستيكية والمطاطية تتآكل وتتدهور، كما أن العوامل البيولوجية هى كائنات حية تتوالد وتتكاثر بعد انتشارها، بالإضافة إلى أن تحمل العدوى، وتنقل الداء من كائن مصاب إلى كائن آخر، وفى استطاعة هذه العوامل التى تسبب العدوى أن تكون نقطة انطلاق وباء عام، لاسيما إذا كانت الظروف الصحية المحلية ظروفا رديئة.

3 – البكتيريا BACTERIA:

كائنات مجهرية ذات خلية واحدة، تتمثل فى مادة نووية، وبلازما الخلية، وغشاء الخلية، ومنها ما يسبب المرض، ويتضاعف بمجرد الانقسام، وإن كان عدد من البكتريا المرضة يتأثر بالمضادات الحيوية، وهناك العديد من أنواع البكتيريا بعدة أسماء طبية وعلمية صالحة لصنع العوامل البيولوجية.

4 – التكسينات TOXINS:

منتجات ثانوية سامة غير حية من النبات أو الحيوان، أو كائنات مجهرية، وخلافا لغيرها من العوامل البيولوجية،ـ التكسينات لا يمكنها أن تتوالد، وبالتالى لا تصيب إلا الكائنات التى تتعرض لها، ولأن التكسينات كائنات حية، فهى أسهل للمناولة من غيرها من العوامل البيولوجية.

5 – الحرب البيولوجية BIOLOGCAL WARFARE:

استعمال الأسلحة البيولوجية لأغراض عدائية.

6 – تحقيق الاستقرار للعوامل البيولوجية STABILIZATION:

تجهيز عامل بيولوجى ما للتخزين للعوامل البيولوجية بهدف الحفاظ على العامل من التدهور أثناء التخزين أو الاستعمال، ويتم تحقيق الاستقرار بعدد من التقنيات، بما فى ذلك تقنية التجفيف بالتجميد المباشر،والتجفيف بالرش المباشر.

7 – الاحتواء CONTAINMENT:

نظام للسلامة وضع لضمان مناولة المواد

البيولوجية الخطرة أو صيانتها بسلامة، وهو نوعان: أولى وثانوى، الاحتواء الأولى هو حماية الموظفين والمحيط المباشر للمعمل من التعرض للمواد البيولوجية الخطرة الاحتواء الثانوى هو حماية المحيط الخارجى للمعمل من التعرض لمثل هذه المواد.

8 - الريكتسية RICKETTSIA:

كائنات مجهرية، تشبه البكتريا فى تركيبتها وفى شكلها، لكنها لا تنمو إلا داخل الخلايا الحية مثل الفيروسات، وللريكتسية آثار ضارة على الإنسان.

9 - الفطريات FUNGI:

مجموعة من كائنات مجهرية تعيش على المادة العضوية، وإن كانت عادة لا تضر بالإنسان والحيوان، فالفطريات يمكن أن تضر بالنبات.

10 - الفيروس VIRUS:

الفيروس كائن مجهرى ملوث يتمثل فى جزء حمض نووى مغلف بالبروتين، تتولد الفيروسات داخل الخلايا الحية، ويمكنها أن تتغير طبيعيا أو أن يتم تحويرها جينيا لزيادة فعاليتها. والعوامل الحربية الفيروسية تكون عادة فتاكة للإنسان، وخلافا لعوامل البكتيريا لا يؤثر فيها العلاج.

11 - المضادات الحيوية ANTIBIOTICS:

مواد يتم الحصول عليها عادة من كائنات مجهرية تعوق نمو غيرها من الكائنات المجهرية الفتاكة أو تدمرها، المضادات الحيوية وتضر جهاز المناعة الطبيعية كما يمكن استخدامها كحصانة من العوامل البيولوجية.

12 - الناقل VECTOR:

المفصليات المستعملة وكذا الناقل الذى يستخدم لإيصال العامل البيولوجى إلى هدفه.

ثانيا: أهم المحاور التى تتابعها مراكز الأبحاث الدولية ذات الصلة:

- المحور الأول:

دور منظمة الصحة العالمية فى مراقبة الأمراض وانتشارها وأسبابها ومحاولة السيطرة عليها، والأمن البيولوجى ووسائل تأمين المواد البيولوجية داخل المعمل، والمساعدة لمواجهة حالات إساءة استخدام المواد البيولوجية، والتشريعات الوطنية لتنظيم الاستخدامات البيولوجية، بالإضافة لدور المنظمة فى جمع المعلومات ورصد التحركات فى مجال الأنشطة البيولوجية.

- المحور الثانى:

انعكاسات أحداث الحادى عشر من سبتمبر الماضى على مسألة الحد من التسلح البيولوجى، ووسائل تقوية أحكام اتفاقية حظر تطوير وإنتاج وتخزين الأسلحة البيولوجية والسمية، ومخاطر استخدام الجماعات الإرهابية لأسلحة الدمار الشامل ومنها البيولوجية والإرهاب البيولوجى الزراعى.

- المحور الثالث:

مؤتمرات المراجعة لاتفاقية حظر الأسلحة البيولوجية، وإمكانية الاعتماد على منظومة الأمم المتحدة للقيام بمهام التفتيش، وحدود النشاط البيولوجى والكيميائى من عدمه ومدى شرعية استخدام القوة لمنع الانتشار والحد من التسلح البيولوجى.

- المحور الرابع:

دراسة وضع نظم متطورة للتعامل مع عدم الامتثال باتفاقية حظر الأسلحة البيولوجية وضرورة تشديد نظم الرقابة على الصادرات (المادة الثالثة من الاتفاقية) وتدابير التحقق (المادتين الخامسة والسادسة) وكيفية تحقيق الاتفاقية (المادة 14) بالإضافة لمسألة جعل تدابير بناء الثقة إجبارية وتوسيع نطاقها والدعوة إلى إنشاء آلية للتعامل مع موضوع الامتثال تحت جهاز دولى، بالإضافة لوضع نظام لتقديم تقارير دورية فى مجال الرقابة على الصادرات.

- المحور الخامس:

يتعلق بالدور المهم والمتزايد الذى تلعبه الأجهزة الأمنية والفنية والأقمار الصناعية فى تجميع المعلومات الخاصة ببرامج نووية أو بيولوجية أو كيميائية، بالإضافة لقدرة هذه الأجهزة على تقديم الدلائل.

- المحور السادس:

التطورات المتلاحقة فى التكنولوجيا البيولوجية، وكيفية زيادة سبل ووسائل منع استخدام الأسلحة البيولوجية.

- المحور السابع:

مسألة إمكانيات الاستخدام المزدوج (مدني/ عسكري) للمواد البيولوجية، وأهمية تطوير الضوابط لمتابعة أى تلاعب فى هذا المجال، خاصة إنه يمكن إنشاء معامل متعددة الأغراض.

ثالثا: الاتفاقيات الدولية ذات الصلة:

1 - اتفاقية حظر استحداث وإنتاج وتخزين الأسلحة البكتريولوجية (البيولوجية) والتكسينية وتدمير تلك الأسلحة (اتفاقية الأسلحة البيولوجية):

(أ)معاهدة متعددة الأطراف فتح باب التوقيع عليها فى لندن، وموسكو، وواشنطن فى إبريل 1972. ودخلت الاتفاقية حيز النفاذ فى مارس 1975، بعد أن أودعت 22 حكومة وثائق التصديق، «بما فيها الحكومات الوديعة»، تسرى لأجل غير محدود، ويتطلب الانسحاب منها توجيه إشعار مسبق بمدة ثلاثة أشهر.

(ب)تمنع الاتفاقية الأطراف من استحداث أو إنتاج أو تخزين العوامل الجرثومية أو غيرها من العوامل البيولوجية أو التكسينات، أو حيازتها بأية صورة أخرى أو الاحتفاظ بها، ايا كان أصلها أو كيفما كانت طريقة إنتاجها، من أنواع وبكميات ليس لها من مبرر وقائى أو حمائى أو غير ذلك من الأغراض السلمية.

(ج)تمنع الاتفاقية الأسلحة أو معداتها أو وسائل الإيصال المصممة لاستخدام هذه العوامل أو التكسينات فى الأغراض العدائية أو فى النزعات المسلحة.

(د)كما تتطلب تدمير كل المواد المحظورة أو تحويلها لأغراض سلمية فى غضون الأشهر التسعة التالية لدخول الاتفاقية حيز التنفيذ.

(ه)يتم التحقق من الوفاء بالالتزامات بمقتضى الاتفاقية، وذلك أساسا من خلال وسائل فنية وطنية.

(و)على الأطراف أن تتشاور وأن تتعاون لحل أى مشاكل تنشأ عن تنفيذ الاتفاقية، وإذا اشتبه فى طرف من الأطراف أنه يخل بالاتفاقية، يجوز تقديم شكوى ضده إلى مجلس الأمن للأمم المتحدة.

(ز)تنص الاتفاقية على عقد مؤتمرات استعراضية، حيث اتفق الأطراف أثناء المؤتمر الاستعراضى الثانى الذى انعقد عام 1986 على مجموعة من تدابير الشفافية لتعزيز الثقة فى سير الاتفاقية، وشملت هذه التدابير، الإعلان عن كل مرافق الاحتواء ذات الدرجة العالية من الأمن، والإعلان عن الحالات غير العادية لانتشار المرض، وتشجيع نشر نتائج البحوث.

2 - بروتوكول جنيف .

3 - معاهدة قاع البحار:

(معاهدة حظر وضع الأسلحة النووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل على قاع البحار والمحيطات وفى باطن أرضها).

(أ)معاهدة متعددة الأطراف وقع عليها فى فبراير 1971، ودخلت حيز النفاذ فى مايو 1972 بعد ما صدقت عليها الحكومات الوديعة الثلاث، وهى الاتحاد السوفيتى، والمملكة المتحدة، وكذلك 20 دولة أخرى، وأنهيت المفاوضات على معاهدة قاع البحار فى مؤتمر نزع السلاح.

(ب)تمنع معاهدة قاع البحار الدول الأطراف من وضع أى نوع من أسلحة الدمار الشامل أو ما يتصل بها من منشآت فى قاع البحار أو المحيطات خارج 12 ميلا من المنطقة الساحلية.

(ج)يجرى التحقق من التزامات المعاهدة عبر الوسائل الفنية الوطنية.

(د)تعقد مؤتمرات استعراض المعاهدة كل خمس سنوات، وفى المؤتمر الاستعراضى لعام 1989 أعلنت الأطراف عن عدم وضع أى أسلحة نووية أو أسلحة دمار شامل أخرى فى قاع البحار خارج مجال تطبيق المعاهدة (أى داخل المنطقة الساحلية التى تبلغ 12 ميلا لدولة طرف)، وأن ليس لديها النية فى القيام بذلك مستقبلا، وقد جعل هذا الإعلان معاهدة قاع البحار منطقية فى الواقع من ساحل لآخر.

4 - معاهدة القمر:

(الاتفاق المنظم لأنشطة الدول على سطح القمر والأجرام السماوية الأخرى).

(أ)معاهدة متعددة الأطراف وقع عليها فى عام 1979، وبدأ نفاذها فى عام 1984 وتضم تسعة أطراف، وخمس دول موقعة إضافية لم تصدق بعد على المعاهدة.

(ب)مدة المعاهدة غير محدودة. ويتطلب الانسحاب من المعاهدة توجيه إشعار مسبق فى غضون سنة، ويعمل الأمين العام للأمم المتحدة كوديع لها.

(ج)تؤكد معاهدة القمر على استخدام القمر من أجل أغراض سلمية فقط، وتحظر استخدام أو التهديد باستخدام القوة أو اللجوء إلى أعمال عدائية أخرى سواء على سطح القمر أو انطلاقا منه.

(د)كما تحظر على الدول الأطراف وضع أسلحة الدمار الشامل على سطح القمر أو حول مداره.

(ه)تسمح أحكام المعاهدة المتعلقة بالتحقق، للدول الأطراف، بتفتيش جميع

كورونا.. «كوفيد- 19» ومخاطر الحرب البيولوجية

المركبات والمعدات والمحطات والمنشآت الفضائية على سطح القمر.

(و)وفى حالة وجود نزاع تلزم الأطراف بإجراء مشاورات فورية بغية إيجاد حل لخلافاتها بالطرق السلمية.

5 - معاهدة الفضاء الخارجى:

(معاهدة المبادئ المنظمة لأنشطة الدول فى ميدان استكشاف واستخدام الفضاء الخارجى، بما فى ذلك القمر والأجرام السماوية الأخرى).

(أ)اتفاق متعدد الأطراف يحظر نشر أية مكونان تحمل معدات أسلحة نووية أو أية نوع آخر من أسلحة الدمار الشامل فى مدار الأرض، أو على الأجسام السماوية أو فى الفضاء الخارجى.

(ب)كما أن المعاهدة تنص على الاقتصار فى استخدام القمر وغيره من أجرام سماوية على الأغراض السلمية.

(ج)وتحظر إنشاء قواعد عسكرية أو إنشاءات أو تحصينات على الأجرام السماوية، أو إجراء تجارب فيها لأى نوع من أنواع الأسلحة، أو إجراء مناورات عسكرية عليها.

(د)وقد دخلت المعاهدة حيز النفاذ فى 10 أكتوبر 1967، ومدة المعاهدة غير محدودة، ويتطلب الانسحاب منها الإخطار بذلك قبل الانسحاب بسنة واحدة.

6 - معاهدة أنتاركتيكا:

(أ)معاهدة متعددة الأطراف تمنع تسليح القارة المتجمدة الجنوبية، ووقعت معاهدة انتاركتيكا فى ديسمبر 1959، ودخلت حيز النفاذ فى 23 يونيه 1961 ويحوز تعديل المعاهدة أو تنقيحها بموجب موافقة الأطراف بالإجماع.

(ب)تتضمن المعاهدة حاليا 42 طرفا، تضطلع فيها الولايات المتحدة بدور الحكومة الوديعة.

(ج)تمنع المعاهدة وضع أو اختيار أى نوع من الأسلحة فى القارة المتجمدة الجنوبية بما فى ذلك الأسلحة النووية، كما تحظر إرساء القواعد أو المرافق العسكرية.

(د)تمنع فيها كل الأعمال ذات الصبغة العسكرية، وكذلك الانفجارات النووية وحيازة نفايات نووية.

(ه)تتكفل أعمال التفتيش بالتحقق من الامتثال لمعاهدة انتاركتيكا، فكل المناطق داخل القارة المتجمدة الجنوبية، بما فيها المحطات، والتجهيزات والمعدات، ونقاط نزول السفن والطائرات ومغادرتها، خاضعة لأعمال التفتيش الميدانى والجوى اللامحدود، وما ينوى أى طرف إرساله من بعثات إلى القارة المتجمدة الجنوبية أو داخلها، وكل ما يمكن وضعه من جنود ومعدات عسكرية فيها تخضع للتحقيق.

(و)ويمكن إحالة النزاعات التى تتعذر تسويتها من خلال المحادثات أو الوساطة أو التحكيم إلى محكمة العدل الدولية.

7 - اتفاقية حظر استخدام تقنيات التغيير فى البيئة لأغراض عسكرية أو لأية أغراض عدائية أخرى.

(أ)اتفاق متعدد الأطراف فتح باب التوقيع عليه فى مايو 1977، ودخل حيز النفاذ فى أكتوبر 1978، وتودع الاتفاقية لدى الأمين العالم للأمم المتحدة. وتسرى لأجل غير محدد.

(ب)تحظر هذه الاتفاقية التغيرات فى البيئة التى تؤدى إلى «آثار واسعة الانتشار» أو «طويلة الأجل»، أو «شديدة» تأتى نتيجة تحكم الإنسان قصدا فى العمليات الطبيعية.

(ج)وتمنع إدخال أى تغييرات على ديناميات الأرض أو تركيبها أو بنيتها، بما فى ذلك غلافها الجوى، والفضاء الخارجى، كوسائل لإلحاق الدمار أو الأذى أو الضرر بدولة من الدول الأطراف، ويعرف مصطلح «واسعة الانتشار» بأنه يشمل منطقة تغطى مساحتها عدة مئات من الكيلو مترات المربعة. ويعرف مصطلح «طويلة الأجل» بمدة شهور أو بفصل واحد، ويعرف مصطلح «شديدة» بأنه ينطوى على إخلال أو ضرر خطير أو كبير بحياة الإنسان وبالطبيعة والموارد الاقتصادية، وهذا يشمل التسبب قصدا فى ظواهر مثل الزلازل، والموجات الاهتزازية البحرية، والاضطراب فى التوازن البيئى لمنطقة ما، والتغيرات فى أنماط الطقس، والتغيرات فى أنماط المناخ والتغييرات فى تيارات المحيطات.

(د)لا تتضمن الاتفاقية أى أحكام معينة بشأن التحقق، وإن كان فى إمكان لجنة الخبراء الاستشارية للاتفاقية إرسال بعثات لتقصى الحقائق بناء على طلب دولة من الدول الأطراف فى الاتفاقية.

رابعا: تجارب الاتفاقيات الثلاثية والإقليمية:

1 - البيان المشترك الأمريكى، الروسى، البريطانى فى سبتمبر 1992:

حيث أصدرت حكومة كل من الاتحاد الروسى والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة بيانا مشتركا عن الأسلحة البيولوجية:

(أ)كان هذا البيان يهدف إلى تهدئة القلق الناشئ عن امتثال روسيا لأحكام اتفاقية حظر استحداث وإنتاج وتخزين الأسلحة البكترولوجية والتكسينية وتدمير تلك الأسلحة وذلك فى أعقاب إقرار روسيا بأن الاتحاد السوفيتى قد نفذ برنامج أسلحة بيولوجية يتنافى مع اتفاقية حظر استحداث وإنتاج وتخزين الأسلحة البكتريولوجية والتكسينية وتدمير تلك الأسلحة، فى الفترة ما بين 1972 و 1992...

(ب)أكدت الدول الثلاث فى البيان على التزامها بالامتثال التام لشروط اتفاقية حظر استحداث وإنتاج وتخزين الأسلحة البكتريولوجية والتكسينية وتدمير تلك الأسلحة.

(ج)وأكدت روسيا وضعها كحليف قانونى فى الاتفاقية، وبالإضافة إلى ذلك، عملت روسيا على رفع أى غموض قائم بتقديم ضمانات بشأن إنهاء برنامج أسلحتها البيولوجية الهجومية، وبموافقتها على تقديم المعلومات، وبقبولها فتح المجال أمام زيارة موقعها غير العسكرى ثم مرافق البحث والتطوير العسكرية.

2 - المراقبة الإقليمية:

إن المراقبة الإقليمية على انتشار الأسلحة البيولوجية تعمل فى الواقع كجزء من عدد من معاهدات المناطق الخالية من الأسلحة، حيث تحظر معاهدة انتاركتيكا انتشار أى معدات أو مرافق عسكرية فى قارة انتاركتيكا فى حين تحظر معاهدات القمر والفضاء الخارجى وقاع البحار، نشر أسلحة الدمار الشامل على القمر وفى الفضاء وفى قاع المحيطات، وبالإضافة إلى ذلك فإن اتفاق ميندوزا الذى أبرمته كل من الأرجنتين، والبرازيل وسيلى عام 1991 يمنع الأطراف من استحداث، أو إنتاج، أو حيازة أو تحويل، أو استعمال الأسلحة البيولوجية والكيميائية. حظر الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والاتفاقيات ذات الصلة

العناصر المتصلة بالحظر والتخلص من الأسلحة الكيميائية والبيولوجية.

أولا: تتضمن اتفاقية الأسلحة الكيميائية واتفاقية الأسلحة البيولوجية والتكسينية التزامات متماثلة، ولكن لدى الأولى آليات أكثر قوة للتحقق والامتثال، وتنص المادة (1) من اتفاقية الأسلحة الكيميائية على ما يلى:

أ - تتعهد كل دولة طرف فى هذه الاتفاقية، تحت أى ظرف من الظروف، بعدم القيام بما يلى:

1 - تطوير، أو تخزين أو حيازة أو الاحتفاظ بأسلحة كيميائية، أو نقلها بصورة مباشرة أو غير مباشرة لأى شخص كان.

2 - استخدام أسلحة كيميائية.

3 - المشاركة فى أى استعدادات عسكرية لاستخدام الأسلحة الكيميائية.

4 - مساعدة أو تشجيع أو تحريض أى شخص، بأى صورة من الصور على المشاركة فى أى نشاط محظور على أى دولة بموجب هذه الاتفاقية.

ب - تتعهد كل دولة طرف فى الاتفاقية بأن تقوم بتدمير الأسلحة الكيميائية التى تملكها أو فى حوزتها، أو التى تقع فى أى مكان تحت ولايتها أو سيطرتها وفقا لأحكام هذه الاتفاقية.

ج - تتعهد كل دولة طرف فى الاتفاقية أن تدمر جميع الأسلحة الكيميائية التى تركتها فى أراضى دولة أخرى طرف فى الاتفاقية، وفقا لأحكام هذه الاتفاقيات.

د - تتعهد كل دولة طرف فى الاتفاقية أن تقوم بتدمير أى منشآت تملكها أو تدخل فى حوزتها لإنتاج أى أسلحة كيميائية، أو تقع فى أى مكان تحت ولايتها أو سيطرتها وفقا لأحكام هذه الاتفاقية.

ثانيا: الغرض العام من اتفاقية الأسلحة البيولوجية:

1 - تنص المادة (1) من اتفاقية الأسلحة البيولوجية والتكسينية على ما يلى:

تتعهد كل دولة طرف فى هذه الاتفاقية، تحت أى ظرف من والظروف، وبأى حال من الأحوال بعدم القيام بتطوير، أو تخزين أو الاحتفاظ بالآتى:

أ - مواد ميكروبية أو غيرها من المواد البيولوجية، أو بمواد سامة بغض النظر عن منشأها أو أسلوب إنتاجها، من أنواع وبكميات لا تبررها أغراض وقائية أو حمائية أو أغراض

سلمية أخرى.

ب - أسلحة ومعدات أو وسائل إطلاق مصممة لاستخدام تلك المواد أو السموم لأغراض عدائية أو فى نزاع مسلح.

2 - يتوقف نجاح اتفاقية الأسلحة البيولوجية والحظر الشامل الوارد بها على ما يعرف باسم معيار الغرض العام حيث تحظر الاتفاقية جميع المواد البيولوجية والتكسينية المزمع استخدامها لأغراض عدائية أو فى نزاع مسلح، والعبارة الأساسية فى ذلك هى لا تبررها أغراض وقائية أو حمائية أو أغراض سلمية أخرى.

ثالثا: وعلى غرار اتفاقية الأسلحة البيولوجية والتكسينية فإن اتفاقية الأسلحة الكيميائية تعتمد على معيار «الغرض العام» الذى ورد تعريفه فى المادة الثانية:

1 - يقصد بـ«الأسلحة الكيميائية» سواء كانت مجتمعة أو منفصلة ما يلى:

أ - المواد الكيميائية السامة، إلا إذا كانت مخصصة لأغراض غير محظورة بمقتضى هذه الاتفاقية، طالما كانت الأنواع والكميات منسقة مع كل الأغراض.

ب - الذخائر والأجهزة التى صممت خصيصا لأحداث الوفاة أو أى أضرار أخرى بمقتضى هذه الاتفاقية طالما كانت الأنواع والكميات متسقة مع تلك الأغراض.

ج - الذخائر والأجهزة التى صممت خصيصا لإحداث الوفاة أو أى أضرار أخرى عن الخواص السامة للمواد الكيميائية السامة، والتى يمكن أن تنطلق نتيجة لاستخدام مثل تلك الذخائر أو الأجهزة.

2 - يقصد بالمواد الكيميائية السامة ما يلى:

أى مادة كيميائية يمكن، عن طريق تأثيرها الكيميائى فى عوامل الحياة، أن تتسبب فى الوفاة أو العجز المؤقت أو الدائم للإنسان أو الحيوان، ويشمل ذلك جميع المواد الكيميائية، بصرف النظر علن منشأها أو طريقة إنتاجها، وبصرف النظر عما إذا كان قد تم إنتاجها فى منشآت أو مخازن أو أى مكان آخر.

3 - يقصد بـ «الأغراض غير المحظورة» بمقتضى الاتفاقية ما يلى:

أ - الأغراض الصناعية، والزراعية، والبحوث والأغراض الطبية، والتى تتصل بالصيدلة وغيرها من الأغراض السلمية.

ب - أغراض الوقاية، أى تلك التى تتصل مباشرة بالوقاية من المواد الكيميائية السامة أو الحماية ضد الأسلحة الكيميائية.

رابعا: بروتوكول جنيف:

أ - تجدر الإشارة إلى أن بروتوكول جنيف لعام 1935 يحظر أيضا استخدام الأسلحة الكيميائية والبيولوجية. وبالرغم من أنه يفتقر إلى آلية تلتحق خاصة به، فإن الجمعية العامة قد أنشأت بالكامل مثل هذه الآلية من خلال قرارات مختلفة، وإن كانت آلية غير ملزمة قانونا.

ب - ففى عام 1980 و 1981 اتخذت الجمعية العامة قرارين يخولان للأمين العام للأمم لمتحدة التحقيق فى استخدام الأسلحة الكيميائية فى أفغانستان وجنوب شرق آسيا.

ج - وفى عام 1982 اتخذت الجمعية قرارا يطلب إلى الأمين العام للأمم المتحدة إعداد قوائم لخبراء ومختبرات تحليلية والإبقاء عليها ووضع إجراءات تحقيق مفصلة لبعثات تقصى الحقائق من أجل التحقيق على وجه السرعة فى استخدام الأسلحة الكيميائية والبكترولوجية فى أى مكان فى العالم.

د - نفذت الأمم المتحدة مجموعة ثانية من التحقيقات الميدانية خلال الحرب الإيرانية العراقية فى الفترة من 1980 إلى 1988. وفى عام 1988، اتخذ مجلس الأمن قرارا يشجع الأمين العام على التحقيق فى الادعاءات المتعلقة باستخدام الأسلحة الكيميائية والبيولوجية.

خامسا: منظمة حظر الأسلحة الكيميائية:

أ - أنشأت الاتفاقية منظمة حظر الأسلحة الكيميائية للإشراف على تنفيذها، وتتكون المنظمة من مؤتمر الدول الأطراف والمجلس التنفيذى والأمانة الفنية، ويجتمع المؤتمر الذى يشرف على تنفيذ المعاهدة، بصفة سنوية ويمكن أن يجتمع أيضا فى دورة خاصة بناء على طلب، ويكون المجلس التنفيذى، أى الهيئة التنفيذية، مسئولا أمام المؤتمر. وهو يضم 41 عضوا ينتخبهم الأطراف وفقا للمناطق الجغرافية ويجتمع فى دورة عادية ثلاث أو أربع مرات فى السنة.

ب - تتخذ القرارات فى كل من المؤتمر والمجلس التنفيذى بتوافق الآراء أو فى حالة عدم الوصول إلى توافق فى الآراء، بأغلبية الثلثين فى المسائل الجوهرية. ويجوز للمجلس أن يتخذ قرارات بشأن المسائل الإجرائية، بالأغلبية البسيطة، وتكون الأمانة الفنية مسئولة عن تنفيذ نظام التحقق، بما فى ذلك تجهيز الإعلانات وتنفيذ عمليات التفتيش الموقعى، ويشرف المدير العام للمنظمة على الأعمال اليومية للأمانة.

ج - أنشأت اتفاقية الأسلحة الكيميائية نظاما للتحقق متعدد الأطراف وتقحميا، يشمل تقديم الإعلانات، وإجراء أنواع مختلفة من التفتيش الموقعى وأخذ العينات خارج المواقع. وصمم النظام لضمان عدم إنتاج أسلحة كيميائية فى مرافق صناعية عسكرية أو مدنية، وتطبق مستويات مختلفة من التحقق على مواد كيميائية مختلفة تبعا لاحتمالات استخدامها. كأسلحة كيميائية أو فى صنع الأسلحة الكيميائية. وتدمر الكميات الموجودة من الأسلحة الكيميائية فى مرافق محددة خاضعة لوجود المفتشين المستمر والرصد الموقعى المستمر باستخدام الوسائل التقنية.

د - تتوخى الاتفاقية إجراء عمليات تفتيش روتينى وتفتيش ارتيابى، كما تتوخى التحقق فى الاستخدام المدعى به للأسلحة الكيميائية. وتنفذ عمليات تفتيش أولى تأكيد صحة البيانات المقدمة من قبل الأطراف فى إعلاناتها الأولية بشأن أرصدتها من الأسلحة الكيميائية وقدراتها على إنتاجها، وسواء فى الماضى أو حاليا، وتنفذ عمليات تفتيش نظامية روتينية فى المرافق المعلنة لتخزين الأسلحة الكيميائية وإنتاجها وتدميرها.

ه - تنفذ عمليات التفتيش الارتيابى بعد الإخطار بها بمهلة قصيرة بناء على طلب أى طرف يشتبه فى حدوث انتهاك. ويقدم طلب إجراء التفتيش الارتيابى إلى المدير العام وإلى المجلس التنفيذى على أن تدعم الدولة المرتابة طلبها بتقديم معلومات كافية. ويجب أن يبت المجلس التنفيذى، فى غضون 12 ساعة من تقديم الطلب، فى ما إذا كان هذا الكلب صالحا (وليس واهيا أو تعسفيا). ويخطر الطرف موضع التفتيش قبل وصول فريق التفتيش إلى نقطة الدخول المحددة بـ12 ساعة على الأقل، ويحتمل أن يتسم هذا التفتيش بدرجة عالية من التقحم.

و - حق الدولة موضع التفتيش أن تقترح سبلا بديلة لإثبات امتثالها ويجوز لها أن تتخذ تدابير لحماية منشآتها الحساسة، وقبل التفتيش الارتيابى، يجوز للطرفين الاضطلاع بعملية تشاور وتوضيح غير رسمية سواء بصفة ثنائية أو بمشاركة منظمة حظر الأسلحة الكيميائية، والمعلومات التى يحصل عليها خلال التفتيش الارتيابى تقدم إلى المدير العام الذى يتعين عليه توزيعها على جميع الدول الأطراف وعلى المجلس التنفيذى لاتخاذ مزيد من الإجراءات.

ز - وللمجلس التنفيذى سلطة البت فيما إذا كانت هناك حالة عدم امتثال بالإضافة لتقرير الإجراء الذى يتعين اتخاذه. ويمكن أن تحال المسألة إلى مؤتمر الدول الأطراف. وفى حالات عدم الامتثال الخطير يجوز للمؤتمر تعليق عضوية الطرف المعنى، أو التوصية باتخاذ تدابير جماعية ضده، أو حالة المسألة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة أو إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

سادسا: المؤتمر الاستعراضى لاتفاقية الأسلحة البيولوجية:

أ - يعقد مؤتمر استعراضى للأطراف فى اتفاقية الأسلحة البيولوجية كل خمس سنوات تقريبا. وقد حاولت هذه المؤتمرات الوصول إلى تدابير لتعزيز التحقق والامتثال وأنشأ أول مؤتمر استعراضى عام 1980 عملية تشاورية تعطى الدول الحق فى طلب عقد اجتماع خبراء لمناقشة قضايا الامتثال.

ب - وافق مؤتمر عام 1986 على عدة تدابير نوعية تستهدف زيادة تعزيز الاتفاقية وترتيباتها الاستشارية. وأنشأ أيضا تدابير بناء على ثقة جديدة ملزمة سياسيا تتمثل فى تبادل المعلومات سنويا فيما يتعلق بمرافق الأبحاث، تفشى الأمراض المعدية على نحو غير عادى، والإبلاغ عن برامج البحوث البيولوجية.

ج - وافق المؤتمر الاستعراض لعام 1991 على عديد من تدابير بناء الثقة الإضافية الملزمة سياسيا وشمل ذلك تقديم إعلانات مفصلة بشأن برامج الدفاع البيولوجى الخالية، وبرامج البحوث الهجومية والدفاعية السابقة، وتشريعات التنفيذ الوطنية.

د - أنشأ المؤتمر الاستعراضى لعام 1991 أيضا فريقا متخصصا من الخبراء الحكوميين لتحديد وفحص تدابير التحقق من منطلق علمى وفنى، لمناقشة الجدوى التقنية لتدابير التحقق. وقدم الفريق تقريرا فى عام 19991، وفى السنة التالية عقد مؤتمر خاص للنظر فى قضايا الامتثال. ووافق المؤتمر الخاص على إنشاء فريق مخصص للعمل من أجل استحداث تدابير، بما فى ذلك تدابير تحقق لتعزيز الاتفاقية.

الأبعاد السياسية لجائحة كورونا

فجأة ودون سابقة إنذار، استيقظ العالم على خبر انتشار فيروس من نوع خطير. أذيع هذا الخبر من مدينة ووهان الصينية فى ديسمبر 2019، وانتشر كالنار فى الهشـــيم فى باقى أرجاء العالم. وحتى اليوم، مازال هذا الفيروس يحصد آلاف الأرواح، ومئات آلاف الإصابـــات حول العالم. فقد أحصت فرانس برس عدد الإصابات بأكثر من 256.296 ألف منذ بدء انتشـــاره، و11.015 وفاة، فى 163 دولة ومنطقة حول العالم. ومن الجدير بالذكر أن إيطاليا سجلت أكبر عدد من الوفيات عبر العالم، إذ بلغ 4032 حالة وفاة.

وقد ترتب على انتشـــار الفيروس فى العالم، أن صنفته منظمة الصحة العالمية بأنه جائحة فى 11 مارس 2020.

فماذا عن هذا الفيروس، وما أبعاده السياسية؟

عن الفيروس (وعائلته):

تعرف منظمـــة الصحـــة العالمية (WHO) فيروسات كورونا بأنها زمرة واسعة من الفيروسات تشمل فيروسات يمكـــن أن تتســـبب فى مجموعـــة من الاعتلالات فى البشر، تتراوح ما بين نزلة البرد العادية وبين المتلازمة التنفســـية الحادة الوخيمة. كما أن الفيروسات من هذه الزمرة تتسبب فى عدد من الأمراض الحيوانية.

وتحديداً فيروس كورونا المســـبب لمتلازمة الشرق الأوســـط التنفسية-CO VID - 19 هذه الســـلالة الخاصة من فـــيروس كورونا لم تحـــدد من قبل فى البـــشر. والمعلومات المتاحـــة محدودة للغاية عن انتقال هذا الفيروس ووخامته وأثره السريـــرى لأن عدد الحالات المبلغ عنها قليـــل حتى الآن. وتـــتراوح فترة حضانته من 5 أيام حتى 14 يوماً.

وفيمـــا يتعلق بالأبعاد السياســـية، فأولها: عودة ســـيادة الدول كاملة على أراضيها دون نقص أو دعاوى تلاشيها بلا منازع: فمع تسلل الفيروس للعديد من دول العالم، بدأت تتخذ الحكومات قرارات وقف للطيران الخارجى، وإغلاق حدودهـــا البرية والبحريـــة والجوية. فضلاً عن وقف حركة القطارات والنقل الجماعـــى، وأى مظاهر لتجمعات، كما حـــدث فى الصين، وتمـــدد لكافة دول العالم. فعلى سبيل المثال، قررت الحكومة فى المملكة العربية السعودية فى 9 مارس الماضى تعليق سفر المواطنين والمقيمين مؤقتاً إلى كل من الإمارات العربية المتحدة والكويـــت والبحرين ولبنان وســـوريا

د. أحمد خميس

khamada1@hotmail.com

وكوريـــا الجنوبية ومـــصر وإيطاليا والعراق وذلـــك لاحتواء فيروس كورونا المســـتجد، ثم أضافت لهم خمس دول جديدة يُمنع ســـفر المواطنين والمقيمين مؤقتاً إليها ودخول المسافرين القادمين منها، وهي: ســـلطنة عُمان وفرنســـا وألمانيا وتركيا وإسبانيا. ثم اتسع القرار ليشمل دول الاتحاد الأوروبى، وباكستان والهند، والفلبين، والأردن والســـودان، وغيرها من الدول التى انتشر الفيروس بها، وتعددت الإصابات.

وفى مـــصر، أعلن رئيـــس الوزراء الدكتور مصطفى مدبولى تعليق حركة الطيران فى جميع المطارات المصرية بداية من ظهر يوم الخميس 19 مارس إلى 31 مارس الماضى.

وثانيها، شـــلل تام فى تيار العولمة، ودعواتهـــا: فلن تجد أى شـــخص أو جهة تدافع عن العولمة، وحرية التجارة والبشر، وغيرها من دعوات عولمية طغت وسيطرت على العالم. والجدير بالذكر، أن قلعة العولمة انطلقت منها صواريخ غلق الحدود، وتعليق دخـــول غير المواطنين إلى أراضيها، كما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية مع المواطنين من دول الاتحاد الأوروبـــى، وغيرها من دول العالم. وقد وصف أحد الكتـــاب العولمة بأنها تنشر الأمراض والأوبئة، وليس وسائل الحماية والإنقاذ. فعلى سبيل المثال، ذيع فى القناة الثانية عشرة للتليفزيـــون الإسرائيلى، توجه مســـئولين من البيت الأبيض إلى إسرائيل وطلبوا معـــدات طبية. إذ جاء الطلب الأمريكى مـــن الإدارة الأمريكية للســـفير الأمريكـــى فى إسرائيل، ديفيد فريدمان، ومنه إلى مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى، والمنتجين الإسرائيليين. وكان نص الطلب من السفير الأمريكي:

«إن كان لديكم فائض فى المعدات الطبية أو تمكنت مصانع إسرائيلية من تصنيع ذلك بالسرعة المكنة، فالبيت الأبيض يسره أن يعرف ذلك، المعدات المتاحة حالياً أو التى يمكن تصنيعها فى غضون 4 - 6 أسابيع هى أولوية قصوى. البيت الأبيض جاهز لشراء مئات الملايين من الوحدات من معظم العناصر».

فالولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى فى العالم، والمدافعة عن العولمة والأمركة، ونشر القوات حول العالم فى وقت قصير، لديها قصور فى حماية مواطنيها وإنقاذهم من كورونا.

وثالثها، عودة جدلية مركزية الكون حول الإله أم الإنسان؟ فقد عرفت الحضارة الغربية ذلك الجدل، وانتشر فى كافة دول العالم سواء بالترغيب أم بالترهيب. فبعد انتشار كورونا تعود للسطح مرة أخرى، هذه الجدلية، التى حسمتها الحضارة الغربية حول الإنسان. ومن الجدير بالذكر، أن حديث رئيس الوزراء الإيطالى عن فشلهم فى مواجهة الجائحة، وأن الأمر متروك للسماء يسير فى ذات السياق، وقد يمثل عن بروز تيار يعيد الهيبة للإله مرة أخرى.

والمدهش، أن أحد الفلاسفة الغربيين - الفرنسيين على وجه الدقة - ذكر فى تصريح للقدس العربى، أن أزمة كورونا عادت بأوروبا للعالم الثالث، وليس الأول كما كانت تتباهى، ويتصور أنها تأتى ضمن عمليات انهيار الحضارة الغربية.

ورابعها، أولوية الصحة العامة للمواطنين، وتكفل الدولة بها: فكل دولة هرعت لاتخاذ إجراءات احترازية تقى بها مواطنيها، والمقيمين على أراضيها شر هذا الفيروس. بدأت من تقليل عدد الموظفين، وتقرير أجازات للموظفين فى القطاع العام والخاص، حتى وصلت إلى فرض التجوال فى العديد من دول العالم، كما حدث فى المملكة الأردنية الهاشمية، والمملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر العربية، على سبيل المثال.

وخامسها، عودة الاعتبار للعلم والعلماء فى العالم العربي: فالأطباء والعلماء والمبدعون والمبتكرون يتسابقون لمواجهة الجائحة، وحماية المواطنين، ويقفون كحائط صد للمجتمع. أما من تصدروا المشهد فقد تواروا. ولعل هذه اليقظة تستمر بعد زوال الفيروس والقدرة على مواجهته.

وسادسها، سيكون الاقتصاد ثانى ضحايا الجائحة بعد الإنسان: فالإجراءات التى تتخذها الدول لمواجهة تلك الجائحة، ستكون مكلفة اقتصادياً. فقد حذرت لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا «الإسكوا» من أن فيروس كورونا المستجد يمكن أن يتسبب بخسارة أكثر من 1.7 مليون وظيفة فى العالم العربى.

وتوقّعت اللجنة أن يتراجع الناتج المحلى الإجمالى للدول العربية بما لا يقل عن 42 مليار دولار هذا العام على خلفية تراجع أسعار النفط وتداعيات تفشى فيروس كورونا المستجد.

كما أعلن خبراء اقتصاد تابعون للأمم المتحدة أن الأضرار التى لحقت بالاقتصاد العالمى الناجم عن فيروس كورونا قد تصل إلى انخفاض قدره 50 مليار دولار فى صادرات الصناعات التحويلية فى جميع أنحاء العالم، خلال شهر فبراير الماضى وحده.

كما أشار تقرير صادر عن شبكة Bloomberg أن خسائر الاقتصاد العالمى من الجائحة سوف تزيد عن 2.7 تريليون دولار. وتوقعت إن تحولت الجائحة إلى وباء عالمى، أن تؤدى بالاقتصاد العالمى إلى طريق مسدود.

وسابعها، ستعانى الدول فترة طويلة من آثار كورونا حتى بعد تجاوزها: لذا عليها الاستعداد من الآن، لعدم حدوث ارتدادات أو هزات فى المجتمعات. فعلى سبيل المثال، بدأت المملكة العربية السعودية جهودها الآن لمعالجة الآثار المتوقعة للجائحة، إذ قررت السعودية التخلى عن دور المنتج المرجح تماماً ورسمياً حتى إشعار آخر، وهو الدور الذى لعبته منذ 15 مارس 1983 بعد اتفاق لندن، والتخلى عن أن لا تلتزم السعودية بأى سقف وتكون (المنتج المرجح) لتغطية أى نقص بين الكمية الفعلية التى تنتجها أوبك وبين الكمية المنصوص عليها فى السقف.

وثامنها، خلخلة هيكل النظام الدولى الحالى، واحتمالية نشوء هيكل جديد يتمحور حول آسيا: فالصين أذيع منها خبر تفشى الجائحة، وتغلبت عليها سريعاً. وتركز الأنظار على الصين، وتطلب دول العالم المدد منها، لمساعدتهم فى مواجهة الجائحة. فى حين غرقت الدول الأوروبية فى مواجهتها مثل إيطاليا وغيرها من الدول المرشحة للحاق بها. كما أن الولايات المتحدة الأمريكية تعانى بشدة من مواجهته.

خلاصة ما سبق، أن الدول القومية وهيكل النظام الدولى والبنية الفكرية العالمية (النماذج المعرفية) فى عالم ما بعد كورونا متوقع أن تختلف عما قبلها.

«التقاء القوى»

أقمت معرضاً شخصياً لى للأعمال الفنية من اللوحات فى مجال التصوير الفوتوغرافى، وقد تفضل دولة رئيس الوزراء الأسبق الدكتور المهندس عصام شرف بافتتاح المعرض بقاعة صلاح طاهر بدار الأوبرا. وهى القاعة الرئيسية لعروض الفن التشكيلى مساء يوم الثلاثاء الموافق 14 يناير 2020. ولقد جاء تقديرى لموضوع المعرض «التقاء القوى» الذى يتسم بالغموض وغير المألوف فى هذا المجال لخلفية ودوافع وأسباب. وأرجو من أخى القارئ السماح لى بإلقاء قليل من الضوء عليها والسماح لى بالغوص قليلاً فى أعماق الماضى البعيد والقريب وأيضاً الحاضر كمقدمة قد تطول رأيت أهمية الإشارة إليها لارتباطها بموضوع معرضى الأخير «التقاء القوى».

أولاً: سبق لى وخلال رحلتى الدبلوماسية التى امتدت أربعين عاماً أن زرت كلاً من الولايات المتحدة والصين، واستمراراً لممارستى هوايتى ومنذ مرحلة الطفولة فى مجال الفن التشكيلى وقد وجدت فى مخزون أعمالى أكثر من مائة لوحة من التصوير الضوئى للدولتين العظميين المتصارعتين لقيادة سكان الكرة الأرضية فى الغد القريب، وقد وقع اختيارى على خمسين لوحة لكل دولة منها لتغليف جدران طابقى القاعة ولكل دولة طابق مستقل خاص بها.

ثانياً: بمشاهدة أحداث العالم وما تحتويه من منازعات وصراعات بين نظم الحكم المختلفة ووجهات النظر المتناقضة تماشياً مع المصالح والثقافات ورصداً لمراحلها وما يربط بينها من تحالفات وتكتلات وما تفرزه من تناقضات نتيجة تغيير مصادر المصالح، بالإضافة إلى تيارات الشر والعدوان وتنوع الشعارات واللافتات المزيفة المضللة الخادعة استخفافاً بعقل الإنسان والتى ترتفع فى سماء البشرية وتحدث صداها مثل الحرية.. الديمقراطية.. حقوق الإنسان.. الأسلحة والدمار الشامل «تمهيداً للاحتلال الأمريكى العسكرى للعراق».. العولمة.. ثورات الربيع العربى.. الوطن العربى الكبير.. الفوضى الخلاقة «كونداليزا رايس» تلك الشعارات والأقنعة التى تخفى من ورائها العدوان والشر والتدمير التى أثمرت خلال السنوات الماضية العديد من الكوارث والحروب والمذابح وإسالة الدماء، دماء الإنسان فى هيروشيما وناجازاكى والحربين العالميتين والقضية الفلسطينية وتصدى طالبان المسلمة للسيطرة الماركسية فى أفغانستان

سفير فخرى عثمان

وتحطيم الآثار البوذية فى الجبال الصخرية «باعتبار أنها من الأصنام»، بالرغم من مساعى المنظمات الدولية «اليونسكو» والعديد من رؤساء العالم لعدم المساس بها. وتعذيب المعتقلين بأبشع الأساليب غير المسبوقة فى سجون معسكرات جوانتانامو وتحطيم وطمس أعظم الآثار التاريخية والحضارية الآشورية والبابلية فى بغداد، بالإضافة إلى الآثار والحضارات الآسيوية، ومحاولات طمس الهوية العربية والعقيدة الإسلامية «العدوان على مسجد القدس وقبة الصخرة».. صفحات تاريخية حزينة قاتمة دامية فى محتواها. انفجرت البراكين واشتعلت ولاتزال، وتم انتهاك الحق والعدل والقيم الإنسانية والقانون واستقلال الدول وسيادتها والقوانين الدولية والاعتزاز بالذات والكرامة والشموخ والأمن والسلام والاستقرار هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى استخدام السلاح والمال وعبيد المال والأنشطة المخابراتية والعملاء والجواسيس. وقتل الإنسان ولا يزال الذى خلقه الله ليعيش وأحاطه بجميع القيم الجمالية لتسعده فى ظل السلام والأمن والاستقرار والحياة الكريمة.

وتركز العدوان على البوابة الشرقية للوطن العربى فسقطت العراق بعد احتلالها وامتد العدوان إلى سوريا ثم اليمن حيث تحالفت قوى الشر للسيطرة على قناة السويس الممر الدولى المائى، وتحالفت جميع القوى المعادية على المستوى الإقليمى والدولى لاقتحام البحر الأحمر والسيطرة على باب المندب، وتكونت قوة التحالف العربية ولمصر دورها بإشراك قوة جوية وبحرية قوية وتلقى أوامر القيادة السعودية، وأقيمت القاعدة العسكرية على ساحل البحر الأحمر بالقرب من المنطقة الملتهبة، ونالت اليمن نصيبها من التدمير والعدوان والتخريب، وجاء الدور على ليبيا المتاخمة للحدود المصرية والمجاورة لقاعدة محمد نجيب العسكرية، وامتدت يد العدوان إلى شمال إفريقيا: تونس والجزائر أسوة بالقارة الإفريقية.

لقد انفجر مخزون الإنسان الشرير واشتعلت النيران وامتد لهيبها إلى لبنان، كما اشتعلت العديد من الغابات فى العديد من الدول وثارت الأحوال الجوية والأعاصير المناخية والبحرية. وجاءت بداية الخاتمة بغضب السماء على البشرية بإسقاط العداء والشر الإنسانى وقوة السلاح والتقدم العلمى والتكنولوجى وبريق المال والوهم والخيال والظلم والقتل الذى يتعرض له الإنسان، وجاء المرض المجهول غير المرئى الذى يتفوق على سرعة البرق لإصابة الإنسان ويضع نهاية لحياته.

أستسمح أخى القارئ الكريم المعذرة فى الإطالة فيما سبق، والمعذرة للانطلاق بين الربط بينها وبين عنوان موضوع المعرض وهو «التقاء القوى» وليس «صراع القوى»، فقد أردت توجيه رسالة وتمنيت وصولها للقادم لزيارة المعرض وقد وضعتها منسوخة بخط النسخ فى مدخل القاعة السفلى المخصصة لدولة

الصين الصديقة وكذلك لمن يتلقاها ويحسن استقبالها واستيعابها.

إنه الاحترام لأهم حق من حقوق الإنسان فى أن يعيش كما يريد الخالق. وإننى لم أفاجأ عندما علمت وقرأت نداء السيد سكرتير عام الأمم المتحدة ومن خلال بيانه الرسمى بالرجاء لوضع نهاية حاسمة لقتل الإنسان لأخيه الإنسان ليؤمن بالله عز وجل ويسجد خاشعاً لقدرته ورحمته وهو أرحم الراحمين.

ثالثاً: لقد رأيت أن العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة والصين تمثل التناقض الأكبر والأخطر بين الدولتين المتصارعتين المتسابقتين لاحتلال موقع القيادة فى الغد القريب. دولة فقدت الثقة والاحترام من قبل قدر غير قليل من شعوب الأرض ودولة تقفز إلى أعلى لاحترامها لقيم ومبادئ واعتبارات مهمة جديرة بالتقديس. فى قضية النزاع بينهما حول الشعب الصينى الذى يعيش فى هونج كونج الذى يطالب بالاستقلال وتكوين دولة مستقلة ذات سيادة رافضاً العودة إلى الانضمام إلى الوطن الأم الصين، وبعد انتهاء فترة أداء المملكة المتحدة لدورها طبقاً للاتفاقية المبرمة بين بكين ولندن، وكان المحرك لهذه الصيحة الشريرة البيت الأبيض وأجهزته المخابراتية فى شحن الشعب الصينى فى هونج كونج مستخدماً المال والعملاء لتحقيق الهدف المطلوب، وذلك باستخدام أسلوب العقوبات بزيادة الرسوم الجمركية من قبل الجانبين على واردات كل دولة إلى الدولة الأخرى، وهو الأمر الذى لم يكن لائقاً فى نزاع بين أكبر قوتين فى العالم اليوم، وكان الأسلوب الأمثل والأفضل اللائق بهما الالتقاء حول مائدة التفاوض والتباحث للالتقاء فى منتصف الطريق بأسلوب حضارى له احترامه، وكذلك احتراماً للحياة وحق الإنسان فى الحياة. أتوجه إلى الله الكريم الرحيم بأن تعى القوى العالمية المتصارعة وأن تدرك وتلتزم بأسلوب التفاعل والتعامل بالصياغة اللائقة وهى الدبلوماسية الرسمية والشعبية والأسلحة والقوى الناعمة.

وهكذا فقد جاء مقصدى وهو تجسيد محتوى مفهوم رسالتى وموضوع معرضى وهو التقاء القوى أمريكا والصين تجسيداً رمزياً من خلال استخدام أحد الأسلحة الناعمة الفنون التشكيلية. فقد تم التقاء الدولتين كل فى طابقه الخاص المستقل ولكنهما فى بناء واحد هو دار الأوبرا المصرية المطلة على نهر النيل الخالد. وأراه موقفاً طبيعياً لمصر التى سبقت دول العالم فى الاعتراف بدولة الصين الشعبية التى تمتد جذور حضارتها فى عمق التاريخ، والتى تشارك الحضارة المصرية القديمة التى سبقتها بألفى عام فى إنارة العقول البشرية. الصين التى ترتبط اليوم بمصر بصداقة عميقة وتعاون وثيق على المستوى الإستراتيجى تواصلاً بين الأمس البعيد والغد المضئ بتنمية القارة الإفريقية من خلال القيادة المصرية الإفريقية ومبادرة الحزام والطريق الصينية لإعادة الحياة والبناء لتصحيح تسمية منظمة الدول الإفريقية إلى منظمة الوحدة الإفريقية احتراماً للتاريخ وتوثيقاً لأحد منجزات الثورة المصرية بقيادة قائدها زعيم الأمة العربية الراحل جمال عبدالناصر.

رابعاً: أتوجه إلى الله القدير الكريم أن تعى القوى العالمية أن مصر التى تتمتع بعبقرية موقعها الجغرافى، بوابة الوطن العربى على القارة الآسيوية وموقعها الريادى القيادى العربى الإفريقى بل الدولى بإذن الله وبقيادة فخامة الرئيس عبدالفتاح السيسى والوحدة الوطنية الملتفة حول قيادتها ودولة القانون والمؤسسات تتمتع برعاية الله وحمايته. وأن مصر الآمنة قادرة وبعون الله على ردع أى معتد شرير.

حفظ الله القيادة الرشيدة المؤمنة بالله حماها الله من كل شر وأبقاها لقيادة الوطن الحبيب الغالى فهو القيادة التى تواصل المسيرة فى نفس الطريق لبناء القوة الإفريقية من خلال تنميتها ووحدتها لخير البشرية فى ظل السلام والاستقرار ورفاهية الإنسان.. والله الموفق.

الآثار المترتبة على التغيرات المناخية

يشـــكل تغير المناخ أكثر تحديات العصر التى تواجه البشرية نظراً لما يشهده العالم اليوم من سلسلة تغيرات مناخية جاءت نتيجة الاستهلاك المفرط لمصادر الطاقة، والذى كانت نتيجته زيادة الانبعاثات الغازية وانتشار مختلـــف أنواع الملوثات التى شـــملت الهواء والماء والتربة، ويرجع ذلك إلى تفضيل الدول وعلى رأســـها الدول الصناعية الكبرى مصالحها الاقتصادية على حساب مستقبل سكان الأرض مما يتعارض مع مبادئ التنمية المستدامة.

سفير عزت البحيرى

رئيس مجلس إدارة

الجمعية المصرية للأمم المتحدة

ونحن الآن أمام لحظة حاسمة فالآثار العالميـــة لتغير المناخ واســـعة النطاق ولم يســـبق لها مثيل من قبل من حيث الحجم، حيث حرائق الغابات فى أستراليا، وإعصار دوريـــان فى جـــزر البهاما، والمنخفض الهوائـــى الذى تعرضت له مصر مؤخـــراً والأمطـــار الغزيرة التى لم تعهدها مصر من ســـنوات عديدة، وانحســـار الجليد فى اليابان، وارتفاع منســـوب مياه البحار والمحيطات الذى يزيد مـــن خطر الفيضانـــات الكارثية والمدمـــرة فى شرق إفريقيـــا. فلم يعد هناك مكان على ظهـــر الكرة الأرضية لم يتعرض بشـــكل أو بآخر لتداعيات ظاهرة الاحتباس الحـــرارى والتغيرات المناخية التى أصبحت موضوعاً رئيسياً يطرح سنوياً على مائدة منتدى دافوس الاقتصادى العالمى، لكن للأســـف دون التوصل إلى حلول ناجحة حتى الآن.

والجدير بالذكر أن الغازات المسببة للاحتبـــاس الحرارى تحدث بشـــكل طبيعى كما أنها ضرورية لبقاء البشرية والملايـــين من الكائنـــات الحية الأخرى على قيد الحيـــاة عن طريق الحفاظ على جزء من دفء الشـــمس وعكسها مرة أخرى إلى الفضاء لتجعل الأرض صالحة للعيش، إلا أن مســـتوى تراكم انبعاث الغازات المسببة للاحتباس الحرارى آخذ فى التزايد مما يؤدى إلى اختلال التوازن البيئى.

وتشـــكل التغيرات المناخية أحد أهم التهديدات للتنمية المستدامة على الدول الفقـــيرة أكثر منها على الـــدول الغنية وسوف يستمر هذا الوضع ما بقى الميزان فى أيدى الدول الغنية التى أفسدت المناخ والتى ينبغى أن تتحمل آثاره وخسائرة الضخمة التى أصابت الدول الفقيرة.

وقد أثبتت دراســـة قامت بها ثلاث جامعات فى بريطانيا وفرنسا وهولندا أن هناك مخاطر جمة تهدد الأمن الغذائى بالدول الاســـتوائية وجميعها تعد من الدول الفقيرة، وتتوقع الدراسة جفاف التربة الاستوائية لارتفاع حرارة الجو إلى درجاته القصوى ممـــا يؤثر على زيادة نسبة التبخر للمياه فضلاً عن انقراض العديد من أنواع الحيوانات والنباتات.

وحتى نعلم مـــدى إمكانية الأغنياء فى قدرتهم على تحجيم نســـبة خسائر التغـــيرات المناخية عليهم نجد أن الدول الغنية تعهدت بجمع 100 مليار دولار من الجهات الحكومية والخاصة لمواجهة التداعيـــات المفاجئة بحلـــول 2020، وحاولت الدول الفقـــيرة أن يكون لها نصيب فى هـــذا الاتفاق لكـــن الأغنياء تغاضوا عنهم.

ولا تقتصر الآثار الســـيئة على الفقر الغذائـــى إنما تؤثر أيضـــاً على الصحة وزيادة عدد الوفيات من الأمراض التى تتأثر بارتفاع درجات الحرارة.

وقد حذر البنك الدولى من التغيرات المناخية وانعكاساتها على إنسان الدول النامية حيـــث إنها تهـــدد بغرق مائة مليون شخص بحلول 2030.

وهناك قـــادة دول كبرى على رأس الدول المســـببة للاحـــترار مثل الرئيس الأمريكى دونالـــد ترامب لا يرضخون للامتثال لتحذيرات الخـــبراء الدوليين وأولهـــا ضرورة تحويـــل رأس المـــال المستثمر فى استخراج الوقود الأحفورى إلى مشـــاريع إنتاج طاقـــة خالية من الكربون، ولكن تـــصر تلك الحكومات على اســـتخراجه بكميات كبيرة، إلا أن المظاهرات فى أســـتراليا خرجت تطالب بالتوقف عن استخراج الوقود الأحفورى بعد أن طالتهم نيران التغيرات المناخية.

وتوضـــح وكالة الطاقـــة الذرية حجم الكارثة وتعلن أن نسبة الإنفاق العالمى على إنتـــاج النفط والغاز وصل إلى 649 مليار دولار عام 2016 بينما ما تم إنفاقه على توليد الكهربـــاء المتجددة والطاقة البديلة بلغ 297 مليار دولار فقط.

وبلغة الأرقام تتوقع الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، والتى تتألف من فريق مكون من 1300 خبير علمى مستقل من مختلف دول العالم وتعمل تحت رعاية الأمم المتحـــدة، ارتفاعاً فى درجات الحرارة بمقـــدار 4.22 درجة مئوية.

ووفقاً للهيئـــة الدولية للمناخ وهى أكـــبر جهة دولية تعنى بدراســـة تغير المناخ وآثاره يتوقع أن يستمر تغير المناخ العالمى على مدار القرن الحالى وما بعده.

ويعتمد حجم التغير المناخى فى المقام الأول على كمية انبعاث الغازات الدفيئة على مســـتوى العالم، ومدى حساسية منـــاخ الأرض لهـــذه الانبعاثات وترى الهيئة المشار إليها أنه يجب أن تنخفض الانبعاثـــات العالميـــة الناتجة عن ثانى أكسيد الكربون بنحو 40٪ عن مستويات عام 2010 بحلـــول 2030 لتصل إلى الصفر عام 2050، وفى تقريرها الصادر فى العام 2018، قالـــت الهيئة إن الحد من الاحترار العالمـــى ليكون 1.5 درجة مئوية بدلًا من درجتين مئويتين مقارنة بمعدلات مـــا قبل الثـــورة الصناعية، ســـيحقق فوائد حقيقية للبشر وسبل كســـب الرزق والنظم البيئية الطبيعية. ويتطلب الوصول لهـــذا الهدف إحداث تغييرات غير مسبوقة فى جميع قطاعات المجتمعات.

وتشمل الغازات المسببة للاحتباس الحرارى ما يلي:

بخـــار الماء: ويـــزداد كلما ارتفعت درجة حرارة الغلاف الجوى للأرض.

ثانى أكســـيد الكربـــون: ينتج من الأنشطة البشرية كحريق الغابات وحرق الوقود الأحفورى.

الميثان: ينتج من أنشطة بشرية ومن الأنشطة الزراعية.

أكســـيد النيتروز: ينتج من الأسمدة

واحتراق الوقود الأحفورى.

مركبات الكلوروفلوروكربون: ومنشأها صناعى.

- وتشير تقديرات الباحثين إلى أن المحيطات هى موطن حوالى مليون من الفصائل البحرية المختلفة ويؤدى خطر تزايد درجات الحرارة فى المحيطات إلى الهجرة الجماعية لهذه الفصائل وقد يكون لهذا النوع من التأثير أثر خطير للغاية على مصايد الأسماك ومزارع الأحياء المائية على الصعيد العالمى.

ومن أمثلة «المناطق المتضررة» من آثار تغير المناخ على المحيطات القطب الشمالى، حيث يحدث كل من الاحترار والتحمض هناك بسرعة كبيرة وعلى نطاق أوسع مما هو عليه فى العديد من الأماكن الأخرى حول العالم.

- كما تشير الاكتشافات العلمية إلى خطر متزايد مثل انهيار الجليد البحرى فى الصيف، وذوبان ألواح الجليد، وانبعاث الميثان الناتج عن ذوبان الطبقة الجليدية الدائمة ويكون لها تبعات ملموسة للغاية على الصعيد العالمى.

وفى نوفمبر 2016 أرسل الكوكب أوضح تحذير له حتى الآن عندما تم قياس درجة الحرارة فى القطب الشمالى وتبين أنها أكثر دفئاً بمعدل عشرين درجة مئوية مما هو طبيعى بالنسبة لذلك الوقت من السنة.

- وتجدر الإشارة إلى أن الاحترار المفاجئ للقطب الشمالى ينطوى على تغيير جذرى فى ظروف الحياة، ليس فقط حول القطب الشمالى، ولكن أيضاً لبقية الكوكب حيث يعتبر وجود الجليد الدائم فى القطبين الشمالى والجنوبى مطلباً أساسياً لاستقرار الكوكب وسيكون للارتفاع الذاتى فى حرارة القطب الشمالى آثار هائلة على المناخ العالمى.

ولذلك نأمل أن يكون هذا هو آخر جرس إنذار من الكوكب، حتى نجتمع نحن سكان هذا الكوكب، وننجح فى تحقيق نقطة التحول المطلوب.

ويوماً بعد يوم والعالم يتضرر من الجفاف والفيضانات وحرائق الغابات والأعاصير المدارية والحرارة الشديدة وجميعها مخاطر تزهق الأرواح وتشرد الملايين من البشر وتهدد اقتصاديات الدول النامية وأمنها الغذائى فإذا ما استمر زعماء العالم يستخفون بظاهرة الاحتباس الحرارى فالعالم سيكون فى انتظار الأسوأ، وهذا ما عبر عنه كلاوس شواب المؤسس والرئيس التنفيذى للمنتدى الاقتصادى العالمى (دافوس) الذى قال:

« الناس ثائرون ضد النخبة الاقتصادية التى يعتقدون أنها خذلتهم وجهودنا الرامية إلى إبقاء ظاهرة الاحتباس الحرارى تقتصر على 1.5 درجة تتراجع بشكل خطير».

إن الإبقاء على ظاهرة الاحتباس الحرارى أقل بأكثر من درجتين (2) مئويتين، والسعى لتحقيق مستوى أقل من 1.5 درجة مئوية بموجب اتفاق باريس، لهو أمر أساسى للتخفيف من آثار تغير المناخ.

ويرى الدكتور جمال الأفندى خبير التغيرات المناخية بالأمم المتحدة، ومدير مركز التغيرات المناخية بجامعة تسكيجى بولاية الأباما بالولايات المتحدة الأمريكية، ومراجع ومحكم المشروعات البحثية بهيئة المحيطات والغلاف الجوى الأمريكية أن الصين هى أكثر الدول إسهاماً فى ظاهرة الاحتباس الحرارى نتيجة التقدم الصناعى الهائل، بينما أقل الدول والقارات إسهاماً هى إفريقيا. وأن الجهود الدولية لمحاصرة أضرار التغيرات المناخية تشارك فيها معظم الدول، فكل خمس سنوات يصدر تقرير شامل من الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتغيرات المناخية (IPCC).

وهى الهيئة الكونية المعنية بالتغيرات المناخية التى يهتم بها العالم لكن الإدارة الأمريكية برئاسة الرئيس ترامب ترفض المشاركة وانسحبت من اتفاقية باريس حول المناخ.

ويضيف الدكتور جمال الأفندى خبير التغيرات المناخية أنه اعتباراً من عام 2050 سيبدأ ذوبان الجليد فى القطبين الشمالى والجنوبى وتنزل المياه إلى المحيطين الهادى والأطلنطى ثم تصل إلى مناطق الدلتا فى العالم، والدلتا هى المناطق المنخفضة عن سطح البحر فى العالم كله ووفقاً للأجهزة الدقيقة فإن أول منطقة ستغرق هى فلوريدا فى الولايات المتحدة الأمريكية ويأتى بعدها الدلتا فى مصر، وستصبح أرض الدولة كلها عالية الملوحة بسبب مياه البحر ويحدث اختراق للأملاح للتربة وتتحول من تربة منتجة للمحاصيل لتربة غير صالحة للزراعة وبالتالى نفقد جزءاً كبيراً من أراضينا الزراعية.

(وتعتبر أراضى صعيد مصر من أكثر الأماكن أماناً فى العالم لارتفاعها عن سطح البحر ولذلك يطلق عليها مصر العليا).

ولمواجهة هذه المشكلة تقوم وزارة الرى المصرى ببناء أسوار عند البحر المتوسط بالإسكندرية لحمايتها وحماية باقى أراضى الدلتا.

كما يرى خبير التغيرات المناخية جمال الأفندى أن ظاهرة الاحتباس الحرارى ستكون لها آثار على السياحة فى مصر بسبب تزايد ثقب الأوزون الذى يؤدى إلى تزايد الأشعة فوق البنفسجية المسببة لسرطانات الجلد وموت الكائنات الحية، فالسائح قبل أن يأتى إلى مصر يراجع مؤشر الأشعة فوق البنفسجية وهو متوفر على أجهزة التليفون المحمول فإذا وجد المؤشر مرتفعاً فإنه يعيد النظر فى قرار السفر إلى مصر لأن السائح يبحث عن الأمان المناخى أيضاً.

بالإضافة إلى أن العوامل الجوية ستحرك الكثبان الرملية التى ستعمل تدريجياً على طمس الآثار ومن أهمها أبوالهول والأهرامات لذلك يجب معرفة مدى تحرك الكثبان الرملية ومدته.

كما يرى خبير التغيرات المناخية أن معظم المحاصيل سيقل إنتاجها بنسبة 25٪ مثل القمح والذرة والشعير وبعض الفواكه، كما أن أمراض المحاصيل ستزداد وهنا يأتى دور المتخصصين فى الهندسة الوراثية للعمل على استنباط محاصيل جديدة لأن الجفاف سيزداد وكذلك درجة الملوحة.

ولذلك أصبح من الضرورى من الآن وعلى مستوى العالم كله الاستعداد لمواجهة آثار تلك التغيرات المناخية الكارثية.

ونظراً لأن العالم ليس مستعداً بالقدر الكافى والشكل الملائم لمخاطر تغير المناخ، فقد دعا الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريس إلى عقد قمة جديدة للمناخ فى شهر سبتمبر القادم 2020 لتوحيد قادة العالم والحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدنى من أجل دعم العملية متعددة الأطراف للحد من التغير المناخى وزيادة تسريع العمل لتحقيق الطموح والعدالة المناخية، وستركز القمة الأممية على القطاعات الرئيسية التى من الممكن أن تحقق فرقاً كبيراً فى الحد من التغيرات المناخية والحلول القائمة على الطبيعة والمدن والطاقة وتمويل المناخ، وسيقدم قادة العالم تقارير عما يقومون به وما الذى يعتزمون فعله عندما يجتمعون فى سبتمبر 2020 فى مؤتمر الأمم المتحدة بشأن المناخ حيث من الممكن تحديد الالتزامات وزيادتها.

« نأمل أن يسفر هذا المؤتمر الدولى حول المناخ عن التوصل إلى إجراءات يتفق عليها الجميع للحد من الآثار الكارثية والمدمرة للتغيرات المناخية التى قد تغير وجه الحياة على الأرض».

اساليب الاستعمار الاوروبى فى قارتنا الافريقية

والدور المصرى المنتظر

ترتبط كلمة الاســـتعمار فى إفريقيا، بالعدوان العســـكرى والأعمال الوحشـــية، مثلما حدث لمصر فى بداية الاحتلال البريطانى يوم 11 يوليو عام 1882 حيث قام بحشـــد سفن حربية فى مياه البحر المتوسط فى مواجهة الإسكندرية، ثم قصفها بمنتهى الوحشـــية واستشهد العديد من أبناء جيش مصر البطل، حتى إن صحفاً بريطانية أشادت بشجاعة الجنود والضباط المصريين الذين كانوا يستخدمون أسلحة ضعيفة فى مواجهة الآلة الحربية للمستعمر الغازى والذى بلغ من الاستكبار أن قام بالآتى:

1 - شـــارك فى عديد من الاجتماعات فى الآســـتانة (عاصمة دولة الخلافة العثمانية التى كانت تحكم مصر اسمًا فقط، وبحضور مندوبى روســـيا القيصرية وإيطاليا وألمانيا وبـــدون حضور من يمثل دولـــة الخلافة) لبحث أمور مـــصر، وانتهت الاجتماعات إلى اتفاق مندوبى الدول المجتمعة على ألا تغزو أية دولة مصر إلا بالتشاور المسبق مع الدول الأخرى، وهو ما خالفته بريطانيا بعد ذلك.

2 - أرســـلت رســـالة تحذير إلى خديو مصر (توفيق وقتئذ) تحـــذره بأنها علمت من مصادرهـــا أن وزارة الجهادية بزعامة أحمد عرابى تقوم بصيانة المدافع والمعدات العسكرية وأن ذلك يغضبها.

3 - ثم أرســـلت إنذاراً إلى خديو مصر بالتهديـــد باحتلال مصر وطلب التســـليم، وتشـــير الوثائق التاريخيـــة أن الخديوى استشـــار رجاله وأجمعوا على رفض الإنذار ومن ثم رفض الاستســـلام، وذلك على الرغم من بعض الآثار السلبية التى حدثت لبنيان وتماســـك الأمة المصرية لأن الثورة العرابية العظيمـــة فى نفوس المصريـــين، كانت قد وصلت إلى مدى تجاوز حدود الآمال الوطنية الإيجابية، بـــين الخديو والزعيم عرابى الذى كان مرؤوســـا للخديوى، وأنه كان يطالب بحقوق أبناء الأمة فتصور لبعض المصريين أنه ينافس الخديـــوى فى الزعامة على حكم مصر، مما نجم عنه آثار ســـلبية على وحدة وتماسك الدولة والأمة المصرية. وقد استشهد العديد من أبنـــاء الجيش المصرى على أيدى الاســـتعمار البريطانى حتـــى نالت مصر اســـتقلالها عام 1952 ثم جـــلاء الجيش البريطانى عـــام 1954، وفى الصومال قام الاســـتعمار بإلقاء البطل محمد الحسن من الطائرة إلى صحراء الصومال دون أن يعرف أحد أثره حتى الآن. وفى جيبوتى (الصومال الفرنسي وقتئذ) قام الاستعمار بتدبير تفجير طائرة أقلت البطل محمود حربى فارح، الذى كانت تســـانده مصر فى قضية الاستقلال. وفى ليبيا قام الاســـتعمار بقتل مئات الآلاف وإعدام القائد الشـــيخ فى الثمانين من العمر عمر المختار. وفى الجزائر استشـــهد ما يزيد عن مليون شـــهيد على أيدى الاستعمار. وفى الكونجو تم اغتيال بطل الاستقلال باتريس لومومبا. وفى غانا دبر الاستعمار انقلاباً ضد كوامى نكروما. وفى مصر قام الغازى سليم

سفير أحمد زين

AhmedZein@live.com

الأول العثمانى بشـــنق طومـــان باى وعلق رأسه على باب زويلة وغيرها الكثير والكثير، وتلك هى بعض الصـــور التقليدية لمقدمات الاستعمار. ولكن الدول الأوروبية قد تفتقت أذهانها أن تسلك أساليب حضارية جديدة فى السنين الأخيرة، وخاصة بعد دخول اتفاقية منظمـــة التجارة العالمية حيـــز النفاذ، فقد بدأت تعزز من فـــرص تواجدها وروابطها العميقة مع قارتنـــا الإفريقية، والابتعاد عن أساليب الاســـتعمار القديم من قتل ودمار وهزيمة النفوس البريئة.

وفى ضوء ما ســـبق أود أن أعرض ثلاثة نماذج علمتها أثناء عملى ســـفيراً لمصر لدى بوركينا فاســـو لمدة أربع ســـنوات الأعوام 2009 - 2013، وأقصـــد بها نماذج اقتراب إنسانى فريد وحضارى من دول الاستعمار القديم، ولكنها ســـوف تؤدى بمرور الوقت وعامل الزمن إلى مزيد من الارتباط بين دول الاستعمار القديم ودول إفريقيا ولكنها هذه المرة بقفازات حريرية وأساليب حضارية لا يختلف عليها اثنان، وبأبعاد حضارية عميقة ضاربة بجذورها فى أعماق الشعوب والقبائل الإفريقية وبتخطيط ذكى بل وعبقرى لماح، يتم بالتوازى مع الآفاق الكبرى التى قدمتها اتفاقيات الجـــات للدول الكـــبرى لدخول بضائعها وتجارتها وخدماتها إلى تلك الدول من دول العالم الثالث أو النامى:

النموذج الأول:
تركيا:

فى ضوء عدم نجاح تركيا فى الانضمام إلى الاتحاد الأوروبى، فى الوقت الذى نجحت فيه دول أوروبية أضعف اقتصاداً فى الانضمام إلى ذلك الاتحاد، رأى منظرو السياسة الخارجية التركيـــة اقتحام إفريقيا وفتـــح العديد من الســـفارات وتســـيير العديد مـــن خطوط الطيران، ومن ثم مزاحمة الدول الاستعمارية القديمة ومحاولة ســـحب البساط من تحت أقدامهـــا، خاصة وأن تركيـــا ليس لها إرث استعمارى فى القارة باستثناء شمال إفريقيا العربية مع استبعاد المغرب وموريتانيا اللتين لم تحكمهما دولة الخلافه العثمانية، فضلاً عن أن الثقافة فى إفريقيا خاصة غرب القارة كانت ثقافة إســـلامية، وكانت اللغة العربية هى اللغة السائدة ولايزال العالم يذكر جامعة التمبكتو فى مالى والتـــى كانت تضم طلاباً وعلماء من تلك الدول، وحسبما سبق أن قال لى وزير رئاسة الجمهورية فى بوركينا فاسو سابقاً عام 2013، أنه عندما جاء الاستعمار بلغته الأجنبية كانوا يشترطون تغيير الأسماء الإسلامية للطلاب إلى أسماء أوروبية، وكان الآباء يقعون فى الحيرة بـــين تعليم أبنائهم وتغيير أسمائهم الإسلامية أو عدم تعليمهم، فتفتق ذهن البعض إلى أن ينشـــئوا مدارس ليلية للطلاب سميت المدارس القرآنية، ففى الصباح يذهبون إلى مدارس الاستعمار، وفى المســـاء يقوم المعلمون الوطنيون بتعليمهم القرآن الكريم.

فجاءت تركيا بسفاراتها وطيرانها وتجارتها وأيضاً مدارسها:

قامت تركيا فى بعـــض الدول الإفريقية ومنها بوركينا فاســـو، ببنـــاء مدارس فى العاصمـــة واجادوجو، واختـــارت مواقع غالية الثمن وبمســـاحات كبيرة أجمل وأكبر من المدرســـة الفرنسية الرئيسية أو المدرسة الأمريكية، فالمدرســـة التركية الرئيســـية فى العاصمة ملاصقة لمبنى السفارة الأمريكية وبمســـاحة أوســـع بكثير منه، ومبان أكثر وأروع منها فى واجادوجـــو الجديدة، مبان عديدة وأفنيـــة وأحـــواش وملاعب كبيرة وتفصل الطلبة عن الطالبـــات بعد المرحلة الابتدائيـــة كما يوجد قســـم داخلى للطلبة والطالبات القادمات من الأقاليم، حيث تقوم بتقديم بعض المنح الدراسية لأبناء مختلف القبائل.

ومما هو جديـــر بالإشـــارة أنه توجد ببوركينا فاسو خمس وثلاثون قومية تتكلم كل واحدة لغتها المحلية الخاصة بها، ولكن القوميتين الرئيســـيتين هما الموريه والجولا،

وبذلك ينشـــأ جيل جديد من أبناء بوركينا بمختلف بنيتهـــا الاجتماعية وهم مرتبطون بتركيا، وهذه المدرســـة ليست مجانية وإنما بمصاريف تبلغ ألفين يورو فى السنة، بينما مصاريف المدرسة الفرنســـية أو الأمريكية تبلغ أربعة عشر ألف يورو سنوياً، كما تقوم المدرســـة التركية بإحضـــار طهاة يقدمون وجبات للطلاب تركيـــة ووطنية بوركينية ويعمل بها معلمـــون ومعلمات من كل من تركيا وبوركينـــا، وتقيم المدرســـة حفلها الســـنوى فى أكبر فندق بالمدينـــة، تتضمن فقراتها الفن البوركينى والفن التركى، وتقوم بالتدريس باللغة الفرنسية (اللغة الرسمية لبوركينا)، لكـــن هناك لغة تركية اختيارية، يتمتعون عند انتهاء المرحلة الثانوية بالفوز بمنحة جامعية مجانية فى تركيا.

وفى مقابلة ســـابقة مع مدير المدرســـة أثناء عملى ســـفيراً لدى بوركينا، قال لى إن صاحب فكرة إنشاء مدارس تركية هو المفكر والداعية التركى فتح الله جولن، ذو الشعبية الجارفة فى بلاده، حيث ســـأله رجال أعمال ومفكـــرون أتراك عام 1990 عند ســـقوط الاتحاد السوفيتى الســـابق، عما يمكن أن تقوم به تركيا للتواصل مع القومية التركية التى تعيش فى بعض دول الاتحاد السوفييتى الســـابق، فأشـــار وقتها إلى أهمية إنشاء المدارس، فقام رجال الأعمال الأتراك الأحرار ببناء ما يقرب من أربعين مدرســـة، بدءاً من عام 1990، وبمصاريف زهيدة قياســـاً على المـــدارس الأوروبية والأمريكيـــة. ومع ذلك وفى ضوء الأمانة المالية لمديرى المدارس فقد حققت أرباحًـــا مكنتها من افتتاح المزيد من المدارس، وبعد النجاح الكبير فى أوروبا، فقد رؤى أن تمتد التجربة لقارة إفريقيا، وتعود فكرة إنشـــاء تلك المدارس إلى المفكر الكبير المذكور أعلاه والذى كان يؤكد دوماً على القوة الحضارية ولم يـــدع يوماً من خلال خطاب الدعوة إلا إلى الســـلام والأمان، وأثبتت رؤاه جدواها العميق الأثر.

النموذج الثانى:
مدرسة كرة القدم الألمانية

وجه لى ســـفير ألمانيا الدعوة أثناء عملى ســـفيراً ببوركينا لزيارة مدرسة كرة القدم التى أنشـــأتها بلاده، حيـــث أنهم وجدوا أن رياضة كـــرة القدم هـــى ثقافة أولى فى غـــرب إفريقيا، ويبلغ عـــدد اللاعبين طلبة المدرسة ســـبعين طالباً، وتجولت فى الملعبين الرئيسيين لكرة القدم ومبانى سكن الطلاب والفصول الدراســـية، وقد ذكر لى الســـفير الألمانى أن بلاده عينت عـــدد اثنين مدربين وكذلك مدرسين للعلوم والرياضيات، واللغة الفرنسية والألمانية، وذكر لى السفير الألمانى أنهم يختارون اللاعبين أساســـاً من أطفال الشـــوارع، حيث يقومون بعـــلاج المرضى والاهتمام الغذائـــى بهم وبعضهم يبدأ تعلم الأبجدية فى سن الخامسة عشر ويتم تدريس العلوم وكأنهم طلاب مدرســـة نظامية إلى جانب الإعداد الرياضى الكروى، وبعد ثلاثة أعوام، يبدأ فرز اللاعبين، ويمكن تقسيمهم على النحو التالى:

1 - عدد من الطلبـــة لايتفوقون كروياً وإنما يحققون تفوقاً علمياً مبهراً، قد يصل الحال ببعضهم إلى تفـــوق طلاب ينجزون منهجاً دراســـياً مخصصاً له عـــام كامل وينجزونه فى خلال شـــهر فقط، وهؤلاء يتم تسفيرهم إلى ألمانيا وسيكون بعضهم علماء فى المستقبل القريب، ومن الجدير بالذكر أن ألمانيا، تعد إحدى الدول الأوروبية التى يطلق عليها population Aging أى الدول التى بحاجة إلى سكان فى ضوء أن الذين يموتون أكبر عدداً ممن يولدون.

2 - فريـــق كرة القدم، ومن أبرز دلالات النجاح الألمانى، هو حصول منتخب شـــباب بوركينـــا على كأس إفريقيا للشـــباب لعام 2011، وقيـــام رئيـــس بوركينـــا بتوجيه الشكر لسفير ألمانيا بحضور جميع السفراء المعتمدين فى مطار واجادوجو أثناء مراسم اســـتقبال رئيس جمهورية الكوت ديفوار، قائلاً إن ألمانيـــا هى التى تقف وراء انتصار بوركينـــا، كمـــا قامت المدرســـة ببيع أحد اللاعبين إلى ناد أوروبى بعد إنشـــاء المدرسة بأربع ســـنوات، بمبلغ يعادل تقريباً قيمة المبلغ الذى بنيت به المدرسة.

3 - بعض أقوياء البنية يلتحقون بقوات الحرس الجمهورى.

4 - الباقون يلحقونهـــم ببعض المهن البســـيطة التى تتناســـب مع إمكانياتهم المحدودة.

ومما هو جدير بالإشارة أن موقع مدرسة كـــرة القدم الألمانية ملاصـــق لمبانى القصر الجمهورى تدليلاً على اهتمام رئيس الدولة بالمدرسة الألمانية.

النموذج الثالث:
الجامعة الفرنسية

أقامت فرنسا جامعة خاصة بمصاريف زهيدة لاتزيد عن ألفى يورو ســـنوياً وعينت بها أســـاتذة من عدد مـــن دول العالم مثل الصين واليابان وإنجلترا، يطلق عليها المعهد العالى لهندســـة المياه والبيئة تضم أقسامًا علمية عديدة.

وتضم الجامعة طلابـــاً بخلاف طلاب بوركينا، طلاباً فرنسيين، من أبناء الفرنسيين المقيمين وكذلك من فرنسا نفسها، ومعظمهم من الفرنســـيين الفقراء الذين يدرسون كما قال لى الدكتور بـــول جينيس مدير المعهد، إذ يتعذر على أولئك الطلاب دراســـة نفس المنهج فى فرنســـا لأن المصاريف الجامعية تبلغ حوالى خمســـة عشر ألف يورو بينما فى واجادوجو ألفى يورو فقط، وأن مآل ذلك أن يعيش أولئك الطلاب فى بوركينا مع زملائهم البوركينيين وفى الغالب يحتاجهم الســـوق البوركينى وســـوف يســـتوطن معظمهم ببوركينا، وقـــال لى المدير إن هذا هو الوجه الحضارى الجديد للتواجد فى بوركينا، وأنه ســـبق أن طلب من رئيس بوركينا سابقاً أن يمنح الجامعة مزيداً من الأرض للتوســـع، فنصحه الرئيس بأن يتوجـــه لإقامة مدينة علمية هندسية فى قلب الصحراء والابتعاد عن مزاحمة العاصمة، وأصدر رئيس الجمهورية قراراً بمنح الجامعة خمسين هكتاراً (الهكتار حوالى عدد 2 فدان ونصف الفدان أى حوالى نصف مليـــون متر مربع) وتكـــون بمثابة مدينة علمية خالصة وفى قلب الصحراء بعيداً عن العاصمة بحوالى مائة كيلومتر.

ومن ثمَّ ســـوف ينشأ جيل فرنسى جديد بقوة العلم والحضـــارة والزمالة الجامعية والصداقة بخلاف المـــوروث التاريخى الذى جاءت به فرنسا بقوة السلاح.

تصورات عديدة لتعزيز تواجد مصر فى قارتها الإفريقية:

والسؤال: أين مصر من ذلك؟ وأقول من خلال عملى سفيراً أربع سنوات بجيبوتى فى شرق إفريقيا وبوركينا فاســـو أربع سنوات بغرب إفريقيا، أن مصر وعلى مدى ما يقرب من ســـتين عاماً قدمت الكثـــير والكثير مما يفوق ما تقدمه التجارب الثلاث الســـابقة، فضلاً عن الأرضية الرائعة لمصر نصيرة الحق والاستقلال والحرية والمعونة الفنية العظيمة الجليلة للصندوق المصرى للتعاون الفنى مع إفريقيا فى مجالات الطب والهندسة والتعليم والغذاء والدواء والصحـــة والقوافل الطبية العديدة فى مختلف أرجاء القارة، ومؤسسة الأزهر الشريف ومبعوثيه الذين أرسوا العلم والحضارة والديـــن الحنيف واللغة العربية وفى مختلف مجـــالات الحياة، والمطلوب كما عبر العديد من الزملاء الســـفراء هو الوجود المؤســـسى المصرى الدائم من مستشفى أو مدرســـة أو جامعة ولو بمصاريف رمزية تغطى التكاليف.

وقد نجحت مصر فى إنشاء فروع لبعض الجامعات المصرية فى بعض الدول الإفريقية مثل ما حصل فى دول مثل تشـــاد والنيجر وجنوب الســـودان وهو ما يمكن تكراره فى جميع الدول الإفريقية الشقيقة.

وأظن أن هذا الدور يســـتطيعه بعض رجال الرأسمالية الوطنية المصرية الكريمة، وهم ليســـوا أقل وطنية مـــن بعض رجال الأعمال الأتراك، وسوف يعود ذلك إن تحقق على أيديهم بالخير الوفير والغزير ولســـوف يبـــارك اللـــه أعمالهم وأموالهـــم وتنتصر مصريتنا على كل الروائع التى تحاول تجميل ماضيها، بينمـــا مصر حينما تعزز تواجدها ســـوف تقوم على ركائـــز عظيمة وأرصدة كريمة راسخة يفخر بها كل مصرى ويعلمها جيداً كل شقيق إفريقى.

والوقت لايـــزال لدينـــا، والفرصة بل الفرص العديدة الواعدة بالنجاح لمصر الأمل والعزم والعمل الكبير الذى لن يكون له مثيل بمشيئة الله، وإذا كان فى العمر بقية فسوف أقدم عرضاً مستفيضاً يليق بمكانة مصر فى قارتها الإفريقية.

والله ينصر مصر فى كل الميادين آمين يا رب العالمين.

المراجع:

• يـــوم 11 يوليـــو 1882 للأمير عمر طوسون - مكتبة الآداب - الأستاذ أحمد على حسن.

مصر وإثيوبيا ونهر النيل

إنه من سخريات الأقدار أن تظهر أزمة دبلوماسية بين إثيوبيا ومصر حول نهر النيل وسد النهضة. الأزمة الراهنة مرجعها التصريحات من قادة دولة إفريقية شقيقة هى إثيوبيا ضد مصر وتهديد رئيس وزرائها آبى أحمد بتدمير مصر وإغراقها والقضاء على شعبها يدل على شخصية غير سوية تفوقت على هتلر فى جبروته. وفى تقديرى كباحث هناك وسائل متعددة قانونية وسياسية وإنسانية للتعامل مع هذا الموقف الإثيوبى الغريب والذى ليست له سابقة فى تاريخ علاقات الدولتين ولا فى تاريخ العلاقات الدولية.

سفير د. محمد نعمان جلال
galal_m@hotmail.com

ونذكر الإخوة فى إثيوبيا ومصر بالأمور التالية:

الأول: أليست إثيوبيا دولة عضو فى منظمة الوحدة الإفريقية والاتحاد الإفريقى ومحكمة العدل الإفريقية وكذلك مصر العضو المؤسس فى المنظمة والتى تهددها إثيوبيا بالدمار؟ وهل فى ميثاق المنظمة ما يسمح لدولة أن تعلن الحرب وتهدد دولة أخرى بطريقة تتجاوز كل الاعتبارات القانونية والإنسانية والأخلاقية. وعلى مصر أن تدعو لعقد اجتماع قمة إفريقية لمحاسبة إثيوبيا على مثل هذا التهديد. وهل ينسى قادة الدول الإفريقية ما قامت به مصر وشعبها وقياداتها لتحرير الدول الإفريقية واستضافة المجاهدين الأفارقة ضد الاستعمار.

الثانى: إن على مصر ومفكريها أن يتقدموا بشكوى إلى النرويج والسويد أصحاب جائزة نوبل بسحب هذه الجائزة التى منحت لشخص لا يستحقها ولا يسير على نهجها وأن أصحاب جائزة نوبل وهى جائزة للسلام ينبغى سحبها من قائد إثيوبيا لخروجه على قواعد العمل السلمى والسلام. ونتساءل كيف تمنح الجائزة لشخصية لا تؤمن بالسلام ولم تقدم دليلاً على ذلك؟ إن الذى عمل من أجل السلام فى إريتريا هى دول عربية وهى الإمارات والسعودية وشعب إريتريا وحكامه، بينما منحت الجائزة لشخصية لا تعمل من أجل السلام وإثيوبيا عندما ضمت إريتريا فى السابق كانت دولة عدوانية واضطهدت شعب إريتريا، وإننى أدعو المثقفين المصريين أن يتقدموا إلى لجنة جائزة نوبل للسلام فى النرويج بطلب لكى يسحبوا الجائزة من رئيس وزراء إثيوبيا آبى أحمد كما تم فى الماضى مع شخصيات أخرى. والواقع أن قائد إثيوبيا قبض الثمن بأن أتاحت إريتريا له منفذاً للبحر الأحمر. ونتساءل هل مصر التى وقفت مساندة لحقوق شعب إريتريا هل نسيت الأخيرة الدور المصرى حتى تتفق مع إثيوبيا ضد حقوق شعب مصر وتهدد أمنها لتواجدها فى القرن الإفريقى ومدخل البحر الأحمر؟ ونتساءل هل مثل هؤلاء القادة الذين يهددون بالحرب والتدمير لدولة عضو مؤسس فى منظمة الدول الإفريقية وفى الأمم المتحدة يستحقون ما قدمته دول عربية شقيقة من أموال ومساعدات وترتب على ذلك أن تحول قادة إثيوبيا إلى طغاة وإرهابيين وعدوانيين فى تصريحاتهم ضد مصر، ألا يتذكر الإخوة الأفارقة والعرب اعتداءات إثيوبيا ضد شعب إريتريا وتهديداتها ضد مصر وشعبها وهى تصريحات علنية وليست سرية ولا نريد أن ننبش التاريخ ونقول للسعودية والإمارات بل والعرب والمسلمين جميعاً ألم تقم إثيوبيا بتهديد الكعبة قبل الإسلام وأرسلت الأفيال لذلك، ولكن الله كان حامياً للكعبة فقد أرسل عليهم طيراً أبابيل رمتهم بحجارة من سجيل فأبيدت الحملة وقتل قائدها أبرهة. والآن يهدد آبى أحمد بتدمير مصر وقتل شعبها مجدداً فى القرن الحادى والعشرين. ألا يتذكر شعب إريتريا وقادتها أنه فى أول حضور لهم بعد الاستقلال من الاستعمار وحضروا مؤتمر القمة فى القاهرة عارضته إثيوبيا ثم يتصالحون اليوم على حساب مصر والدول العربية التى تعاونت مع دولة وقيادة عدوانية ضد دولة عربية شقيقة.

الثالث: أليست مصر صاحبة حضارة عريقة قبل ظهور دولة إثيوبيا للوجود؟ إن على الجميع أن يقرأوا التاريخ منذ آلاف السنين. وهل نسيت إثيوبيا اعتداءاتها الفاشلة فى الماضى ضد مصر الفرعونية؟ وهل نسى الشعب الإثيوبى وقادته العلاقات الوثيقة بين شعبى مصر وإثيوبيا عبر القرون وإن الاعتداءات من إثيوبيا ضد الحدود المصرية فى الماضى منيت بالفشل وعليهم أن يقرأوا التاريخ.

الرابع: إنه إزاء خروج إثيوبيا على ميثاق

الأمم المتحدة بحل النزاعات بالطرق السلمية كما جاء فى المادة الثالثة والثلاثين من الميثاق. وأيضاً على ميثاق الاتحاد الإفريقى. إن على مصر أن تطلب عقد اجتماع قمة عاجل لمجلس الأمن المنوط به حفظ السلم والأمن الدوليين، وأيضاً تطلب عقد اجتماع عاجل للجمعية العامة للأمم المتحدة لمحاسبة إثيوبيا وقادتها لخروجها على مبادئ المنظمة الدولية التى تنص بأن تكون الدولة العضو مستقلة ومسالمة وتعمل من أجل السلام وتحترم قواعد الأمم المتحدة والقانون الدولى. إنه يمكن أن تتم الدعوة فى إطار قرار الأمم المتحدة «من أجل السلام».

الخامس: أليست مصر عضواً فى النظام الأساسى لمحكمة العدل الدولية ويمكنها اللجوء إليها وإذا رفضت إثيوبيا ذلك فيمكن محاسبتها أيضاً لخروجها على القانون الدولى وخاصة قانون البحار وقانون الأنهار وخروجها على حقوق الدول الأخرى والاتفاقات الدولية.

السادس: على إثيوبيا وشعبها وقادتها أن يتذكروا أنه فى ثلاثينات القرن الماضى وقفت مصر مساندة لإثيوبيا وشعبها ضد العدوان الإيطالى عليها. إن موقف إثيوبيا وقادتها ضد مصر هو مثل جزاء سنمار. ونتساءل هل تستحق مصر التى أيدت إثيوبيا ضد العدوان عليها مثل هذه التصريحات من قادة إثيوبيا ومواقف تلك الدولة التى نطلق عليها الشقيقة وتهديداتها لمصر وشعبها بالدمار.

السابع: إن على مثقفى مصر وقادتها أن يقدموا قادة إثيوبيا بتصريحاتهم ضد مصر وتهديدهم بتدميرها إلى محكمة الجنايات الدولية (محكمة روما) على غرار محكمة نورمبرج السابقة ضد النازيين والفاشيين بتهمة إبادة الجنس والتهديد بها. أم هل ينتظر العالم حتى يتم تدمير شعب مصر بناء على تهديدات قادة إثيوبيا مثل هتلر ويقيمون محكمة خاصة لمحاكمة هؤلاء القادة ويقدمونهم لمستشفى الأمراض العقلية. حيث لم يسبق مثل هذا التهديد من أية دولة فى التاريخ العالمى منذ قيام الأمم المتحدة. وينبغى الحجر فى إطار القانون الدولى الإنسانى والمباديء الإنسانية العامة على مثل هؤلاء القادة.

الثامن: الالتجاء للمحكمة الدولية لتوقيع العقاب على مجرمى الحرب بجريمة إبادة الجنس والعنصرية التى أقرت الأمم المتحدة الاتفاقات بشأنها وانضمت لها معظم الدول الإفريقية ودول العالم بأسره.

التاسع: إن نهر النيل ليس من اختراع إثيوبيا أو شعبها أو أية دولة عربية أو إفريقية وليس من اختراع مصر أيضاً، بل هو من الله سبحانه وتعالى بإرسال الأمطار والسحب والمياه التى جعلت مجرى النيل يصل لمصر وشعبها ولم تقم مصر بحفر مجرى النيل بل جاء النهر بإرادة الله. إن قادة إثيوبيا الحاليين يجب تقديمهم لمحاكمة دولية باعتبارهم عنصريين وطغاة.

ويجب على مصر أن تطالب بنقل مقر الاتحاد الإفريقى من إثيوبيا الدولة المارقة التى تخرق ميثاق الاتحاد الإفريقى وأن يقدم حكامها لمحكمة العدل الإفريقية فى ضوء انتهاكهم نصوص الميثاق الإفريقى والخروج على قوانين حقوق الإنسان وأولها الحق فى الحياة الكريمة، والحق فى المياه. وهى حقوق أقرتها البشرية جمعاء عبر السنين ومواثيق حقوق الإنسان المعتمدة من الأمم المتحدة.

العاشر: إن شعب إثيوبيا وحكامها السابقين فى عهد النجاشى كانوا قمة فى الأخلاق الإنسانية والرغبة فى السلام حيث استضاف النجاشى أول هجرة فى الإسلام كما أن الكنيسة الإثيوبية المسيحية كانت ذات ارتباط وثيق مع الكنيسة الأرثوذكسية برئاسة بابا الإسكندرية والكرازة المرقسية. وهل السيد المسيح الذى جاء لمصر مع أمه القديسة العذراء مريم، واستضافته مصر وحافظت عليه يستحق من إثيوبيا المسيحية ما يصرح به قادتها؟ وهل يفهم رئيس وزراء إثيوبيا مباديء وأحكام الإنجيل وإذا كان مسلماً هل يعرف شيئاً عن الإسلام الذى هو دين السلام. ونذكر مسيحيى إثيوبيا بأن الإنجيل والقرآن لا يجيزان مثل هذا التهديد من قادة إثيوبيا المسيحيين إذا كانوا يعرفون ما قاله السيد المسيح «مبارك شعب مصر» وقوله «إذا ضربك أخوك على خدك الأيسر فأدر له خدك الأيمن»، وهل مثل هذا التهديد يقره الإسلام ومبادئه العظيمة لرئيس وزراء إثيوبيا الذى يدعى الانتساب للإسلام؟ وهل تجيز مواثيق الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقى مثل هذا التهديد لدولة إفريقية شقيقة، وعضو مؤسس للأمم المتحدة وللاتحاد الإفريقى.

الحادى عشر: إن إثيوبيا شعباً وحكومة وقيادة وقعت فى فخ خطير نصبته لها بعض الطوائف المتطرفة من المسلمين الإثيوبيين ومن المسيحيين الذين نسوا أقوال السيد المسيح عليه السلام ومنها قوله «على الأرض السلام وللناس المحبة».

الثانى عشر: إن يهود إثيوبيا ويهود إسرائيل ويهود العالم الذين هاجروا لإسرائيل هل نسوا جميعاً استضافة مصر لأبناء سيدنا يعقوب الذى تسمى فيما بعد بإسرائيل والذين بقوا فى مصر لسنوات طويلة؟ وهل نسوا أن سيدنا موسى ابن مصر الذى ولد فيها وعاش على أرضها وشرب من نيلها وأتمنى أن يقرأ قادة إثيوبيا وقادة إسرائيل الذين أتاحوا الفرصة لأستاذ يهودى إسرائيلى هو أرنون صوفير للقيام بزرع روح الحقد ضد مصر فى إثيوبيا وبعض الدول الأخرى فى حوض نهر النيل. وأقول إن بعض مثقفى مصر لا يعرفون حجم الحقد الذى نشره هذا الباحث الإسرائيلى الذى يحمل لقب بروفيسور وخبير فى شئون المياه وخاصة نهر النيل والتى نشرها فى كتابه المعنون «أنهار من نار» نشر باللغة العبرية كتقرير عام قدمه لوزارة الخارجية الإسرائيلية مع زميل له نورت كليوت ثم تحول كتاباً بالعبرية نشر عام 1992 ثم ترجم للإنجليزية ونشر عام 1999 فى بريطانيا وفى الولايات المتحدة، وأخذ يروج له فى العديد من المؤتمرات الدولية منها مؤتمر عن أمن الشرق الأوسط عقد فى نيودلهى عام 2006 حيث طلب البروفيسور صوفير من رئيس الجلسة الهندى فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر السماح له بالتحدث، وكان واضعاً أمامه الكتاب على الطاولة. ولحسن الحظ أن باحثاً مصرياً هو كاتب هذه السطور كان حاضراً فى المؤتمر فرد على مداخلته بقوة وحزم فى نفس الجلسة الافتتاحية، وفى مختلف جلسات المؤتمر، ثم نشر ذلك فى مقال له بجريدة الأخبار

مصـــر وأثيوبيـا ونهر النيل

المصرية. ومن الغريب أن يدعى البروفيسور صوفير أنه ليس مستشـــاراً للدول الإفريقية فى حوض نهر النيل فحسب بل إنه مستشار لرئيس الوزراء المصرى آنذاك. وهكذا تشويه صورة مصر وسياستها بل وقادتها آنذاك.

وقد لعب هذا الخبـــير الإسرائيلى دوراً خطيراً فى نـــشر الكراهية والعداء بين بعض دول حوض نهر النيل وبين مصر. وكذلك بين دول الشرق الأوسط بما فى ذلك الفلسطينيين وإسرائيل والأردن والعراق وتركيا وســـوريا ولبنان بخصوص الأنهار التى أسماها أنهار من نار .«Rivers of Fire»

كما لعـــب دوراً خطيراً فى نشر الكراهية والعداء والتحريض ضد مصر فى إثيوبيا وفى بعض الدول الإفريقية الأخرى. وأتســـاءل أين كانت مـــصر ومثقفوها وخبراؤها عندما نشر هذا العالم الإسرائيلى كتابه المشـــار إليه لتحريض وتأليب الـــدول الإفريقية لإعلان الحرب ضد مـــصر. بينما نسى بعض علماء إسرائيـــل ومفكريها وساســـتها أن مصر الســـادات هى أول دولة أقامت السلام مع إسرائيـــل عـــام 1979 واعترفـــت بها منذ عـــام 1977 رغم اعتداءاتهـــا العديدة ضد مصر منذ نشـــأتها وحروبها المتتالية وقتلها للفلســـطينيين وتدمير قراهم ومســـاكنهم وزراعاتهم فكيف يمكن أن نصف العلاقات المصريـــة الإسرائيلية بأنها علاقة ســـلام أو العلاقات الإسرائيلية العربية بأنها فى طريقها للســـلام منذ مبادرة القمة العربية فى بيروت عام 2002 وإسرائيـــل لم تقبلها ولم توافق عليها بل فعلت كل ما يشوهها ويحول دون تنفيذها. وهذا الباحث الخبير الإسرائيلى أعد تقريره الأول مع زميله الآخر البروفيســـور نورت كليوت Nuirt Kliot لحســـاب وزارة الخارجية الإسرائيليـــة وقدمه تقريراً لها ثم طوره إلى كتاب صدر بالعبرية ثم بالإنجليزية كما سبقت الإشارة.

ونختتـــم هذا المقال بـــأن نذكر إثيوبيا والـــدول الإفريقية والعربيـــة وإسرائيل أن مصر عـــبر تاريخها كانت دولـــة مضيافة وتقدم مساعداتها لليهود من بداية تاريخهم مع ســـيدنا إبراهيم وزوجته سارة قبل أن توجد تلك الدول على الكرة الأرضية، كما أن إثيوبيا عبر العصور وكذلك السودان والدول الإفريقية الأخرى يتدفق العديد من مواطنيها على مصر ســـعياً للأمن والأمـــان والطعام والعمل المفقودين فى أوطانهم. وكذلك قادة النضـــال الإفريقى لجأ الكثيرون منهم لمصر التى احتضنـــت بالترحاب قادة شـــعوب إفريقيـــا المناضلين وكثير مـــن قادة الدول العربية. وفى مصر أكثـــر من نصف مليون إثيوبى من اللاجئين الذيـــن تركوا دولتهم وشـــعبهم نتيجة نهج قادتهم اللاإنســـانى والذيـــن لا يهتمون برفاهية شـــعوبهم بل ويعيشون حياة لاإنســـانية. وفى مصر عدة ملايين من الإخوة والأخوات الأفارقة يعيشون ويعملون مثل المصريين وليســـوا لاجئين فى مخيمات. وهكذا مصر مضيافة لكل إفريقى أو عربى أو يهودى أو مسلم أو مسيحى يلوذ بحماها ويســـتظل بظلها ويشرب من مياه نيلها الذى يهدد قادة إثيوبيا الجدد بتدميرها وحجز مياه النيل عنها، وهذا لن يحدث لأن الله حفظ وسيظل يحفظ مصر فى أمن وأمان وســـلام مع إخوتها من الأفارقة والعرب بل والعالم أجمع إعمالاً لقول الله تعالى «ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين» (سورة يوسف الآية 99) ولم يقل لهم ادخلـــوا مصر متآمرين ومخربـــين وعدوانيين لأن مـــصر وقادتها وشـــعبها مضيافون. و«تغـــيرت معاملة المصريين مع بنى إسرائيـــل (أبناء يعقوب) عندما لم يحترموا ســـيادة مصر ومكانتها وواجـــب الضيافة» بل سرقـــوا مجوهرات جيرانهم المصريين فى ليلة خروجهم من مصر بناء على توجيه سيدنا موسى لهم فكذبوا على جيرانهم المصريين وادعوا ذهابهم إلى مناسبة اجتماعية واســـتأمنهم المصريـــون ففعلوا عكس الحقيقة وعوقبـــوا على ذلك بطريقة غير مباشرة من الله فلما ذهب سيدنا موسى لملاقاة ربه وعاد ومعه الألواح والوصايا العشر وجدهم يعبدون العجل الذهبى اســـتجابة لطلب الســـامرى الذى خدعهم ففقدوا كل المجوهرات التى شكل منها السامرى عجلاً فظلوا له عابدين.

ونختتم بطرح التساؤل هل يدرك الإخوة الأشقاء فى إثيوبيا والدول الإفريقية والعربية مكانة مصر وتاريخهـــا وحضارتها؟ وهل يدرك أبناء العمومة اليهود مســـاندة مصر لهم منذ ســـيدنا إبراهيم وزوجته ســـارة وأبناء ســـيدنا يعقوب وغيرهم عبر القرون؟ وأكرر القول بأنه عـــلى مصر ومفكريها أن يقدموا إثيوبيـــا وحكامها لمحكمة الجنايات الدوليـــة لأنها لم تعلن الحـــرب على مصر وشـــعبها فقط مـــن قادتهـــا الحاليين بل الأخطر مـــن ذلك لإهمالها وفســـادها عبر ســـنين طوال واعتدائها على شعبها الإثيوبى من مسيحيين ومســـلمين ويهود وتركتهم يعيشـــون فى فقر وبؤس عبر السنين. ولذلك فإن اليهود الفلاشـــا غادروها لإسرائيل رغم أنها تمارس العـــدوان والعنصرية البغيضة ضد الشعب الفلسطينى وتراثه الثقافى رغم أنه قبل إقامة دولته المســـتقلة على جزء من ترابه الوطنـــى وأن تكون عاصمتها القدس الشريف أو حتى تكون عاصمة مشتركة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وهى المدينة التى بناها العرب اليبوســـيون والكنعانيون قبل أن توجد إسرائيل فى التاريخ. وندعو الجميع وخاصة قادة الشقيقة إثيوبيا إلى كلمة سواء مع شقيقتهم مصر بدلاً من إعلانهم الحرب ضدها وضد شعبها ونذكرهم أنه كان يجب أن يعلنوا الحرب على الفقر والبؤس والإهمال والفســـاد الذى ارتكبوه ضد شعوبهم عبر السنين.

إن على الشـــعب الإثيوبى أن يحاســـب حكامـــه الحاليين لخروجهـــم على المبادئ الإنســـانية وتصريحاتهم ونقض آبى أحمد اتفاقه الـــذى وقعه مـــع الرئيس المصرى عبدالفتاح الســـيسى، وكذلك رفضه للسلام وغيابه عن التوقيع على مشروع الاتفاق الذى توصـــل إليه المفاوضون مـــن الدول الثلاث (مصر والســـودان وإثيوبيا) فى واشـــنطن بوساطة دولية ورعاية من الولايات المتحدة الأمريكيـــة. أليس مثل هـــذا الموقف دليلاً دامغاً على عدم رغبة قادة إثيوبيا فى الســـلام وحرصهـــم على إضاعة الوقت للاســـتعداد للعدوان.

حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضى

حكايات إذا لم تسجل ستضيع..... قد تبدو غير مهمة لكنها تحمل معلومة ربما تنطوى على عبرة، أو حكمة، أو حتى مجرد فكاهة

عكف الثلاثة (الســـادات، وبيجن، وكارتر) وعدد محدود مـــن معاونيهم على التباحث فى سلسلة اجتماعات ومفاوضات مغلقة لمدة 12 يوماً خلال سبتمبر 1987 فى كامب ديفيد.

لم تصدر بيانات صحفية عما يجرى بين المجتمعين، ولم تتسرب منهم أو عنهم أية معلومات، كانوا معزولين تماماً بعيداً عن كافة مراسلى الصحافة والإعلام.

ترقب الجميع فى واشـــنطن والعالم باهتمام ما يحوط الاجتماعات ونتائجها، فحشـــدت وســـائل الإعلام مندوبيها، ومراسليها، ومصوريها لرصد التحركات فى الأماكن ذات الصلة فى واشنطن (البيت الأبيض، الخارجية الأمريكية، السفارتين المصرية والإسرائيلية ..إلخ).

وفجأة فى يوم 16 سبتمبر عرفنا أن محمد إبراهيم كامـــل وزير الخارجية غادر كامب ديفيد وعاد لفندق الماديسون (مقر إقامة الوفد المصرى بواشـــنطن)، وأذاعت وســـائل الإعلام النبأ وقالت أنه عاد معترضاً على المســـار الذى سلكته المفاوضات.

ثم رصد الإعلاميون المحتشدون أمام دار سكن الســـفير المصرى (د. أشرف غربـــال) عودته هو الآخـــر من كامب ديفيد، وبعدها بوقت قصير خرج من دار السكن تصحبه السيدة زوجته، ومعهما حقائبهما متجهين إلى فندق الماديسون.

ظن الإعلاميون أنهم حصلوا على خبر إعلامى عظيم، فأذاعوا تضامن الســـفير المصرى مع وزير خارجيته فى الاعتراض على ما يجرى فى مفاوضات كامب ديفيد. طيّر الإعلام الخبر على الفور فى شبكاتهم وصحفهم.

سرعان ما ثبت عدم صحة ما أذاعته وســـائل الإعلام بعدما حضر السفير د. أشرف غربال جلســـة توقيـــع اتفاقات كامـــب ديفيد بالقاعـــة الشرقية للبيت الأبيض مســـاء 17 سبتمبر 1987. وتم نفى خبر اعتراض السفير على الاتفاقات،

سفير يسرى القويضى

ykouedi@yahoo.com

وأوضح الجانب المصرى أن ترك السفير لدار السكن وانتقاله للفندق كان بغرض إخلاء المكان لإقامة الرئيس الســـادات. فالمعروف أن الإدارة الأمريكية لا تمتلك ســـوى دار ضيافة واحـــد فقط (بلير هاوس) الكائن قبالـــة البيت الأبيض، ولا يعقـــل أن تســـتضيف الإدارة أحد الضيفين الكبيرين (السادات أو بيجن) دون الآخر. لذا تركت لهما حرية تدبير الإقامة فى واشـــنطن بمعرفتهما، فتقرر إقامة الرئيس الســـادات فى دار السكن، لذا توجب من قبيل اللياقة والمراســـم أن ينتقل السفير المصرى للفندق مؤقتاً.

وهكذا نـــرى أن تنافس الإعلاميين وحماسهم الشـــديد، ورغبتهم فى السبق الإعلامى كثيراً مـــا يوقعهم فى مطبات وإحراجـــات، كان مـــن الممكن تجنبها لو راعوا الدقة فيما يســـتخلصونه من مشاهداتهم ومتابعاتهم. لهذا يجب أن تتنبه الجماهـــير، فليس كل ما ينشر أو يذاع دقيق وصادق لحقيقة ما يجرى فى الواقع.

دار سكن السفير فى واشنطن

تقدمها ناديه الريس

رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

أتقدم باســـم مجلس إدارة رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين بأسمى آيات التهانى بمناسبة حلول موسم الأعياد عيد القيامة المجيد، وحلول شهر رمضان المعظم، وعيد الفطر المبارك إن شاء الله – أعاده الله على عضواتنا الكريمات بالصحة واليمن والبركات.

نظراً لما تمر به البلاد من ظروف بســـبب (الكورونا) فقد علقت الرابطة الأنشـــطة واللقاءات والرحلات، واكتفينا ببعض الأنشطة الثقافية على جروبات الرابطة واللقاءات على العالم الافتراضى حتى تعود الأمور إلى طبيعتها إن شاء الله.

هذه بعض الصور التفصيلية للمعروضات التى قامت الرابطة بعرضها فى معرض الهوايات الذى أقامته الرابطة فى السابع من مارس الماضى واشتركت به مدارس التربية الفكرية التى تقوم الرابطة برعايتها.

وإلى اللقاء فى لقاءات قريبة بإذن الله.

رئيسه رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين ناديه الريس

العيد المئوى لإنشاء
بنـك مـصر

فى الســـابع من مايو هذا العام، يكون بنك مصر قد أكمل عامه المائة منذ تأسيسه سنة 1920 وبنك مصر ليس مصرفاً عادياً إنما رمز للاســـتقلال الاقتصادى وتحقيق لحلم راود الشـــعب المصرى فى التحرر من رقبة الاستعمار.

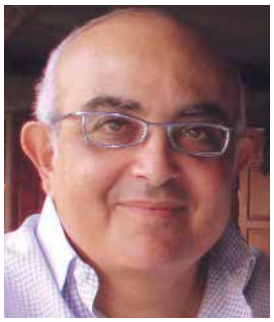

عمرو كمال حموده

amrkhamouda@yahoo.com

فمنذ عـــام 1879 حينما نادى بعض التجار المصريـــين بإنشـــاء بنك وطنى مصرى وطرح «أمين شـــميل» على الرأى العام فكرة تأســـيس بنك مصرى وطنى بحيث يتولى تمصير الدين الأجنبى ويتولى الســـداد للدائنين وكان ذلك فى مقال نشر بجريدة التجارة.

وأعيدت المحاولة ســـنة 1898 على يد عائلة بشرى وسينوت حنا وعائلة ويصا – مـــن أثرياء أســـيوط – وأيضاً منصور باشا يوسف فى الإسكندرية.. وقد افتتحوا مصارف صغـــيرة كانت تقبـــل الودائع وتقوم بتحويل الأموال إلى البنوك الأجنبية المسيطرة آنذاك على سوق الائتمان.

ورغم ذلك كانـــت المحاولة محدودة وحاربتها البنوك الأجنبية وخنقت عملها.

وفى عـــام 1907 بـــدأت بـــوادر أزمة اقتصادية عالمية وزحف شـــبح الكساد وأصيب الاقتصاد المصرى بآثاره.

وما كان مـــن الاقتصـــادى الوطنى طلعت حرب إلا أن شـــعر بحسه المتوقد بخطـــورة الوضع .. فنشر مقـــالاً مطولاً فى جريـــدة «الجريـــدة» فى العدد الصادر أول أكتوبر 1907.. يعتبر رؤية متقدمة وجريئة سياسية واجتماعية واقتصادية للوضع فى مصر.

كتب يقول..

«نطلب الاســـتقلال التام ونطلب أن تكون مـــصر للمصريين (دعـــوة الثورة العرابيـــة)، وهذه أمنية كل مصرى، ولكن ماذا يكـــون حالنا ولا إبـــرة نخيط بها ملابســـنا ولا فبريقة ننسج بها غزلنا ولا مركب ولا ســـفينة نســـتحضر عليها ما يلزمنا من البلاد الأجنبية .. فما بالنا عن كل ذلك لاهون.

مـــاذا لو غضب علينـــا الأجانب يوماً ومنعونا الملبوس والمأكـــول، كما منعوا نقودهم عنا هذا العام .. لأمســـينا جياعاً عرايا».

ثم يختم مقاله وكأنه يرســـم باقتدار إســـتراتيجية التحرر الاقتصادى كمدخل للتحرر السياسى فيقول..

«فى اليوم الذى يصبـــح فيه المصرى عاملاً فى الشركات التى تســـتنفذ ينابيع ثـــروات البلاد وله فيهـــا نصيب وافر فى إدارة بنوكها ورأسمالها وله رأى محدود فى جميع المشروعات المالية.. والمال هو أس كل الأعمال فى هذا العصر وقوام كل مُلك .. فى ذلك اليوم يحق للأمة أن تطلب الاستقلال بقوة المال وبقوة العلم الحقيقى».

ويعد عـــام 1911 من المحطات المهمة فى مسيرة الاستقلال الاقتصادى المصرى، حيث تدارست النخبة المثقفة فى مدلولات الأزمة الاقتصادية التى ألمت بالبلاد وبوادر قيام حرب عالمية فى الأفق وكانت الدعوة إلى انعقاد المؤتمر المصرى الأول فى ذلك العام.

وســـنجد قبيل انعقاد المؤتمر مقالاً للمواطن «حســـن محمد زكى» بجريدة المقطم يطالب فيه بإنشـــاء بنك وطنى مصرى.

ورسالة مفتوحة من المواطن «نصيف المنقبـــادى» مخاطباً رئيـــس الحكومة رياض باشـــا فى 13 إبريل يطالبه بتدبر الأمر لإنشاء بنك وطنى مصرى.

وعندما انعقد المؤتمـــر فى 29 إبريل يطالـــب بتدبر الأمر لإنشـــاء بنك وطنى مصرى.

وعندما انعقد المؤتمـــر فى 29 إبريل 1911 جاء فى تقريـــر لجنته التحضيرية ضرورة العمـــل على إنشـــاء بنك «مصر» ليكون «بنك البلد».

وقد تمت الموافقـــة بالإجماع على هذه التوصية فى الجلسة الختامية للمؤتمر.

كما قـــرر المجتمعون فى المؤتمر إيفاد محمـــد طلعت حرب للســـفر إلى أوروبا لدراســـة فكرة إنشاء البنك، إلا أن المشروع تأجل وهدأت الفكرة لبعض الوقت.

وفى شهر نوفمبر 1911 أى بعد انتهاء المؤتمر بسته أشـــهر. نشر طلعت حرب كتابه الشهير:

«علاج مصر الاقتصادى وإنشاء بنك للمصريين».

كان الكتاب رؤية للواقع الاقتصادى فى مصر. اقتصاد يقوم على الزراعة وينقصه التصنيع، ووجود طبقة رأسمالية زراعية عقارية، وافتقـــار للأدوات المالية المصرية مع ميـــل ضعيف للادخار لـــدى عموم المصريين.. بالإضافة لســـيطرة الأجانب من يونانيين وأرمن وإيطاليين وفرنسيين وإنجليز على معظم التجارة فى البلاد.

ولم تمض ســـنوات ثلاث إلا واندلعت الحرب العالمية الأولى عام 1914، وانقطعت الـــواردات وامتنع القطن عـــن التصدير وانهارت بورصته فى الداخل وحدثت حالات كبيرة من الإفلاس.

ولكن البلـــد كان محكوماً بالحماية البريطانية والأحـــكام العرفية، فتأجلت أى أفكار أو مشروعات للاســـتقلال سواء السياسى أو الاقتصادى.

ثورة 1919 وبداية التحرر والاستقلال

فى أعقاب انتهاء الحرب العالمية الأولى ســـنة 1918 شـــعرت النخبة السياسية والقيـــادات الفكرية والثقافية فى المجتمع أن الوقت قد حان للمطالبة بالاســـتقلال وإنهاء الأحكام العرفيـــة ورفع الحماية وتحقيق شعار «مصر للمصريين».

لم توافـــق الســـلطة البريطانية على مطالب الشعب، وقبض على الزعيم سعد زغلول وصحبه، واندلعت الثورة الشعبية الوطنية فى 8 مارس 1919.

وجد محمد طلعت حرب وزملاؤه من القيادات التجاريـــة والمالية المصرية، أن الفرصة مواتية هى الأخرى لتحقيق الحلم بإنشاء أول بنك مصرى وطنى صميم.

ويقول الدكتور محمود متولى فى كتابه الرائـــد عن تطور الرأســـمالية المصرية.. «نشأ بنك كأول محاولة ناجحة لرأس المال الوطنى. فهو بداية الرأســـمالية العلمية والذى قاد مشروعات مـــصر الوطنية فى تلك المرحلة المهمة من حياة الرأســـمالية المصرية».

كانت من ضمن التحديات الرئيسية أمام بنك مصر:

1) إقنـــاع المصريـــين بالتحول من الاســـتثمار فى الزراعة إلى الاســـتثمار فى المشروعات الصناعية.

2) أن يقدم البنك مجموعة مدروسة من المشروعـــات ذات الجدوى والتى يجب أن تنجح، فلا وجود للفشل.

3) كان البنـــك يغرد وحـــده خارج السرب.. فلا توجد بنـــوك أخرى مصرية

على الساحة المالية تسانده وتتعاون معه.
4) لم توجد أى تشريعات ضريبية أو جمركية لحماية المشروعات الصناعية الوطنية.

وفى 8 مارس 1920، وهو تاريخ له دلالته، تم اختياره بعناية ومن المؤسسين.. لأنه الذكرى الأولى لانطلاق ثورة 1919.

فى هذا اليوم المجيد تم توقيع العقد التأسيسى لـ«بنك مصر». والمؤسسون هم:

أحمد باشا يكن، يوسف أصلان قطاوى باشا، محمد طلعت حرب بك، عبد العظيم المصرى بك، عبد الحميد السيوفى، الدكتور فؤاد سلطان، اسكندر مسيحة، عباس الخطيب أفندى.

ويلاحظ اعتناء طلعت حرب بتمثيل أطياف البرجوازية الوطنية والتأكيد على مبدأ المواطنة بتمثيل الأقباط واليهود والمسلمين معًا.

وتأسس البنك على هيئة شركة مساهمة مصرية وفقاً للقانون المصرى. وبرأسمال 80 ألف جنيه.

مبادئ وأهداف بنك مصر:

أولاً: تمصير الأعمال المصرفية.

ثانياً: نشر الوعى المصرفى وتجميع المدخرات الوطنية.

ثالثاً: إنشاء وتنمية الصناعات المختلفة النافعة للاقتصاد الوطنى.

وفور بدء ممارسة نشاطه فى مايو 1920 (ونحن اليوم نحتفل بمئوية البنك) اندفع يسابق الزمن ليجمع مدخرات المصريين وتوظيفها فى أسرع وقت داخل عدد مدروس وله أهمية كبيرة من المشروعات الصناعية.

وتضمنت قائمة المشروعات التى أنجزها البنك ما يلى:

1) مطبعة مصر 1922
2) شركة مصر لحلج الأقطان 1924
3) شركة مصر للنقل والملاحة 1925
4) شركة مصر للتمثيل والسينما 1925
5) شركة مصر للغزل والنسيج 1927
6) شركة مصر لمصايد الأسماك 1927
7) شركة مصر لنسيج الحرير 1927
8) شركة مصر لتصدير القطن 1930
9) شركة مصر للطيران 1932
10) شركة بيع المصنوعات المصرية 1932
11) شركة مصر للتأمين 1934
12) شركة مصر للملاحة 1934
13) شركة مصر للسياحة 1934
14) شركة مصر للغزل والنسيج الرفيع 1938 15) شركة مصر لأعمال الأسمنت المسلح 1938
16) شركة مصر صباغى البيضا 1938
17) شركة مصر للمناجم والمحاجر 1938
18) شركة مصر لصناعة وتجارة الزيوت 1938

محمد طلعت حرب

19) شركة مصر للمستحضرات الطبية 1940
20) شركة مصر للحرير الصناعى 1946

وهناك مشروعات صناعية تم التخطيط لها ولم يتح لها الخروج إلى النور بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية وارتفاع التكلفة عن حجم الطلب المحلى، مثل إنشاء شركة مصر لصناعة الورق ومشروع شركة مصر لصناعة الدخان ومشروع شركة مصر للكتان ومشروع شركة مصر لصناعة ودباغة الجلود.

كل هذه المشروعات أنجزت خلال الفترة من 1922 إلى 1940، أى قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية. ترى ماذا كان سيكون الوضع مع توقف الواردات من السلع والمعدات ولوازم الحياة؟

وتأكيداً لما سبق ذكره نورد ما جاء فى تقرير بنك مصر المفصل إلى وزير المالية على باشا ماهر فى حكومة الأحرار الدستوريين عام 1929 عن خطة البنك وجدوى ما قام به من مشروعات..

1) ضرورة وضع برنامج قومى صناعى لمدة عشر سنوات.
2) تجميع رؤوس أموال وطنية ضخمة لدعم هذا البرنامج.
3) إنشاء هيئة داعمة معتبرة تضم أنصار فكرة التصنيع والقوى الحكومية والمالية والفكرية فى المجتمع.
4) مطالبة الحكومة بالاشتراك فى رؤوس الأعمال الصناعية الواجب إنشاؤها حتى يكون اشتراكها مضاعفاً لثقة المصريين فى هذه الأعمال.

أزمة بنك مصر 1939

واجه البنك أهم وأخطر أزمة فى مسيرته عام 1939. وكانت قوى متعددة تتربص به.

الاحتلال البريطانى والمصالح الأجنبية والرأسمالية المتمصرة وبعض رجال القصر الملكى المستفيدين من وجودهم فى عضوية مجالس إدارة الشركات التى تمثل المصالح الأجنبية.

كل هذه القوى انتهزت فرصة الحرب العالمية الثانية عندما حدث كساد عالمى وتأثر الاقتصاد المصرى من جراء ذلك، ونقصت السيولة المالية فى السوق.. وقد أدى ذلك إلى أزمة سيولة لدى بنك مصر حيث وظفت أغلبية أمواله فى مشروعات صناعية .. ونتيجة أخرى هى هجوم العملاء على السحب الضخم من أرصدة البنك وفوجئ طلعت حرب باشا بأن البريد الحكومى يسحب ودائعه وينقلها لبنك آخر .. وعندما ذهب طلعت حرب إلى محافظ البنك الأهلى يطالبه بالتعاون والدعم كأحد التقاليد المصرفية المتعارف عليها فى الأزمات المالية، فإن محافظ البنك الأهلى الإنجليزى الجنسية رفض المساعدة على الرغم من أن احتياطيات بنك مصر – وهذه نقطة دقيقة - كانت قوية ومضمونة وتتمثل فى أوراق مالية من الدرجة الأولى مثل سندات الدين الحكومى وأذون الخزانة وأوراق البنك العقارى المالية.

وعندما أوشك بنك مصر على الانهيار.. تدخلت الحكومة فى آخر لحظة لدعم البنك مشترطة الآتى:

1) خروج طلعت حرب من قيادة البنك.
2) التوقف التام عن أى مشروعات صناعية جديدة وعدم مساعدة المشروعات التى تكون قد تعرضت لخسارة وقتية.. بل تصفيتها.
3) تحول بنك مصر فى المستقبل إلى النشاط التجارى والابتعاد عن التصنيع.

ولكن.. قامت ثورة 23 يوليو 1952 ودخلت مسيرة بنك مصر فى طور جديد. لقد أمم بنك مصر ضمن التأميمات الكبرى التى أجرتها الثورة فى أوائل ستينيات القرن العشرين.

وأدى تأميم البنك إلى عودته لأهدافه الأولى. فأصبح مع البنك الأهلى أكبر بنكين يقودان العمل المصرفى والائتمان المحلى وتنفيذ خطة التنمية الصناعية والزراعية فى الدولة، ونجح حتى اليوم فى إقامة كيان مصرفى عملاق، تشهد له المؤسسات المالية الدولية وتشيد بعراقته وقدراته.

وختاماً فإن الفضل الأكبر فى إنشاء بنك مصر يعود إلى محمد طلعت حرب باشا، الذى لم يكن رجل مال واقتصاد عادياً بل مثقفاً فى الأساس يمتلك رؤية وطنية لمستقبل بلاده، ويتمتع بفهم عميق للعقلية والشخصية المصرية بمستوياتها الطبقية المختلفة، فكان نموذجاً للاقتصادى المستنير ورجل الدولة بلا دولة.

سفيرة د. عبير بسيونى رضوان
Abassiouny@hotmail.com

الوجه الآخر للكورونا: حكاية وحلم فى زمن الكورونا!

عندما نريد أن نعرف إنساناً نسأله ما حكايتك؟ وعندما نريد أن نعرف أنفسنا نسألها عن أحلامنا؟ فكأن الإنسان سلسلة ما بين حكاية يتداولها الناس عن ماضيه، وسر يعيشه عن أحلامه يشكل مستقبله! وما بين حكايتنا وأحلامنا نعيش حياتنا.

لا نستطيع الحياة بدون أحلام، فالحلم هو أمل. ولا يكتمل الحلم ولا يتحقق إلا بوجود شخص آخر يتحقق فيه أو معه الحلم.

لا بد أن نحلم لكن بدون أن يكون الحلم خديعة! وعندما تخرج الحكاية أى الماضى من الحلم للمستقبل سنتمكن من وقف خداع النفس. الحكايات تنتهى، والأحلام لا تنتهى. والمشكلة الكبيرة التى نواجهها هى الخوف. لكنى لا أخاف لأنى واثقة فيما كانت أمى دائماً تقوله لى من أن «رب العرش حاميكي».

حكاية فيروس الكورونا، حكاية بسيطة. بدأت بدعوة وانتهت بدعوة. هو ليس ببلاء ولا بوباء ولكنه عند البعض فرج من عند الله قريب، ونعمة لا يعلمها إلا أصحاب العقول، وحكمة لا يدركها إلا الأولياء.

لكل نقمة وجه آخر من النعمة! هكذا كان الوعد {... فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: 19].

ومعنى القاعدة بإيجاز:

أن الإنسان قد يقع له شيء من الأقدار المؤلمة، والمصائب الموجعة، التى تكرهها نفسه، فربما جزع، أو أصابه الحزن، وظن أن ذلك المقدور هو الضربة القاضية، والفاجعة المهلكة، لآماله وحياته، فإذا بذلك المقدور منحة فى ثوب محنة، وعطية فى رداء بلية، وفوائد لأقوام ظنوها مصائب، وكم أتى نفع الإنسان من حيث لا يحتسب.

والعكس صحيح: فكم من إنسان سعى فى شيءٍ ظاهره خيرٌ، وتطلع إليه، واستمات فى سبيل الحصول عليه، وبذل الغالى والنفيس من أجل الوصول إليه، فإذا بالأمر يأتى على خلاف ما يريد، وهذا هو معنى القاعدة القرآنية التى تضمنتها هذه الآية باختصار.

لكن هل تعرف من دعا؟ وهل هو واحد أم واحدة؟ وهل كانت دعوة من طفل صغير أم من شخص كبير؟ نعم ربنا قادر على تسيير الجيوش، وتدبير الأمور، وتغيير الأقدار، وتحويل القلوب من أجل بعض البشر ممن هم ضعفاء أو قليلى الحيلة وهينين أو مغتربين.

من دعا وطلب ورجا وبكى ليس واحداً فقط لكن كلهم متأكدين ويقسمون ويرددون: أنا من دعا ربى العظيم. أنا من حرك له ربى الكبير جيوشاً خفية لينصرنى نصراً لا راد له.

كنت مغلوباً فانتصر لى ربى. كانوا يتربصون بي! أحاطوا بى من كل جانب. لكن الله وحده من خلق الأسباب، وفتح الأبواب لكى تنحل العقد، وتنفرج الكرب، وتفك الأسر، وتكشف السوء، ويجيب المضطر.

الحكاية تختلف وتتنوع بعدد الداعين وهم كثر، وبعظم الاستجابة من رب العرش العظيم.

الكل يبحث عن الحكاية والسر وراء الكورونا، ويتوقع أن تكون قصة كبيرة أو مصيبة عظيمة.

نعم هى كبيرة عند صاحبها، ولكنها أكيد صغيرة عند الرب العظيم. ولنبدأ بأبسطها عند الخلق وأكبرها عند الخالق.

الحكاية الأولى: دعوة طفلة

جاءت الدعوة من طفلة اسمها فادية دعت ربها العظيم فى ليلة قضتها تبكى أن تقضى أياماً أكثر مع والدها المشغول بقوت يومه، وأن تهتم بها والدتها أكثر قليلاً من اهتمامها بالخروج يومياً وقضاء أيامها بالشراء والنوادى.

هل ليلى وحدها هى من دعت بذلك؟ من يدري؟! لعل هناك ملايين مثل «فادية»!

رب السموات السبع ورب العرش العظيم سمع بكاء الآلاف من الأطفال مثل فادية ممن يفتقدن آباءهم وأمهاتهم، عندما نسوا أولادهم وحقهم فى أن يجدوا أهاليهم بجوارهم.

فيروس الكورونا جيوش خفية سلطها الله على الغافلين من عباده فى أنحاء المعمورة لكى يعود الآباء والأمهات لدورهم الأصلى فى تربية وتعليم أطفالهم كما هو الأساس فى أى مجتمع سليم.

دعوة طفلة غيرت مسيرة العالم!

فادية تشكر الله الذى لم تره. ولا تعرف إلى الآن كيف سمع نداءها ورأى دمعتها الصغيرة ولبى خفقات قلبها الصغير فى ليلة قضتها حزينة أصبحت بعدها سعيدة.

فادية وحدها من تعرف السر، هى مطمئنة وواثقة بربها الكبير بالرغم من سنها الصغير. فكم منا بإيمان فادية؟!

هكذا كنا! فكيف أصبحنا! وللكورونا معنا حكاية جديدة!

اللطف الخفى (الحكاية الثانية) لكى ندرك قيمة كبار السن!

الدعوة الثانية كانت من عجوز مريض لا يسأل عنه أحد ولا يزوره أى من أبنائه بعدما استقل كل منهم بحياته أو بأسرته. بعدما زال عنه سلطانه ونفذت أمواله. حتى معاشه أصبح أحد أبنائه يتحصل عليه من ماكينة الصرف الآلى كل شهر، ويشترى له بما يتيسر من طعام ودواء ويتركه للبواب لكى يوصله له فى بداية كل أسبوع.

كان يشكو الوحدة والغربة وهو يقيم فى داخل حيّه وبين جيرانه الذين شب وشاب وشاخ بينهم. تكاثرت عليه الأمراض وأثقلت حركته وأعاقت قدرته إلا عن ذكر الله.

يعلم، بإيمانه، أنه يجب ألا يتمنى الموت، فبالرغم من ترديده المستمر لشعر أبى العلاء المعرى فى قصيدته الشهيرة «تعب كلها الحياة»:

غيرُ مجدٍ فى ملّتى واعتقادى نوحُ باكٍ ولا ترنم شادِ

وشبيهٌ صوت النعيّ إذا قِى سَ بصوتِ البشيرِ فى كلّ نادِ

صاحِ هذى قُبورُنا تملأ الرُحبَ فأين القبورُ مَن عهدِ عادِ

خفّف الوَطْءَ ما أظنّ أَدِيْمَ الـ أرض إلا من هذه الأجسادِ

رُب لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحم الأضدادِ

تعبٌ كُلّها الحياةُ فما أعـ ـجبُ إلّا من راغبٍ فى ازديادِ

إنّ حزناً فى ساعة الموت أضعاف سرورٍ فى ساعة الميلادِ

أمر الإله واختلف الناسُ فداعٍ إلى ضلال وهادِ

واللبيبُ اللبيبُ من ليس يغترُّ بكونٍ مصيره للفسادِ

إلا أن صديقنا العجوز دائماً يتطلع للحياة، لرؤية من يحب من جيران وأبناء وأحفاد حتى

لو كان من خلال نافذة شباكه التى يطل منها من سريره الذى لم يعد يفارقه وينظر منها على حركة الشارع وعلى الغادى والبادى من المشاة والسيارات.

شق عليه ألا يزوره أحد، وألا يسأل عليه أحد، من طول عمره اعتبروا وجوده حقيقة ثابتة لا يمكن أن تتغير. اكتفوا منه بالسؤال الهاتفى أو بسؤال البواب عنه، فهو الوحيد الذى كان يزوره ويوصل له الطلبات.

هو أيضاً دعا، وقال: «اللهم يا صاحب اللطف الخفى والوعد الوفى بك نستعين وبك نكتفى.. يا رب.. يا صاحب اللطف الخفى بك أستجير وأستعين وأكتفى. يا أرحم الراحمين.. يا لطيف: أنت اللطف الخفى، الطف بى بلطفك الخفى من حيث أعلم ومن حيث لا أعلم».

وجاء فيروس الكورونا.. وتعدى المرض مرحلة الوباء وهو ما يعنى انتشاره وبائياً فى مناطق محددة، ومن قبله تخطى مرحلة المرض المتوطن والذى يعنى تركز المرض فى بؤرة محددة، وأصبح الكورونا «جائحة»، الأمر الذى يحتم على كل الدول اتخاذ إجراءات حاسمة حفاظاً على الأرواح، وللحد من تفشى ذلك الفيروس، مع الاستمرار فى تقديم أفضل رعاية إلى المصابين، وهى كلها اعتبارات تسمو فوق ما قد تشمله تلك الإجراءات من تضييق أو ما ينتج عنها من اضطراب.

قلق الأبناء والأحفاد أن يصيبه الوباء! تذكروا الأب الحنون والجد العطوف. حتى الجيران تنبهوا إلى أنهم يعيشون غافلين عن طيب الذكر الذى قارب المائة ولم يوافه الثرى. هو ذاكرة الحى وضياء المعرفة فيه، حتى لو لم يعد قادراً على حسن النطق والحديث الطويل.

عرفوا قيمة العجوز، النعمة التى بين أيديهم! وعلى عكس ما فعلوا مع الأصدقاء والأصحاء من «التباعد الاجتماعى»، هجموا عليه بالتقارب – دون لمس – خوفاً عليه من مشقة الوباء.

أدركوا أن حكمة الله وأديانه أكبر بكثير من معرفة القانون أو إلمام واضعيه. فالكل تهاتف وأقبل على العجوز رغم أن القانون لم ييسر ذلك أو يوجبه فلم يأت ذلك مثلاً ضمن حزمة الإجراءات الاحترازية التى تتخذها الدولة، لمنع انتشار فيروس كورونا المستجد فلم يرد للعواجيز نص كما جاء للأطفال مثلاً عندما نصت المادة الرابعة على أن تُمنح الموظفة الحامل أو التى ترعى طفلاً أو أكثر يقل عمره عن اثنتى عشرة سنة ميلادية إجازة استثنائية طوال مدة سريان الإجراءات الاحترازية... لكن الرحمة فوق العدل والقانون. والأمر الربانى دفع الجميع دفعاً لتلبية نداء ودعاء العجوز بطلب الرعاية.

إن الشرع الحنيف – وهو مصدر أساسى للقانون المصرى – أسقط الفروض ورفع إقامة الحدود (العقوبات) فى حالات عدة، على رأسها، بل أولها: بر الوالدين. فتسقط مثلاً فريضة الحج وفريضة الجهاد على من يرعى والديه. (كما قال الله جل وعلا :وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء:23]، وقال سبحانه: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) [لقمان:14]. وقال النبى صلى الله عليه وسلم لما سأله عبدالله بن مسعود رضى الله عنه: أى العمل أفضل؟ قال: (الصلاة لوقتها)، قال: قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين)، قال: قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد فى سبيل الله)، فبرّ الوالدين من أهم المهمات حتى قدم على الجهاد، فكونك تقيم على والدك، وتحسن إليه، وترعاه، وتتلطف به، وتقضى حاجاته، هذا أعظم وأفضل من حجك.

دعوة عجوز غيرت مسيرة العالم! وإن لم تغير القانون.... فحتى الآن لم نر سوى القليل – وليس من بينها مصر – من دول العالم التى تمنح إجازة استثنائية لمن يراعى والديه أو أحدهما بعدما بلغ أرذل العمر، ولم نجد حتى فى زمن الكورونا من يتذكر وجوبية منح إجازة لهؤلاء الغاليين. إن طلب كبار السن للصحبة بعدما شقت عليهم الوحدة هو واجب علينا جميعاً أن نلبيه. وإذا غفل عنه القانون يجب أن نتداركه.

عجوزنا الداعى لقى الاهتمام من الجميع عندما شق عليهم تصور الفراق. فلا يجب أن ننتظر الفاجعة لكى يوفر لنا القانون حقوق الرعاية للوالدين.

العجوز سعيد بالوباء الذى جاء بالتذكرة وبالاهتمام به، حتى إذا ما أدى هذا الاهتمام لانتقال الوباء إليه، فهو سعيد. يموت بين الأحباء وليس موت الوحدة أو موت الفجأة!

وكم لله من لطف خفى يدق خفاه عن فهم الذكى، وكم أمر تُساء به صباحاً، وتأتيك المسرة فى العشى. إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالواحد الفرد العلى.

اللطف الخفى كان لنا أم للعجوز!؟

هكذا كنا! فكيف أصبحنا! وللكورونا معنا حكاية جديدة!

الحكاية الثالثة: المعجزات فى زمن الكورونا

نعم أحلامنا الصعبة فقط التى تصل إلى حد المعجزات هى التى تتحقق فى زمن الكورونا.

من كان يتصور أن تتوقف عجلة المكائد والمصائب المتتالية على هذا الشاب اليتيم بدعاء أطلقه لرب العالمين. فكأنه سير له جيوش فيروسات الكورونا لتنقذه.

الدعوة ناجى بها هذه المرة شاب، حتى وإن كان فى الأربعين من عمره، فالشباب فى يومنا هذا ليسوا بسنهم العشرينى أو الثلاثينى، ولكن بأحلامهم التى لم تتحقق حتى لو كانوا فى الخمسينات. فالشاب يبقى فى غُرف أهل الاجتهاد على هذا الوصف طالما استمر على سعيه الجاد فى نيل مطالبه. قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

وما نيل المطالب بالتمنى ** ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وما استعصى على قومٍ منالٌ ** إذا الإقدام كان لهم ركابا

والإقدام هو من شيم الشباب وليس الكهول. بل حتى البنوك لا توافق على منح قروض للشقق أو للمشروعات الجديدة إلا لمن هم أقل من خمسين عاماً. فهكذا أصبح سن الشباب الاقتصادى هو الأقل من 50 عاماً.

شاكر هو شاب فى نهاية الأربعينات من عمره، متميز فى كل ما يقوم به من عمل، لديه أمل وطموح، يعمل بجهة حكومية وفى نفس الوقت يدبر لأن يبدأ مع ابن عمه مشروعاً كبيراً خاصاً بهما، ولديه التزامات كثيرة يوفيها بكل إتقان من أجل تحقيق حلمه هذا.

وكالعادة فى حالة كل ذى همة عالية، أو أخلاق لا يشوبها شائبة، يجد هناك من يتربص به ويريد أن يقوض من عمله ويقضى على همته ويشوه صورته. فكما يقولون: «ما عدوك إلا ابن كارك». زميل شاكر فى العمل جند كل طاقته للإيقاع به، وابتكار الدسائس والمكائد، وتفنن فى كتابة الشكاوى للرؤساء، وتحريض

الوجه الآخر للكورونا: حكاية وحلم فى زمن الكورونا

كل مـــن يعرفه من عامـــل أو عميل، متهاون أو متخاذل عن العمـــل فى «اختراع» المظالم عن «إجبار» شـــاكر لهم على العمل وإتقانه، أو الالتزام بأخلاق العمـــل وأصوله. وما أكثر المتبرعين لفعل الشرور، وشـــهادات الزور وادعاء المســـكنة من أجل الإضرار بالناجح وهدم النموذج وتقويضه لكى يروا أنفســـهم شرفاء بدون عمل!

نعم فى مجـــال العمل ثمـــة من يمكن تصنيفهم بحسب نتائج أعمالهم تحت عنوان جنود العمل الجـــاد المتقن على خلفية انبثاق الأداء من قاعدة الدراية واســـتناده فى الأصل على الإخلاص، وهم، أى هـــؤلاء العاملين من أمثال شـــاكر غاية العصـــر ومطلبه فى كل جهة تتوق إلى التقدم وتنشد التميز، يقابلهم من يمكن وصفهـــم بالمهملين المتراخين فى تأدية الأعمال الموكلة لهم، ويختبئ فى منطقة الوســـط فريق عمل لا يعول عليه فى أى شيء يذكر خارج حدود الحضور والانصراف، وهذه الفئة غالباً ما تترك العمل بشـــكل نهائى دون بصمة تدل على وجود ســـابق أو أثر شاهد، وهم من الفئة التى يظهر فيها بجلاء «الموظف الواطي» - حائك الدســـائس والفتن فى جل مقرات العمـــل وجهاته، وهذا مما يؤســـف على حدوثه فـــى عصر يتطلب زوال الموظف المتملـــق المتفنن فى شـــحن الأجـــواء بين زملائه فى العمل، أو ضد بعضهم عند المدير المسئول للتسلق على أكتاف هذه السلوكيات المشينة لبلوغ غايات شخصية ضيقة مخزية فى بعض الجوانب. وزميل شـــاكر هو نموذج للموظف المتخصص فى ممارســـة الأساليب المنخفضة سلوكياً، وســـبيله فى ذلك النفاق والكذب كوسيلة للرقى إلى المراكز الوظيفية وإحراز ما يتبعها مـــن مميزات وفى المقابل تجر دسائسه فى أعقابها من السلبيات الكثير من الضرر بالمصلحة العامة.

وهكذا، لم تتوقف عجلـــة المكر والإيقاع بالفريسة بما تحقق من ضرر لشاكر وإحالته للتحقيقات، فكمـــا يقول المثل «العجل عندما يقع تكثر ســـكاكينه»، فلـــم يكتف محترف الدسائس وخبير المكائد، بما أثاره ضد شاكر فى العمل. بل تحرك عند عمله الخاص، فرغبة الإيذاء والشـــر رغبة قوية لا يمكن إيقافها عند أصدقاء الشياطين، وأخذ هذا المتربص يتتبع البنوك والمشـــاركين لشاكر فى عمله الخاص أيضاً، وينقل لهم تدهـــور حاله فى الوظيفة العامـــة والتحقيقات التى تجـــرى معه لكى يهربوا منه من جهة، ولتدمير طاقته وتشتيتها فى حروب على كل الجبهات.

استدان حتى نفذت طاقة الاستدانة لديه، فأخذ قروضاً على كل شيء حتى المنزل الذى تقيم به والدته منذ وفاة والده وهو فى ســـن السادسة. وما كذب شـــاعر العرب ثعلبة بن عمير حين قال:

إذا ما قضيت الديـــن بالدين لم يكن ** قضاء ولكن ذاك غرم على غرم.

وما كذب العرب عندمـــا قالوا: الدين هم بالليل وذل بالنهار.

ولذلك كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يستعيذ بالله من الدين بالذات بصفات متعددة يبرز فى كل دعاء جانباً من جوانب أثره على نفس المدين، وأكثرها دلالة عندما استعاذ منه بلفظ: «ضَلَعِ الدَّيْـــنِ». بفتحتين، يعني: ثِقَلُهُ حَتَّى يُمِيلَ صَاحِبَه عَن الاستواءِ لِثِقَلِه وشدته.

شاكر التجأ لربه. هو يعلم أنه منذ أن خلق الله البشر وهم فى صراع بينهم وبين أنفسهم، بغيـــة الحصول على الغلبـــة، فينتج من هذا الصراع البقاء للأقوى حسب نظرية داروين، أو البقـــاء للأصلح حســـب تصنيـــف العقل المركب فى البشـــر القادرين علـــى التمييز. ولكنه علم عن ثقة أن الانتصار لصاحب الحق المستعين بالله. قال تعالى فى سورة الأنفال: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ. وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) آية30. نعم الله خير الماكرين. الله أكبر. وهو المستعان على ما يصفون.

شاكر فوض أمره إلى الله. وكيف لا وربنا صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. ألم يقل ســـبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُـــمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ، أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّـــرُونَ» (62) النمل. لا والله الذى لا إله إلا هو ما يكشف الســـوء إلا أنت يا ربى. يا أرحم الراحمين. حســـبنا الله ونعـــم الوكيل. نعم المولى ونعم النصير.

شـــاكر قصد باب الله. ومن قصد بابه لا يخيب أبداً. دعا بدعاء قصدت بابك الشهير:

قصدت باب الرجا والناس قد رقدوا
وبت أشكو إلى مولاى ما أجد
وقلت يا أملى فى كل نائبة
يا من إليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها
ما لى على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدى بالذل مفتقرًا
إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة
فبحر جودك يروى كل من يرد

ربنا العظيم. صدق وعده. وحرك جنوده. أكانت فيروسات الكورونا من بينها؟!

ســـامح أهل الخير شاكر فى الديون التى أثقلته (ولا يهم تحت أى مســـمى كانت أو أية مبادرة وصلـــت إليه، المهم أنهم وصلوا إليه)، وألغت البنوك المطالبة بالفوائد لمدة عام كامل وأجلت تحصيل الديـــون. وألغيت المحاكم، وأُجلت القضايـــا لأجل غير معلوم. ويوماً بعد يوم، ظهرت فى العمل وخارجه الخلافات بين شركاء الشر، وانكشفت الدسائس، وهى عديدة لا تحصى، واحدة تلـــو الأخرى. وتوفر الوقت لكى يدرك شـــاكر خيوط المكائـــد، ويحلها مكيدة مكيدة.

عجز شـــاكر عن التفكيـــر، كان أقصى أحلامه أن تنفرج الأمـــور. فجاء رب العرش بالتدبير!

ما حدث معجزة بـــكل المقاييس! فكيف يمكـــن أن يتم حلها جميعـــاً إلا بقدرة خارج البشر. ونصرٌ من الله الذى لا غالب له.

هكذا كنا! فكيف أصبحنا! وللكورونا معنا حكاية جديدة!

الحكاية الرابعة: القوة الخفية التى كشفتها الكورونا

بكل صدق وشـــفافية قلبـــت الكورونا كل موازين القـــوى العالميـــة، وأولها القوة العسكرية التى صنعها الإنسان للقتل وتتبارى الدول فى حسابها بأعداد الأسلحة والدبابات والطائرات والقدرات التدميرية. وعجزت هذه الدول - التى كانت تهدد العالم بأكمله بالدمار والخراب - عن تسيير جيوشـــها الجرارة أو توجيه أســـلحتها النوويـــة والذرية من أجل القضاء على الفيروس القاتل. بل إن رؤســـاء بعض هذه الدول «العظمى» وقفوا أمام العالم وأعلنوا أنهم بلا قدرات أمام فيروس الكورونا، ومنهم من لم يتحرج من إعلان الاستسلام التام أمام الكورونا. إن خطط المواجهات العسكرية التى تعتمد على مهاجمة العدو فشـــلت فشلاً ذريعاً أمام الكورونا فهو فيروس غير مرئى، وبالتالى انهارت كل إســـتراتيجيات الهجوم المبنيـــة عليها القوى والقدرات العســـكرية. وبذلك أطاحت الكورونا بقـــوة الهجوم، ولم

يبق لدى أصحاب القدرات العسكرية إلا الدفاع. وعند الدفاع يتساوى صاحب القدرات العسكرية الكبيرة مع ذلك الذى لا يملك سوى أدنى القدرات. فالأمن القومى لأية دولة بالفكر الدفاعى البسيط يقضى بغلق الحدود من أجل حماية الدولة، فأبسط طرق الحماية هى الإغلاق. وهذا ما فعلته معظم دول العالم من غلق حدودها ووقف حركة الطيران الدولى إليها. فهل تحقق لها الأمن!

أما أصحاب القوة الاقتصادية، فقد بدأوا فى البداية -كعادة الرأسماليين رأسمالية السوق والاقتصاد الحر - بمحاولة تعظيم مكاسبهم من وراء انتشار الكورونا أو على الأقل تفادى أن يصيبهم ومؤسساتهم الاقتصادية بأى أضرار. وتباطأوا فى غلق حدودهم أو فى تعطيل المصالح والمدارس والأعمال بما يتم فرضه من حظر التجوال أو فرض الطوارئ. فضحت هذه الدول بحياة أفرادها، نعم كان غرب «تعظيم الفرد والفردانية»، وتمجيد الاقتصاد الحر، واقتصاد ريكاردو (دعه يعمل دعه يمر)، وغرب الفوضى الخلاقة، وغرب الليبرالية الجديدة، كان أول من ترك الإنسان يموت، وانهارت القيم الإنسانية فحرم كبار السن من العلاج (كما فعل الأطباء فى إسبانيا من عدم قبول المستشفيات لحالات المرضى فوق 65 عاماً وإعطاء أسبقية لمن هم أصغر من 65 عاماً، بما يعنى ترك المُسن ليموت). وأسقطت الكورونا كل أفكار خلود النظام الديمقراطى الليبرالى فكان لها بمثابة نهاية التاريخ. نهاية تمجيد الإنسان «الفرد» كقيمة عُليا. ها هى الفردانية ترتد عليه، فكل دولة أخذت تنأى بنفسها عن الأخرى، وحتى الاتحاد الأوروبى الذى عبر عنه الرئيس الصربى اليمينى بامتياز؛ إن التضامن العالمى غير موجود، والتضامن الأوروبى غير موجود وأنه قصة خرافية على الورق. لم يظهر أى تضامن بل ترك الاتحاد الأوروبى إيطاليا وحيدة لتغرق. ولم توقف بعض دول آدم سميث التى تدعى تمسكها بأعلى معايير الإنسانية مثل السويد عجلة الرأسمالية وعملها بفرض حظر تجول أو أى من القيود الاجتماعية، وتحججت بالوعى الذاتى لسكانها، وقبلت بموت الآلاف من أجل حماية اقتصادها من الانهيار.

أثبتت الكورونا أن هناك معياراً واحداً للتضامن فى فلسفة النظام الرأسمالى، هو معيار المصالح والخوف على أسواق البورصات وأسهم الشركات ومنافذ الطاقة، وتغيير الخارطة الجيوسياسية التى قد تضرب مصالح شركاته ومؤسساته الاقتصادية والمالية. فى حين أن المعيار الإنسانى، الذى كشفه لنا مشكوراً فيروس كورونا، غاب كلياً واختفى عنه عنصر التضامن والتعاضد الإنسانى الذى أظهرته تلك الدول بشكل زائف تحت عناوين «الحرب على الإرهاب» الذى بمقتضاه طالبت بأن يكون هناك تعاوناً على المستوى العالمى وبأدوات مختلفة.

وهكذا، سقطت كل أنواع القوى الظاهرة، حتى ظهرت القوة الخفية التى كشفتها الكورونا، وهى قوة الفطرة الإنسانية، والفطرة الخيرة بطبعها التى ترفض المغالاة وتقوم على البساطة فى الاحتياجات والطلبات. وتبنى على مبدأ وحيد هو الأمن الإنسانى. مفهوم الأمن للإنسان يقوم على التحرر من الخوف والتحرر من العوز (الحاجة) والعيش فى كرامة. ويركز الأمن الإنسانى على عوامل سبعة لتحقيق أمن الإنسان هي: حماية البيئة، وضمان الحقوق والحريات، واعتراف الدول والمجتمع بالتجاوز فى حق الفئات الضعيفة، والعمل على تحسين أوضاعها وحصولها على كامل حقوقها، والتركيز على تنوع مصادر النمو فى الاقتصاد، والقضاء على الجوع وسوء التغذية، والارتقاء بمستويات الصحة للجميع. أى حماية حياة الأفراد وحرياتهم من التهديدات الشخصية، فرصة عمل، الفرصة فى تعليم، وأن يحصل الفرد على الرعاية الصحية المناسبة، والمسكن الملائم، احترام حقوق الجماعات ذات الهويات المختلفة، الحفاظ على البيئة من التلوث أو التدمير أو استنزاف الموارد، حماية الشباب من البطالة والمخدرات، احترام حقوق الفئات المستضعفة خاصة النساء والأطفال.

ويكتسب مفهوم الأمن الإنسانى مع سلامة الفطرة البشرية شرعية جديدة خاصة فى الإطار الدولى فى ضوء ارتباطه بالاهتمامات الأخلاقية للدول، فالمفهوم يفترض وجود قيم عالمية مشتركة مما يجعل حماية «الصحة والكرامة الإنسانية» تقع فى قلب مفهوم الأمن الإنسانى.

إن فيروس كورونا أثبت أن العالم أمام خيارين، الأول: الانعزال والانكماش وانتظار رحمة من الطبقة الرأسمالية الجشعة ودولها التى تستخدم القوة كآلة قمعية فى زمن الثورات والانتفاضات ضد سلطتها وجورها أو لتحل أزماتها وتتدخل للسيطرة على آليات السوق مثلما حدث فى أزمة ٢٠٠٨ وما يحدث اليوم، أو الخيار الثانى بأن يجعل من تلك الدولة «وبغض النظر عن محتواها الطبقي» ساحة عمل لصالح المجموع فى المجتمع وبأن يتنازل الجميع عن بعض الأشياء من أجل أن نعيش معًا. بل إنه فى زمن الكورونا، وكما أثبتت تجربة تفشى انتشار مرض كورونا، أن تقاعس أية حكومة محلية تجاه مواطنيها والتنصل من مسئوليتها، يؤدى ألا يكون الوباء محلياً بل يعبر الحدود كما نراه ويضرب بقية المجتمعات والدول. وأصبح من الضرورى على مفهوم الأمن الإنسانى أن يتم تطبيقه بشكل شامل وعادل وليس بتطبيقات انتقائية لا تحقق جميع أهدافه، فعجز المفهوم سابقاً عن استيعاب المساحة الواقعة فى أمن الممتلكات الجماعية والموارد الطبيعية (من مياه وطاقة وطرق) والإنجازات الإنسانية (من نظم مالية واتصالات وفضاء ونظم ثقافية) من الضرورى حسمها لصالح الإنسانية جمعاء. وأصبح من الضرورى أيضاً وقف نشر «ثقافة الأمن»، التى تنشر ثقافة القوة، والخوف من الآخر ومعاداته والترقب له، وتساهم فى خلق ثقافة الاستحواذ وسباق التسلح وإشعال فتيل النزاعات وسواد فكر المباراة الصفرية فى العالم وهى أمور لا تحقق الأمن العالمى، فى حين لا يتم بذل جهد مقابل لنشر السلام والكرامة الإنسانية، فالأمن يسعى لمواجهة التحديات أما السلام فهو يتفاعل معها. وفى الصحة تتوفر الحياة الكريمة وهى أساس أمن الفرد وأمن الدول. فقد خلق الإنسان ليعيش فى صحة وأمن وسلام على هذه الأرض، وذلك حقه الأوّل فى الحياة، وحينما يصبح هذا الحق مهدداً بالزوال وشبح الخوف والرعب والإرهاب والقلق يطارده، تفقد الحياة قيمتها ومعناها فى نفسه. وما أروع كلمة الإمام على (رضى الله عنه) وهو يقرن قيمة الحياة بالأمن، ويوضح أن لا حياة مع الخوف والرعب. تلك الحقيقة النفسية والحياتية الخطيرة التى لخصها بقوله (رضى الله عنه):«لا حياة لخائف».

دعوة أطلقها يحيى، رجلٌ حزين فى منتصف العقد الخامس من عمره، فقير بسيط التعليم (بالإبتدائية)، ضعيف البنية، خائف لا يملك قوت يومه من هؤلاء ممن يعملون «باليومية»، بات شريداً بلا مأوى، يلتحف السماء بعدما عز عليه أن يجد من يقبل منحه سكنًا، يأتنس بوحدته بعدما امتنع الناس عن قبوله فى تجمعاتهم بالقهاوى أو حتى بوسائل المواصلات. وخاف الناس من الاقتراب أو حتى العطف عليه.

دعا يحيى كيفما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن: اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى. إلا أذهب الله همه، وأبدله مكان حزنه فرحاً».

دعا فيلسوف العصر وحكيمه أن يعرف الناس الخوف الذى يعانيه هو منهم بسبب رفضهم له، لكى يقبلوه، ويشعروا بقيمة نعمة الأمان التى هم فيها. دعا أن تعرف البشرية قيمة الحياة، وأنها أهم من وسائل التنعم

الوجه الآخر للكورونا: حكاية وحلم فى زمن الكورونا

والرغد. دعـــوة بأن يجد كل منـــا من داخله إحساس الأمن فيأمن بوجود الآخر، ويحفظ له وللآخرين مســـافة أمان. وأن يدرك أن صحته وأمنه وحياته فى يد حياة الآخرين. وأنه عندما يعيش الآخر بشـــكل جيد فإنك ستحيا أيضاً. وأهمية توفير مسكن للجميع لتعيش الإنسانية فى صحة وسلام. فبيوتنا هى أمننا، والكورونا أجبرتنا على أن نـــدرك حقيقة أنه مهما كان بيتك صغيراً أو قليـــل الإمكانيات فإن وجوده هو نعمـــة لا يدركها البعـــض، والخوف كل الخوف ألا نجده، أو ألا نجد أهالينا به.

الدعوة تحققت! الكورونا – مع الشـــرطة ورئيس الحى وســـيارات الإسعاف - جعلته إنســـاناً له قيمة وتأثير. كشـــف عليه الأطباء ليطمئنوا على صحته التى أصبحت مهمة لنا جميعاً، فإذا أصابه مرض كان سبباً أو نتيجة لمرضنا. أجبرت الشـــرطة الأهالى على منح ســـكن له تبرع به أحد الأمناء عن طيب خاطر لكى لا يتم ترحيله للسجون مع حظر التجوال وإخلاء الشوارع وتطهيرها. والجيران منحوه ملابـــس نظيفة ومواد تنظيـــف وتعقيم لكى يحافظ على نفســـه فيحافظ عليهم أيضاً. كما منحته الحكومـــة إعانة العمالة غير المنتظمة (500 جنيه). أصبح - بعد شهور من الخوف - يشعر بأمنه، بإنسانيته، له سكن ودخل بل وعمل بالتنظيف رداً لجميل أهالى مســـكنه وحيه.

هكـــذا، جاءت الكورونـــا بالفرج، عندما أصبح الخوف على الآخر جزءاً من الخوف على أنفسنا وحياتنا.

يحيى عاش، وغيره كثيرون. فكما جاءت الكورونا بالمـــوت للبعض جاءت بكل مظاهر الحياة لآخرين.

اللهمّ يَا غيَاثَ المستغيثينَ، يَا مُجيبَ دُعَاء المضطرّين، وَجّهتُ وَجْهى إليكَ وَتَوَكّلت مُنيبًا عَليـــكَ، لاَ أرفعُ حَاجَتى إلاّ إليْكَ خَاشـــعًا بَينَ يَدَيكَ، ألْحِقْنِى بِالصَالِحِيـــنَ وَأيّدْنِى بِجَلالِكَ وَآمِنّى بِجَبَرُوتكَ وَسُلطانكَ وَاحْفَظنِى مِنْ كلّ سُوءٍ!

هكذا كنا! فكيف أصبحنا! وللكورونا معنا حكاية جديدة!

الحكاية الخامســـة: الكورونا وحربها مع الحكمة

الحكيم والطبيب فقط من تخشـــى منهم الكورونا، فهم حكماؤنا وضالتنا الذين أعادتهم الكورونا إلى الصدارة فليس هناك من هو أهم حالياً من الملائكة ذوى السترات البيضاء ممن ينشرون الأمل والســـعادة والحياة. الحكماء وبمسمى العصر الأطباء، ظل الله فى الأرض!

قال الإمام الشافعي:

قل للذى ملأ التشـــاؤم قلبـــه * ومضى يُضيق حولنا الآفاقا

سر السعادة حســـن ظنك بالذى * خلق الحياة وقسم الأرزاقا

هـــذه الحكمة التى تفتـــح أبواب الرحمة والرزق، والتى من يتمســـك بها لا يضيع أبداً. وصدق اللـــه العظيم عندما قـــال فى كتابه الحكيم «ومن يؤت الحكمـــة فقد أوتى خيراً كثيراً».

لكـــن من يملـــك هذه الحكمـــة فى بنى الإنسان قليل، من المؤكد أن فصيلاً منهم هم الأطباء أو كما كنا نطلـــق عليهم -عن حق - فى عصور عديدة مضـــت «الحُكماء». بل إنه فى بلاد الشام كلها (الأردن وفلسطين ولبنان وســـوريا والعراق) مازال إلى الآن يُطلق على الطبيب: «الحكيم». ويشـــتق من هذا الاســـم كل الأســـماء والصفات والأفعال ذات العلاقة، فيقول المريـــض مثلا: «جئت إلى دمشـــق لأتحكم» أى لأتطبب، أو يقـــول: الحكمة فى هذه المستشـــفى متميزة، أى أن خدمة الطب فيها متميزة، وينادونهـــم: يا حكيم. وإطلاق الحكمة على الطب لم يأت من فراغ، فالطبيب المعالج يلزمه أن يكـــون حكيماً، وأن يتحلى بالحكمة قبل أن يتعلم علوم الطب ويبرع فى تخصصاته الدقيقة، فالحكمة هى ســـنده فى اتخاذ القرارات الحاســـمة والمناسبة لإنقاذ أرواح الناس، والحكمة هى ســـبيله لحســـن التعامل مع المرضى والمرض.

الحكمة علم يبحث حقائق الأشـــياء. وقد فسر ابن عباس، رضى الله عنهما، الحكمة فى القرآن، بتعلم الحلال والحرام. وقيل الحكمة فى اللغة العلم مع العمل. وقيل الحكمة يستفاد منها ما هو الحق فى نفس الأمر بحسب طاقة الإنسان. وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل الحكمة هى الكلام المقول المصون عن الحشـــو. وقيل هى وضع شيء فى موضعه. وقيل هى ما له عاقبة محمودة.

وأَحْكَمَ الأَمْرَ: أى أَتْقَنَه فاستَحْكَم، ومنعه عن الفساد، أو منعه من الخروج عمَّا يريد.

وقال ابـــن القيِّـــم: (الحِكْمَـــة: فعل ما ينبغى، على الوجه الـــذى ينبغى، فى الوقت الذى ينبغـــي). وقال النَّووي: (الحِكْمَة، عبارة عن العلم المتّصف بالأحكام، المشـــتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النَّفـــس، وتحقيق الحقِّ، والعمل به، والصـــدِّ عن اتِّباع الهوى والباطل، والحَكِيم من له ذلك).

والحكيم هو شـــخصٌ عاقل يرجح الأمور نحو الصـــواب بما امتلكه مـــن خبرات عبر تجاربه فى الحياة.

الحكمة هى عصارة التجـــارب الحياتية وإفراز للحـــوادث والنوازل وإلهام بعد تفكير وتدبر للأمـــور. والحكمة هـــى نتيجة قناعة راسخة. والحكمة نظر فى المآل واستخلاص للعاقبة بعد استشـــراف للمســـتقبل ومعرفة للمقصد.

قال على بـــن أبى طالب: «إن الحكمة هى ضالـــة المؤمن، فخذوا الحكمـــة ولو من أهل النفاق».

قال السيد المسيح: «إن الحكمة هى نور كل قلب.»

قال أرسطو: «الحكمة رأس العلوم والأدب والفن، هى تلقيح الأفهام ونتائج الأذهان».

قال هيجل: «الحكمة هـــى أعلى المراتب التى يمكـــن أن يتوصل إليها الإنســـان فبعد أن تكتمل المعرفة ويصـــل التاريخ إلى قمته تحصل الحكمة، وبالتالى فالحكيم أعلى شأناً من الفيلســـوف، والحكمة هى المرحلة التالية والأخيرة بعد الفلسفة. إنها ذروة الذرى وغاية الغايات وهنيئـــاً لمن يتوصـــل إلى الحكمة والرزانة».

سئل ســـقراط: «لماذا اخترت لقب أحكم حكماء اليونان؟»، فقـــال: «ربما لأننى الرجل الوحيد الذى يعترف أنه لا يعرف».

وهكذا أطباؤنـــا المخلصون العاملون فى الصفوف الأمامية لمواجهة فيروس الكورونا يعترفـــون بعجز حكمتهم عـــن المعرفة، ولا يثقون إلا برحمة الله فى خلقه. فمن المؤكد أن رأس الحكمة هو مخافة الله سبحانه وتعالى. والمخافة الحقيقية هـــى بالاعتراف بالعجز وتفويض الأمر لله.

فندعو جميعاً: «وأفوض أمرى إلى الله، إن الله بصيـــر بالعباد». تفويض بحكمة، أى مع الأخذ بالأسباب والعمل. هذه هى الحكمة التى هى علم وعمل.

الحـــرب حامية الوطيس بيـــن فيروس الكورونـــا والأطباء الحكماء ممن يســـعون لمكافحته من جهة بإجراءات احترازية ووقائية لمنع انتشاره وأخرى علاجية لأعراضه وثالثة هجومية للقضاء عليه، ورابعة لإيجاد أمصال مناعية من الإصابة به، وخامســـة وسادسة... ميادين مفتوحة من الحرب والحكماء يواجهون فى كل جبهة.

طبيبنا «حلمـــي» من دعـــا، هو طبيب أطفـــال، لكنه كغيـــره من حكمـــاء الرحمة (فالحكمة رحمة كما علمنا القرآن) تحول الآن إلى العمل فى مستشفيات العزل. يحارب بثقة بالله وبأمان حققته له الكورونا التى يحاربها، فكيف كان ذلك.

لم يكـــن دكتور حلمى يســـتطيع – قبل الكورونا - أن يكفى مصاريف أسرته الصغيرة من موارد المستشفى الجامعى الذى يعمل به. ليس فقط لضعف المرتبات، ولكن أيضاً لعدم

قدرته أو عدم توفر جهد له للعمل الخاص. فمن ناحية كان دائماً فى قلق من العدوى والذى كان يُقدر من قبل بأقل من دولار شهرياً، فكيف يمكن له أن يتعالج من هذا البدل الضعيف. فما يمكن أن يتحصل عليه من عمل خاص يمكن أن يضيع فى الصرف على علاج نفسه أو أسرته التى يمكن أن ينقل إليها المرض. كما كان يضيع جزء كبير من وقته وجهده على المحامين وفى النيابات. الأهالى فى المستشفيات -عامة أو خاصة - يثورون ويعتدون على الأطباء دون أن يكون لهم رادع أو حاجز. أمن المستشفيات أول من يهرب إذا ما حدثت حالات الاعتداء، ويبقى الحكيم فى مواجهة الجهل أو الغضب!

الطبيب فى بلادنا كان يتم التعامل معه بكثير من عدم الاهتمام أو التقدير، بالرغم من أنه قضى سنوات طويلة فى دراسات الحكمة لكى يستطيع خدمة الإنسانية. وفى نفس الوقت لا يتم التعامل معه بأية درجة من درجات الإنسانية!

دعا حلمى دعوة مستجابة أن يدرك العالم قيمة الإنسان! والطبيب راعى الإنسانية! أراد أن يكون محل تقدير فى وطنه وعمله وعصره!

طلب العزة والنصرة من الله. وقال: اللهم يا رب المستحيلات. يا رب المعجزات. أرنى عجائب قدرتك بتحقيق ما أطلب وأتمنى. الكورونا عجيبة من العجائب. نعم الكورونا أعادت الحقوق لأصحاب الحكمة وتغيرت الدنيا برغم سوادها الحالك، فهناك الأمل والنور فى نهاية المطاف!

أبشروا حكماء هذا الزمان. أطباءنا الكرام.

هكذا كنا! فكيف أصبحنا! وللكورونا معنا حكاية جديدة!

الحكاية السادسة: الكورونا والقوة القاهرة

كثيراً ما نجد فى العقود والتأمين والقوانين مصطلحاً كنا نتجاوزه بكل أريحية على أساس أنه «شرط لا يتحقق» وهو القوة القاهرة.

القوة القاهرة فى القانون والاقتصاد هى أحد بنود العقود، تعفى كلا من الطرفين المتعاقدين من التزاماتهما عند حدوث ظروف قاهرة خارجة عن إرادتهما، مثل الحرب أو الثورة أو إضراب العمال، أو جريمة أو كوارث طبيعية كزلزال أو فيضان. وقد يمنع أحد تلك الأحداث طرفاً من المتعاقدين أو الطرفين معاً من تنفيذ التزاماته طبقاً للعقد. ولكن بند القوة القاهرة لا ينطبق فى حالة الإهمال الذى يؤدى إلى فعل ضار ولا ينطبق أيضاً على الظروف التى قد تلمّ بنا أحياناً وتعطّل حياتنا، ولكنها لا ترقى إلى أن تكون فى القانون «ظروفاً قاهرة».

إننا نعيش الآن، مع غزو جائحة كورونا لكوكب الأرض، وما شهدناه بدايةً فى الصين من وقف لحركة الاستيراد والتصدير مع دول العالم، ووقف لحركة الأفراد له تأثيرات كبرى على العقود والاتفاقات المبرمة والموقّعة بين أفراد وشركات ودول، تأثيرات غيرت أوجه التعاملات فيما بين الأطراف، وتأثيراتها على القوانين التى ستفصل فى القضايا المتأتّية عن الجائحة، وهذا غير الكوارث الصحية.

وتُعطل ظروف «القوة القاهرة» قاعدة «العقد شريعة المتعاقدين» المعروفة بأن ليس لأحد أن يستقل بإلغاء أو تعديل العقد أو أن يتحلل من التزاماته بطريقة منفردة، أى الالتزامات التى تقررت بمقتضى العقد الذى أبرمه بإرادته الحرة، كما أنه ليس للقاضى التدخل فى تعديل العقد أو إلغائه من غير رضا المتعاقدين أى أن يبقى كل من المتعاقدين قادراً على تنفيذ التزاماته من دون ضرر يلحقه. وعليه، إذا حل بأحد المتعاقدين عذرٌ أو تغيرت الظروف التى تم فيها إبرام العقد بحيث أصبحت تؤدى إلى اختلال فى التوازن الاقتصادى بين الطرفين أو تجعل تنفيذه مرهقاً أو مضرّاً بأحدهما، يصبح تنفيذ هذه الالتزامات جائراً على الطرف المتضرر، وينبغى تعديل العقد إلى الحد الذى يُرفع به الضرر، أو فسخ العقد حسب طبيعته والظروف التى تغيّرت ووفقاً لمصلحة المتعاقدين.

و«القوة القاهرة» تشبه نظريات عدة ظهرت فى الفكر الإسلامى مثل « نظرية العذر» فى الفقه الحنفى و«نظرية الجوائح» فى الفقهين المالكى والحنبلى. وفى القوانين الحديثة، يقابل هاتين النظريتين نظرية «الظروف الطارئة». والتى تطبَّق فى الحالات التى يكون فيها تنفيذ الالتزام مرهقاً لأحد الأطراف أو كليهما. ويكون الجزاء هو رد الالتزام المرهِق إلى الحد المعقول وتوزيع الخسارة على الطرفين. أما إذا استحال التنفيذ فيُطبّق على الأمر نظرية أخرى هى نظرية «القوة القاهرة» التى تختلف أحكامها عن أحكام نظرية «الظروف الطارئة». والجزاء فيها هو فسخ العقد وانقضاء الالتزام. أما إذا لم تتجاوز الخسارة الحد المألوف فلا مجال لتطبيق «القوة القاهرة».

وخلاصة الموضوع أن الأمر المؤكّد الوحيد الذى سينتشر بسرعة انتشار الكورونا هو الدعاوى القضائية التى سترُفع على أساس الدعاوى المبنية على أساس البنود المتعلّقة بالقوة القاهرة. حتماً ستصبح دعاوى «القوة القاهرة» معقدة ومحل خلاف بين الأطراف عندما لا تتسبب متغيرات كبرى فى التأثير بشكل مباشر على العمل.

من جهة أخرى بدأت الدول الاقتصادية الكبرى كأمريكا والصين باستصدار ما يسمى بشهادات «القوة القاهرة». وهذه تقضى بإبراء الأطراف من مسئولياتهم التعاقدية التى يصعب الوفاء بها، بسبب ظروف استثنائية تخرج عن نطاق سيطرتهم. وطالبت مؤسسات وشركات عالمية كثيرة، بشهادة «القوة القاهرة» من أجل التحلل من التزاماتها التعاقدية، وعدم أداء غرامات التأخير أو التعويض عن التأخير فى التنفيذ أو عن استحالته. ووافقت الحكومات أعلاه على أنه لكى يتم الحصول على شهادة، يمكن تقديم مستندات موثقة لإثبات التأخير أو التعطل. وستكون الشهادة معترفاً بها دولياً وليس محلياً فقط!

ومن المؤكد أن القضاء سيعرف تطوراً كبيراً وتطبيقاً واسعاً لهذه القوة القاهرة! فما بالك بالحكم الأكبر؛ قال سبحانه وتعالى: «إن الحكم إلا لله»، وقال عز من قائل: «وإلى الله ترجع الأمور» فإنه يعنى تعالى ذكره: إلى الله مصير أمر جميع خلقه.

نشاهد ونرى حالات ظُلم كثيرة، نعجز عن رفعها أو دفعها أو حتى تبريرها، فهى فى ظاهرها قانونية، وفى باطنها وواقعها ممارسات تمييزية. لكن الله وحده القادر على تغييرها، فهو سبحانه لا يعجز عن ذلك. أصحاب أعمال كثيرون يتحكمون فى مصائر عدد من خلق الله– خاصة فى خارج مصر - ومنهم من كانوا يتحينون الفرص لكى يتخلصوا من عمال وموظفين وكوادر لديهم بسبب المنافسة القاسية التى يعيشها الاقتصاد العالمى منذ سنوات ثم جاءت «الجائحة» لتقف أمام رغباتهم «الجامحة» للاستئثار والجبروت فى التحكم فى مصائر العباد خاصة بإنهاء لوظائفهم - فى تصرف أقل وصف له أنه تعسفى - طوال وجود الكورونا وانتشارها، ولكى لا يتم حرمان أصحاب هذه الأعمال من المساعدات الحكومية.

دعاء عبود المصرى – وهو موظف مغترب يعمل خارج وطنه من أجل تأمين مستقبله ومستقبل أسر كثيرة تعتمد عليه - كان تكبيراً فالله أكبر من كل الظالمين. دعوة مظلوم. هى تكبيرة عيد بانجلاء الظلم. هكذا ظن! وقال: الصيغة (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون).

وهكذا هزمت القوة القاهرة التى سيرها ربى من جيوش الكورونا كل الأحزاب، وأعز عبود وغيره من جند الله. ولم يتسن لأصحاب الأعمال أن يتخذوا قرارهم بالاستغناء عنه أو غيره بنصر من عند الله. والله أكبر!

هكذا كنا! فكيف أصبحنا! وللكورونا معنا حكاية جديدة!

هربرت بيرتون.. رجل فى الظل

فى مقال سابق نشر بعدد شهر أبريل من العام الجارى لمجلة «الدبلوماسى» كتب عن الأعمال والأشخاص الذين يعيشون فى ظل أعمال وأشخاص أكبر ولا ينالون ما يستحقون من شهرة لقيمتهم التى تطفى عليها الأعمال الأكبر.

أعود اليوم إلى هذه النتيجة لأذكر رجل يكاد لا يعرفه أحد رغم ما قدمه من عمل جليل.. هذا الرجل هو البريطانى Herbert Burton المولود فى مقاطعة Lincolnshire فى إنجلترا يوم 31 سبتمبر من عام 9781 لأسرة متوسطة الحال وكان والده نجاراً يصنع الأثاث وكان الطفل الخامس من بين أحد عشر طفلاً رزق بهم أبواه.

أظهر برتون نبوغاً وتفوقاً فى مدرسته وكان تلميذاً نابها لفت نظر أحد أثرياء المدينة وهو Robert cust فشمله برعايته وشجعه فى إتمام دراسته الأولية.. وربرت كاست كان رجلاً ثرياً له اهتمام بالثقافة والفنون.

وعندما بلغ برتون السابعة عشر من عمره عينه كاست سكرتيراً خاصاً له واصطحبه معه فى رحلة إلى فلورنسا بإيطاليا واشترى له كاميرا وكلفه بتصوير لوحات كبار فنانى عصر النهضة الموجودة فى المتاحف والكاتدرائيات والأديرة فى فلورنسا.. واكتسب بورتون خبرة كبيرة فى التصوير الفوتوغرافى الذى كان فناً وعلماً جديداً فى هذا الوقت.

وفى أثناء عمله فى فلورنسا التقى بورتون برجل كان له تأثير على حياته ومستقبله وهو الثرى الأمريكى The- odore hamis وهو محام يهوى جمع التحف الأثرية والذى أعجب بعمل بورتون وتعاقد معه واصطحبه إلى مصر فى عام 0191 وعينه مسئولاً عن حفرياته الأثرية فى وادى الملوك حيث كان قد حصل على امتياز للتنقيب عن مقبرة توت عنخ أمون واستمر فى حفرياته حتى عام 4191 حين نفذ صبر هارس وغادر مصر وأعرب عن قناعته لدى مغادرته أن وادى الملوك قد استنفذ ولم يعد به مقابر باقية لاكتشافها وتنازل عن امتياز الحفر للبريطانى لورد carnaryoh.

قام هارس بتزكية برتون لدى معهد المتروبوليتان الذى عينه مصوراً فى بعثتهم الأثرية فى وادى الملوك وكان عمله وإنتاجه الفنى والصور الفوتوغرافية التى التقطها محل تقدير وإعجاب

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

لكل من اطلع عليها وذاعت شهرته بين البعثات الأثرية العاملة فى الأقصر.

فى هذا الوقت من عام 4191 عين لورد كارنارفون هوارد كارتر ليتولى البحث عن مقبرة توت عنخ أمون إلا أن الحرب العالمية الأولى عطلت العمل وظلت الأمور معطلة حتى نهاية الحرب فى عام 8191 إلا أن كارتر لم يكتشف شيئاً حتى عام 2291 ونفذ صبر اللورد كارنارفون وقرر إيقاف الحفر الذى استنفذ منه أموالاً طائلة دون نتيجة وتوسل كارتر أن يمد اللورد تمويله لموسم واحد أخير.

وبعد جهد اقتنع اللورد وكافئه القدر على صبره ففى يوم 4 نوفمبر عام 2291 اكتشف واحد من الصبية الذين يقومون بأعمال الحفر درجات سلالم تهبط فى الأرض تبعها كارتر ليجد باب مقبرة عليها الأختام الملكية السليمة للملك توت عنخ أمون فأبرق إلى اللورد كارنارفون فى لندن ليحضر افتتاح هذا الاكتشاف غير المسبوق.

وعند افتتاح المقبرة فوجئ كارتر بكم الكنوز والتحف والقطع الأثرية الموجودة بداخلها كونها أول مقبرة فرعونية تكتشف سليمة لم ينفذ إليها لصوص المقابر على مدى التاريخ وأن قال كارتر إن اللصوص سبق أن اقتحموها لكنهم لم ينهبوا منها شيئاً ربما لأن أمرهم قد كُشف واضطروا :إلى الفرار.. لا أثق شخصياً فى هذه المقولة وهل هى حقيقة أم أنها ادعاء قاله كارتر لأن الامتياز الذى منحته الحكومة المصرية نص على حق الحكومة فى الاحتفاظ بمحتويات المقبرة إن كانت سليمة ولم تنتهك ولقد أدى الخلاف حول هذه النقطة إلى مواجهة فى المحاكم بين كارتر وبين الحكومة المصرية.

وعندما رأى كارتر حجم الأثاث الجنائزى الموجود فى المقبرة وروعة التحف والكنوز قرر أن يتعامل معها بأسلوب عالم الآثار لا بأسلوب جامعى الكنوز.. ويحسب ذلك لهارد كارتر الذى رغم ضحالة خلفيته العلمية والأكاديمية قرر أن يسجل الآثار قطعة قطعة مع تحديد موقعها وعلاقتها بباقى القطع.. وهوارد كارتر حصيلته من التعليم الرسمى محدودة للغاية فقد ترك المدرسة فى سن الخامسة عشر دون أن يحصل على أى شهادة لكنه تفوق منذ الصغر كرسام لفت نظر Lord amheryt أحد النبلاء الإنجليز الذى اقتنى مجموعة من الآثار المصرية فكلفه برسمها ثم أرسله بخطاب توصية إلى الأثرى البريطانى الشهير siv fliudcrs pctri فى مصر.. وتعلم كارتر على يد بيترى علم وفن التنقيب عن الآثار وأهمية تسجيل كل قطعة يتم رفعها ورسمها وتحديد موقعها وعلاقاتها بباقى القطع.

وأدرك كارتر بعد اكتشاف المقبرة والكم الهائل من القطع الموجودة بها صعوبة تسجيلها بالرسم اليدوى

وضرورة الاستعانة بمصور فوتوغرافى محترف وكان قد وصله سمعة وصيت هارى بيرتون الذى كان يعمل وقتها مع بعثة متحف المتروبوليتان فتقدم بطلب إلى مدير البعثة باستعارته لمعاونته فى تسجيل محتويات المقبرة.

وافق مدير البعثة وانتقل بيرتون للعمل مع كارتر واستمر يعمل معه قرابة العشر سنوات حتى انتهى كارتر من تسجيل محتويات المقبرة بشكل كامل وقد ساعدته شخصيته الدمثة فى الاستمرار هذه المدة الطويلة مع كارتر العنيد المتسلط المتشبث برأيه إلى حد العدوانية مما كان سبباً فى هجره العديد من مساعديه.

وقد انجز بيرتون، الذى يجهل معظم الناس اسمه، عملا يكاد يكون اسطورياً فى حجمه وقيمته فقط التقط 0023 صورة للقطع الموجودة بالمقبرة منها صور عديدة لنفس القطعة من زوايا ومناظير متعددة وصور جماعية تبين مواضع القطع وأبعادها وعلاقاتها ببعضها.

قد يستهين البعض بإنجاز بيرتون لأن كاميرات اليوم الحديثة التى تضبط فتحة العدسة وسرعتها حسب الإضاءة والمسافة إلكترونياً ولا تحتاج إلى تحميض أو طبع لأنها تظهر مباشرة على شاشة الكمبيوتر دون جهد يذكر إلا أن هذا الترف لم يكن مباحاً لبيرتون الذى استخدم كاميرا من طراز Gondal-fi 8xio وهى كاميرا ذات هيكل خشبى ضخم مثبتة على حامل ثلاثى القوائم Tripod ذات عدسة تفتح وتغلق يدوياً تلتقط الصور على لوحات زجاجية هشة مطلية بنترات الفضة بلا مكبرات أفلام كالتى كانت تستخدم فى الخمسينات من القرن يضم الفيلم عشرة أو عشرون صورة أو أكثر لكن الكاميرا كانت تتطلب تغيير اللوح الزجاجى الذى يحتوى على النسخة السالبة negative مع كل لقطة ثم نقل اللوحة بحرص شديد لتحميضها وطبعها علماً بأن اللوحات كانت شديدة الحساسية لأى ذرات غبار أو الرطوبة التى تودى إلى فساد اللوحة علماً بأن محيط المقبرة التى يعمل فيها بيرتون كان محيط صحراوى ملىء بالغبار وذرات الرمال كما أن انعدام التهوية فى المقبرة يؤدى إلى تراكم الرطوبة.. وكانت الإضاءة من المشاكل الكبيرة التى تغلب عليها بيرتون فاعتمد على الفلاش البدائى الذى يعمل بالمغنسيوم المشتعل الذى زاد من خطورة الحريق وبعد فترة استجلب بيرتون مولد كهربائى لإضاءة المقبرة باللمبات الكهربائية الحديثة.. وقد استخدم بيرتون المقبرة المرقمة K55 فى وادى الملوك والمتاخمة لمقبرة توت عنخ أمون كغرفة مظلمة لتحميض وطبع الصور التى التقطها وهى المقبرة التى يرجح العديد من الأثريين إنها المقبرة التى دفن فيها اختاتون فرعون التوحيد وعندما تم عمل مسح للمقبرة K55 فى التسعينيات من القرن الماضى وجد بأرضيتها الكثير من شرائح الزجاج المحطم الذى يعود إلى اللوحات الزجاجية التى حطمها بيرتون لعدم رضاءه عن الصور التى عليها.

ولم يذكر هوارد كارتر أو غيره فضل بيرتون فى إلقاء الضوء على الكشف الهائل الذى تم ولم يذكره اللورد كارنارفون رغم أنه جنى من ورائه ثروة طائلة بعد أن باع حق النشر لصحيفة التايمز Times التى نشرت الصور التى التقطها بيرتون كما أن كارتر صنع من اللوحات الزجاجية شرائح للفانوس السحرى sli-des استخدمها فى محاضراته عن مقبرة توت عنخ أمون أثناء جولاته فى بريطانيا والولايات المتحدة والتى لاشك قد تقاضى عنها مبالغ طائلة.. ويعود الفضل إلى بيرتون أيضاً أنه استجلب كاميرا سينما يدوية صورت أفلام من أول الأفلام التى تصور عن الآثار المصرية.

واستمر بيرتون يعمل فى مصر بعد أن أتم مهمته مع هوارد كارتر وظل بها حتى وفاته فى عام 0491 وتقدر عدد الصور الفوتوغرافية التى التقطها فى مصر بـ 41 ألف صورة تعد مرجعاً هاماً للآثار المصرية وقد دفن بعد وفاته فى المقبرة الأمريكية بأسيوط.

أرجو أن تكون كلماتى قد أسهمت فى إلقاء الضوء على سيرة جندى مجهول أدى عملاً كبيراً جليلاً إلا أن وجوده فى ظل هوارد كارتر الذى استحوذ على كل الشهرة وكل الأضواء حجب عنه الضوء وحال دون تعرف الناس عيه.

إلا أن بيرتون ليس الجندى المجهول الوحيد فى هذه القصة فقد أظهرت الصور العديد من العمال المصريين ومنهم أطفال صغار شاركوا فى الكشف عن مقبرة توت عنخ أمون لم يذكرهم أحد حتى أن هوارد كارتر ذكر أن أحد العمال المصريين كان أول من اكتشف درجات السلم المؤدية إلى المقبرة دون أن يتفضل بمجرد ذكر اسمه.. وقد سجل بيرتون صورة لصبى أسمر صوره مرتدياً قلادة ذهبية لتوت عنخ أمون فهل هو نفس الصبى الذى اكتشف مدخل المقبرة.. اليوم يعرض أحد أحفاد عبدالرسول المشهور باكتشاف خبيئة الدير البحرى الصورة فى بهو فندق يمتلكه فى الأقصر فهل هو فعلا هذا الصبى.

من الجدير بالذكر أيضاً أن كارتر أو بيرتون لم يذكر شيئاً عن المساعدين المصريين علماً بأن بيرتون قد استعان بمصور مصرى هو عطية جاديس.. الذى افتتح فى الأقصر فى عام 7091 أول محل مصرى للتصوير الفوتوغرافى وأن العديد من الصور التى التقطت للعمال وهم ينقلون القطع الأثرية من المقبرة هى من تصوير عطية جاديس الذى لازالت أسرته تمتلكه فى فندق winter palac الشهير فى الأقصر ويديره حفيده إيهاب جاديس.

والتراث الفوتوغرافى لبيرتون محفوظ اليوم فى معهد Grifith التابع لجامعة أوكسفورد وهو تراث هام لمصر أرجو أن تعمل وزارة الآثار ووزارة الثقافة على تسجيله ودراسته فى مصر وإتاحته للباحثين والأكاديميين خاصة وأنه يضم لقطات تحسم قضايا جدل كثيرة فهو يضم صورة لقناع توت عنخ أمون الذهبى دون اللحية مما يثبت أنها مركبة وليس جزءاً من القناع وهى قضية أثارت كثيراً من الجدل فى مصر منذ عدة شهور عندما انفصلت اللحية عن القناع أثناء عملية للترميم.

كما يضم الأرشيف صورة تظهر رأس توت عنخ أمون المفصولة عن جسده بسبب الأسلوب البدائى الذى استخدم فى استخراج المومياء من التابوت وهو يؤكد أن الباحثين الغربيون ليسوا معصومين من الخطأ كما يحلو للبعض أن يدعوا.

المنافذ الحدودية بين مصر والسودان، شرايين السفر والتجارة بين البلدين

على الرغم من توقيع اتفاق التعاون بين مصر والسودان فى مجال النقل البرى للركاب والبضائع بتاريخ 29 يوليو 2002 والتصديق عليه من جانب السلطات المختصة فى البلدين، إلا أن هذا الاتفاق لم يجد طريقه إلى التنفيذ بسبب عدم توقيع البروتوكول الخاص بإجراءات تنفيذ هذا الاتفاق حيث طلبت المادة 25 من الاتفاق المذكور إعداد بروتوكول منفصل يتضمن إجراءات تنفيذ الاتفاق وتركت العديد من التفاصيل الفنية ليتم مناقشتها والاتفاق عليها بين البلدين فى البروتوكول المنتظر .

وقد مرت سنوات على توقيع الاتفاق والتصديق عليه بين مصر والسودان دون التوصل إلى صيغة متفق عليها للبروتوكول مما عطل تنفيذ الاتفاق وأخر استفادة حركة السفر والتجارة مما يوفره الاتفاق من فرص التعاون بين البلدين فى هذه المجالات الحيوية والمهمة.

وفى اجتماع اللجنة العليا المشتركة بين مصر والسودان يومى 27،28 مارس 2011 بالخرطوم اتفق البلدان على عقد لجنة (المنافذ الحدودية المشتركة) بصفة عاجلة لزيارة الحدود وتقديم توصياتها للجنة المتابعة وذلك لتحديد المنافذ الحدودية بين البلدين حتى يتسنى وضع النقاط الجمركية ومكاتب الهجرة وتنظيم التواصل والتجارة.

وتنفيذاً لما قررته اللجنة العليا المشتركة عقدت لجنة المنافذ الحدودية المشتركة بين مصر والسودان أول اجتماعاتها بمدينة أبى سمبل يومى 27، 28 سبتمبر والتى تشرفت برئاسة الجانب المصرى فيها بصفتى مشرفاً على قطاع التعاون العربى والإفريقى بوزارة التعاون الدولى، بينما تولى رئاسة الجانب السودانى الفريق شرطة د.آدم دليل آدم سراج رئيس هيئة الجوازات والسجل المدنى السودانية، حيث قامت اللجنة بمعاينة

سفير محمد عباس

الموقعين المقترحين (على الطبيعة) لمنفذين حدوديين الأول يقع شرقى نهر النيل وهو منفذ قسطل/ أشكيت والثانى يقع غربى نهر النيل وهو منفذ أرقين.. واتفق الجانبان على أن تكون المنافذ المصرية والسودانية كل منهما فى مواجهة الآخر وعلى جانبى خط عرض 22 وأن تكون المبانى والمنشآت بكلا الجانبين متماثلة وعلى بعد 25 متراً من خط الحدود المصرية السودانية وأن يتزامن إنشاء مبانى المنافذ البرية مع اكتمال شبكة الطرق المؤدية إليها بكلا البلدين .

وقد تابعت لجنة المنافذ الحدودية المشتركة بين مصر والسودان أعمالها من خلال القنوات الدبلوماسية، كما عقدت اللجنة اجتماعها الثانى فى وادى حلفا «10 8- سبتمبر 2012»واجتماعها الثالث فى أبى سمبل يومى 16 و17مارس 2013 وأخيراً اجتماعها الرابع والأخير فى الخرطوم يومى 16و 17 أبريل 2014 .

وفى هذه الاجتماعات توصل الجانبان إلى وضع التفاصيل الخاصة بتشغيل المنفذين وذلك بعد القيام بزيارة مواقع العمل فيهما ومعاينتهما والوقوف على ما انتهت إليه عملية رصف الطرق المؤدية إلى المنفذين سواء داخل الأراضى المصرية أو داخل الأراضى السودانية.

ومن جانب آخر فقد وقع الجانبان المصرى والسودانى بتاريخ 7 فبراير 2013 بالقاهرة البروتوكول الخاص بتنفيذ اتفاق التعاون فى مجال النقل البرى للركاب والبضائع والمتضمن مختلف التفاصيل الفنية المتعلقة بتنفيذ الاتفاق المذكور (المرور، الجمارك، الرسوم والضرائب، مستندات السفر والتجارة، تبادل الزيارات والمعلومات ..إلخ) لتبدأ مرحلة جديدة فى حركة السفر والتجارة براً بين مصر والسودان وكذا من السودان إلى مختلف الدول الإفريقية ومن مصر إلى دول الجوار وخاصة تلك المطلة على البحر المتوسط وغيرها.

وقد تكللت هذه الجهود والاتصالات بافتتاح منفذ قسطل /اشكيت الواقع شرقى النيل وتشغيله بتاريخ 28 سبتمبر 2014 ثم افتتاح منفذ أرقين الواقع غربى النيل وتشغيله بعد ذلك بعامين.

ولعله من المهم الإشارة على سبيل المثال إلى ما تضمنه البروتوكول من إعفاء كافة عمليات النقل البرى بين أراضى البلدين من الضرائب والرسوم والعوائد المعمول بها لدى الدولتين فيما عدا التى تفرض على وسائل النقل الوطنية وسائقيها ومساعديهم وهو ما يعبر - ضمن مواد أخرى بالبروتوكول -عن سعى البلدين إلى تيسير حركة السفر ونقل البضائع بينهما الأمر الذى كانت له نتائجه الإيجابية دون شك فى هذه المجالات الحيوية والمهمة بين البلدين الشقيقين ومواطنيهما .

المنافذ الحدودية بين مصر والسودان، شرايين السفر والتجارة بين البلدين

الجوانب الإيجابية المحتملة لجائحة فيروس كورونا

كارثة بالفعل، خاصة مع أرقام الوفيات التى يحصدها الفيروس كل يوم حول العالم، وتداعياته الاقتصادية السلبية على الاقتصاديات المحلية والعالمية ولكن على الرغم من ذلك فقد يكون للتدابير القاسية التى تتخذها حاليا معظم الدول والمجتمعات لمكافحة هذه الجائحة أثارا إيجابية فى المستقبل، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

سكرتير أول أحمد الشوربجى

إن وباء كورونا «COVID-19» انحسار بعض الفيروسات والأمراض الأخرى

سوف تتأثر الفيروسات والأمراض الأخرى المعدية بالتدابير المتخذة حاليا حول العالم، خاصة التباعد الاجتماعى مما يعنى أن انتشار بعض الفيروسات والعدوى الميكروبية «خاصة تلك التى تحتاج لوسيط بشرى للبقاء على قيد الحياة فى دورة حياتها» سوف ينخفض بشكل كبير وقد يكون لهذا تأثير ايجابى على مستقبل البشر فى معركة كفاحهم ضد الأمراض التى تنتشر بشكل عام بين البشر، مثل فيروس الانفلونزا، وغيره.

رفع الوعى العام

إن التوعية الصحية التى أثيرت خلال الأسابيع الماضية حول أساسيات النظافة وطريقة انتشار الأمراض فاقت كل ما فعله البشر من قبل، خاصة فى البلدان النامية، حيث اضطر العديد من البشر للتعرف بتمعن عن تلك المعلومات الصحية الهامة، بل وممارستها على نطاق واسع وفى وقت قصير، وهو إنجاز تثقيفى وتوعى ما كان يحلم أحد من مصممى برامج التوعية الصحية حول العالم بتحقيقه بهذا النجاح على هذا النطاق، الأمر الذى سيفيد بدوره فى حربنا المستقبلية ضد أمراض معدية أخرى.

تحسين الإستعداد والتأهب

على الرغم من أن فيروس «COVID-19» الحالى يقتل العديد من الأشخاص، إلا أن معدل وفياته يعد منخفض نسبيا مقارنة ببعض الفيروسات الأخرى «فيروس إيبولا مثلا يبلغ معدل وفياته حوالى 05%» ومن ثم فإن الأزمة الحالية والتى لم يشهدها العالم منذ الانفلونزا الاسبانية فى بداية القرن العشرين تعد تدريب عملى وحقيقى لرفع درجة الاستعداد والتأهب لدى الدول والمجتمعات والأفراد حال حدوث جائحة مستقبلية أخرى أشد فتكا من فيروس كورونا، الأمر الذى سيوفر من الوقت والجهد والتكلفة، ويقلل من عدد الاصابات والوفيات المستقبلية.

ازدهار الحياة الالكترونية

ساهمت إجراءات التباعد الاجتماعى والحجر الصحى فى تسريع تبنى الأفراد والمجتمعات الواقع الرقمى الجديد عبر الإنترنت، بما فى ذلك العمل والدراسة والاجتماعات والتسوق وإنهاء الخدمات المصرفية وغيرها، حيث أصبح كل ذلك واقع جديد مفروض على الجميع، وأصبح من الحتمى على معظم الناس العاديين التكيف والتعلم سريعا للتمكن من أداء كل ذلك عبر الانترنت وقد يغير هذا بشكل كبير مستقبل بعض الوظائف، كما قد يعطى دفعة للاقتصاد الرقمى، ويعدل فى بعض المعايير الاجتماعية.

تحقيق الترابط العالمى

ما حدث فى الأزمة الحالية أكد صحة مقولات وشعارات مثل كون العالم «قرية صغيرة» وأنه «مترابط» وأن «ما يحدث فى مكان ما يمكن أن يؤثر على مكان آخر إلخ» حيث أصبح الجميع متأكدون بنسبة 001% من أن مثل تلك المقولات ليست شعارات جوفاء أو مجرد نظريات افتراضية بل هى حقيقة واقعية لا تقبل الشك فقد اثبتت جائحة كورونا أن العالم متصل حقا ويمكن أن يؤثر خطأ أو كارثة فى مكان ما على بقية البشر عاجلا أم اجلا وهذا الأمر سيجعل الحكومات والبشر فى المستقبل يميلون أكثر لمساعدة «الآخرين» مع إيمانهم بأن هذه المساعدة قد تنعكس عليهم بطريقة أو بأخرى فى المستقبل القريب أو البعيد.

التأكيد على أهمية تحسين النظم الصحية

لقد أيقن العالم أن النظم الصحية ليست ترفا، ولا يمكن أن تترك مهملة، أو على الأقل تأكدنا جميعا من ضرورة ان تنال تلك النظم الصحية «التى لم تكن عادة فى أولوية الاهتمامات عند بعض صانعى القرار» الاهتمام والتمويل الكافيين فقد بات العالم الآن يدرك أن ما كان يشاهده فقط فى أفلام الخيال العلمى أو أفلام الرعب قد يصير حقيقة خلال يوم وليلة، وأن ذلك الأمر حال حدوثه لن يستثنى أحدا، وبالتالى فمن الضرورى الاهتمام أكثر من قبل بالنظم الصحية والعاملين به، سواء من ناحية التمويل أو التدريب، الأمر الذى سيكون له بالتأكيد أثار أكثر إيجابية مستقبلا، وسينعكس على مخصصات الميزانية فى المستقبل نحو مزيد من الرعاية الصحية والبحث العلمى.

قارب واحد

تجسدت المساواة بين البشر فى أقوى صورها خلال الأزمة الحالية، حيث لم يفرق الفيروس بين شخص وآخر، سواء عن طريق المال «غنى أو فقير» أو طبقا للعرق أو الجنس أو اللون أو الجنسية وغيره «بخلاف السن والمناعة» الآن فقط اصبح الجميع يعلم يقينا أنهم معا فى مركب واحد وبات الأغنياء والأقوياء يعلمون جيدا أن ما لهم أو نفوذهم قد لا يحميهم حال حدوث مثل تلك الكوارث، ومن ثم ضرورة ايجاد نظام صحى قوى يعتمد عليه، وحوكمة رشيدة جيدة لإدارة الأزمة فالأغنياء وذو النفوذ خاصة فى دول العالم الثالث لم يتمكنوا من السفر للعلاج بالخارج بل اضطروا للاعتماد على على النظم الصحية المحلية لديهم، مما أكد على ضرورة تطويرها فالجميع فى قارب واحد، ليس فقط داخل كل بلد، ولكنه قارب واحد لكوكب الأرض بأكمله.

فرصة بيئية

غنى عن القول إن البيئة هى الرابح الأكبر مما حدث ويمكننا التفكير فى الأمر على أنه انتقام من الطبيعة لما فعله البشر بالكوكب على مدى العقود الماضية وقد وجدت هذه الطبيعة طريقة ما لإبطاء البشر وجعلهم يرون مدى الاختلاف الذى يحدث للبيئة عندما يتوقفون عما كانوا يفعلونه إن ما يحدث فرصة ضئيلة وسريعة لكى تتنفس البيئة، على الأقل لحين عودة حياة البشر إلى طبيعتها.

استهلاك أقل

«الضروريات» كانت هذه الكلمة بعيدة عن بعض الناس، خاصة فى الدول المتقدمة كل شىء كان متاحا ومسلما به وفجأة وجد بعض الناس أنفسهم يتعلمون ـ بالطريقة الصعبة ـ أن الأشياء قد لا تكون متوفرة دائما وأنه يجب عليهم بدء تعلم تحديد أولوياتهم بشكل صحيح، وجعل البعض يشعر للمرة الأولى بمعنى كلمة «الاحتياج» وربما ذلك قد يدعوهم مستقبل للتفكير فى بقية البشر الذى يعد «الاحتياج» هو نمط حياتهم اليومية، كما أن ندرة بعض المنتجات والخدمات كذلك أدت إلى وجود ضرورة لإعادة تحديد الأولويات وأنماط الاستهلاك وهذا درس يعد مهما للجميع فى حياتهم المستقبلية كما أن يعلم الكثير من الناس أن يخفضوا إنفاقهم إلى ما هو هام حقا.

اختبار للعلاقات البشرية

إن الاضرار للبقاء بالمنزل وقضاء المزيد من الوقت مع الأسرة له بالتأكيد تأثير إيجابى على الترابط الأسرى، خاصة فى عالم اليوم الذى اتسم إيقاعه بالتسارع الشديد وقلة التواصل البشرى مع انغماس الجميع فى أجهزتهم الاليكترونية ولكن قضاء مدة أطول بالمنزل مع الأسرة كان له أيضا تداعيات أخرى، فى ظاهرها قد يكون سلبى «مثل زيادة العنف الأسرى والمشاحنات والمشاجرات بل والطلاق فى بعض الأحيان» بينما فى باطنها قد تحمل جانب ايجابى على المدى الطويل، وهو إظهار حقيقة العلاقات الإنسانية بين الأزواج وبين أفراد الأسرة الواحدة، فبعض العلاقات اصبحت أقوى وأكثر توطيدا، بينما ظهرت فى بعض العلاقات الأخرى تشققات عنيفة اثبتت هشاشة وضعف تلك العلاقات، التى ربما لم تكن واضحة من قبل بسبب قضاء الطرفين لوقت أقل معا أو لانغماس هروب طرف من الآخر فى العمل مثلا، لكنها ظهرت جليا فى الفترة الحالية لاضطرار الاطراف لقضاء وقتا أطول معا بالمنزل ما يحدث الآن قد يجعل كل شخص يفكر مرة أخرى جديا فى حياته الشخصية وعلاقاته الإنسانية بشكل أكثر وعيا، كما قد يدفع العديد ليكونوا أكثر حرصا قبل اختيار شريك حياة، يمكن يوما ما أن تضطرهم الظروف لقضاء وقتا معه أطول بكثير من المعتاد.

إهدار أقل فى مجال العمل

اضطرتنا الجائحة لتقليل أوقات العمل، وعدد الأيدى العاملة، بل والعمل من المنزل فى كثير من الأماكن، وهو الأمر الذى كشف ربما عن وجود إهدار كبير للوقت، والمجهود فيما كان يحدث قبل الأزمة، على سبيل المثال، اكتشف البعض أنه عادة ما كان يتم عقد اجتماعات لا قيمة حقيقية لها، وطبع منشورات تستنفذ مالا وجهدا لا فائدة حقيقية ورائها، بل وربما تواجد أشخاص يعلمون ولا فرق بين وجودهم وغيابهم التام عن العمل وهو الأمر الذى قد يؤدى فى المستقبل إلى إعادة النظر فى كيفية إدارة الأعمال وعلوم الإدارة فى مجالات شتى.

ربما تكون الأزمة الحالية فى سبيلها للانفراج، لكنها بالتأكيد ستؤدى إلى كثير من التغيرات فى حياة البشر، بعضها سلبى، لكن أيضا بعضها قد يكون ايجابى تماشيا مع المثل العربى الشهير: «رب ضارة نافعة» الوقت فقط هو الحكم وفى كل الأحوال، إن جائحة COV-ID-19 هو درس علينا جميعا أن نتعلمه بكافة جوانبه المختلفة، السلبية منها والإيجابية أيضا.

جميل عطية إبراهيم وذكريات لا تنسى

غادر دنيانا فى شـــهر إبريل 2020 فى مدينة بازل الســـويسرية، بعد رحلة دامت سنوات مع المرض، الكاتب البارز والروائى المتميز والأديب المبدع والصديق العزيز الأستاذ الكبير جميل عطية إبراهيم بعد رحلة إبداع وعطاء كبيرة وطويلة مع الفكر والثقافة والأدب فى مصر وعلى المستوى العربى، بل وعلى صعيد التقدير العالمى لإسهاماته الأدبية والفكرية التى أثرت مسيرة العقل العربى ودعمت من تفاعل الوطن العربى مع بقية العالم ثقافياً وذهنياً على مدار أكثر من نصف قرن من الزمان.

سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

وقد ســـبق لى فى مقال طويل نشرته مجلة «الهلال» الشـــهرية المصرية ذات التاريـــخ العريق، وقـــت أن شرفت تلك المجلة الكبيرة أن يكون على رأس تحريرها الكاتب الكبير والصحفى المتميز صاحب الرؤية التاريخية المتعمقة الصديق العزيز الأستاذ عادل عبد الصمد، أن كتبت رؤية تحليلية وتاريخيـــة ونقدية ذات منظور مقارن لثلاثية الراحل الكبير جميل عطية إبراهيم «1952، 1954، و1981»، كما سبق أن كتبت عنه أكثر من مقال خلال حياته رحمه الله، لذا رأيت هنا أن أعرض لمشاهد متفرقة، ولكنها متكاملة، تحكى العديد مـــن الذكريـــات والمواقف التى جمعتنى مع كاتبنا الكبير الراحل الأستاذ جميل عطية إبراهيم، ومع رفقاء طريق فى مســـيرته الفكريـــة والثقافية الغنية بالدروس المســـتفادة والمليئـــة بالعطاء وبالتفاعل الثقافى والفكرى والفنى المبدع والخلاق، ولكل مشـــهد دلالاته على عمق هذا الكاتب وصدق أحاسيســـه وموهبته الأدبية المتألقة وانتمائه الوطنى والقومى والإنسانى والاجتماعى الثرى ذى الأبعاد المتنوعة.

وكانـــت العديد من المشـــاهد التى جمعتنـــى بالراحل الكبـــير وقت تشرفى بالتعرف عليه منـــذ ثلاثة عقود ونصف تقريبـــاً، قد دارت فيما يســـمى «مقهى الصحافـــة» الكائن داخـــل مبنى المقر الأوروبى للأمـــم المتحدة فى جنيف، وهو موقعـــه مجاور للقاعة التـــى يوجد بها مكاتب الصحفيـــين المعتمدين لدى الأمم المتحدة والمنظمـــات الدولية الأخرى فى جنيـــف، وكان فى مقدمتهـــم، بل كان بمثابة شيخهم آنذاك، هو الأستاذ الراحل الكبير جميل عطيـــة إبراهيم الذى كان يلقبه بقية الصحفيـــين العرب، خاصة الشـــباب والشـــبان منهم، بلقب «عمو جميل» ويسألونه دائماً النصح والرأى فى موضوعات متنوعة تخص عملهم أحياناً، بل وتخص أحوالهم المعيشية والشخصية والعائليـــة أحياناً أخرى، فى ضوء خبراته الكبـــيرة والمتراكمة وتجاربـــه المتنوعة، وكانت الجلســـات فى «مقهى الصحافة» عادة ما ينضـــم إليها أيضاً المترجمون فى القســـم العربى للترجمة التحريرية أو الترجمة الفوريـــة بالأمم المتحدة بجنيف فى ذلك الوقت، وكان منهم عندئذ الأستاذ الكبير الكاتـــب والروائى البـــارز بهاء طاهر، وكان هناك أيضاً الكاتب والمفكر والباحث المعروف الأســـتاذ خيرى عزيز رحمه الله، ثـــم كان هناك الراحل الكبير اللواء طارق شرف، وكان وجود كل منهم فى هذه الجلسات وما يصدر عنه من آراء يعكس حالة من العمق الفكرى والمخزون التاريخى فى الذاكرة يمثل لى ولغيرى من الشباب المشـــاركين فى تلك الجلسات فى ذلك الوقت مصدر إثراء وإبهار مستمر فى آن واحد. وكانت هذه الجلسات تتحول فى جزء كبير منها إلى ما هو أقرب إلى الندوات الفكرية والثقافية غير المخطط لها سلفاً، وكانت أحداث الوطـــن والتحديات التى تواجه الأمة العربية وهموم الإنســـانية حاضرة فيها دائماً، وكانت عفوية إثارة الموضوعـــات وتلقائية مناقشـــتها دون إعداد مسبق وحيوية الحوار تضيف كثيراً إلى الإمتاع الذى تضفيه هذه الجلســـات على المشاركين فيها.

أما اللقطة الثانية فتتعلق بمشـــاهد لقاءات استضافها منزل الكاتبة والأديبة المصرية البارزة الأستاذة الدكتورة فوزية أســـعد فى أحد ضواحـــى مدينة جنيف، وهى واحدة من أهم الكاتبات والأديبات المصريات اللاتى كتبن ونشرن كثيراً باللغة الفرنسية والكثير من أعمالها ترجمت بعد نشرها فى فرنسا وفى ســـويسرا إلى اللغة العربيـــة، وكان زوجها الراحل أحد كبار الموظفين المصريين الذين عملوا لسنوات فى الأمانة العامة لمنظمة الصحة العالمية. وكانت اللقاءات فى منزل الدكتورة فوزية أســـعد هى أقرب إلى الصالـــون الثقافى والفكرى والأدبى الـــذى كانت تثار فيه قضايا فى غاية الأهميـــة والدلالة للحالة الثقافية العربية العامة ولمستقبل الثقافة العربيـــة، وكثيراً ما تواجـــد بها الكاتب الكبير الراحـــل الأســـتاذ جميل عطية إبراهيم، وحتى بعد مغادرة الأستاذ بهاء طاهـــر جنيف وعودتـــه إلى مصر فكان يعود فى العطلات الصيفية لزيارة جنيف وينضم مجدداً لذلـــك الصالون الثقافى، كذلك انضم له لعدة سنوات السفير محمد توفيق عندمـــا كان نائباً للمندوب الدائم المصرى لدى الأمم المتحـــدة والمنظمات الدوليـــة الأخرى فى جنيـــف، وهو أديب وقاص وروائـــى مبدع صدرت له العديد من الروايات ومن المجموعات القصصية والسيدة قرينته الدكتورة أمانى أمين هى التى أســـســـت منذ سنوات موقع «منتدى الفكر العربي» على شبكة الإنترنت، وهو أيضاً منتدى معنـــى بالقضايا الفكرية والثقافية والأدبيـــة العربية والمصرية. وحتى بعد مغادرة السفير محمد توفيق والسيدة قرينته لجنيف، فكانا ينضمان

دكتور وليد عبد الناصر والسفير العمانى عبد الله ناصر الرحبى والأستاذين الكبيرين الراحلين جميل عطية إبراهيم وجمال الغيطانى

إلى الصالون الثقافى للدكتورة فوزية أسعد عندما يزوران جنيف. وفى إحدى المرات انضمت لهذا الصالون الثقافى للدكتورة فوزية أسعد الصديقة الراحلة الغالية الأديبة والكاتبة الأستاذة نعمات البحيرى رحمها الله حيث كانت فى جنيف للمشاركة فى عدد من الفعاليات الأدبية والثقافية التى كان ينظمها «نادى القلم» السويسرى فى ذلك الوقت.

كما أن السفير محمد توفيق وقرينته الدكتورة أمانى استضافا بدورهما، خلال سنوات إقامتهما فى جنيف، العديد من اللقاءات التى تحولت بدورها إلى منتديات أدبية وثقافية شديدة الثراء بمشاركة تلك الكوكبة من الكتاب والمفكرين والأدباء المصريين، وشارك فيها كل الأسماء البارزة فى سماء الأدب والفكر والثقافة فى مصر والوطن العربى التى أشرنا إليها فيما سبق، بالإضافة إلى أسماء أخرى عديدة.

وكان مكان آخر جمعنا على مدار مناسبات كثيرة مع هذه النخبة المتميزة من الكتاب والأدباء والمفكرين هو مقر المكتبة العربية فى جنيف المعروفة باسم مكتبة «الزيتونة»، والتى تأسست فى عقد السبعينيات من القرن العشرين، وصاحبها ويديرها الأستاذ آلان بيطار، لتصبح حتى الآن أحد المنابر المهمة والمؤثرة لنشر ورعاية الثقافة العربية والتعريف بها لغير العرب، ليس فقط فى جنيف وحدها، بل فى كامل الأراضى السويسرية، وخلال بعض الوقت استضافت لقاءات لهذه النخبة أيضاً مكتبة «الديوان» التى أسسها وأدارها لعدة سنوات الأستاذ محمد بن هنده، وإن لم تستمر مكتبة «الديوان» طويلاً، وفى المكتبتين كانت هناك أنشطة وفعاليات ثقافية وفنية عربية أو معنية بالحالة الثقافية والفكرية والفنية العربية بصورة منتظمة ومستمرة وشبه دورية، تكاد تكون بشكل أسبوعى، كما أن الأستاذ آلان بيطار نجح لاحقاً فى أن يؤسس لتواجد جناح للثقافة العربية بشكل سنوى فى سياق معرض جنيف الدولى للكتاب. وقد ركزت الحوارات التى دارت فى هذا الإطار على الهموم العامة للمثقفين العرب وعلى السعى لممارسة درجة واعية ومتقدمة من النقد الذاتى للثقافة والفكر والأدب فى الوطن العربى وشكلت فرصة فى غالبية الحالات لحالة من المصارحة والشفافية والتفاعل البناء فيما بين المشاركين، بهدف تحقيق ما فيه مصلحة الأدب والثقافة العربية بشكل موضوعى.

وإذا انتقلنا إلى لقطة أخرى من جملة مشاهد كثيرة جمعتنى بالأستاذ الكبير الراحل جميل عطية إبراهيم على مدار خمس وثلاثين عاماً، فقد كانت تلك التى دارت على هامش تكريم معرض جنيف الدولى للكتاب فى دورته لعام 2014 ، من خلال جناح الثقافة العربية به، والذى أشرنا إليه فى الفقرة السابقة، للكاتب والروائى والأديب الكبير الراحل الصديق الغالى الأستاذ جمال الغيطانى، وهو بالطبع صديق عمر للأستاذ جميل عطية إبراهيم رحمه الله، كما جمعهما أنهما انتميا معاً لما عرف تاريخياً بجيل الستينيات فى الأدب المصرى والعربى المعاصر. وكان وجود الأستاذ الغيطانى رحمه الله فى جنيف فى حد ذاته مناسبة لقدوم الأستاذ جميل خصيصاً من مدينة بازل، التى كان قد استقر بها فى ذلك الوقت، إلى مدينة جنيف للقاء به مجدداً، وشارك فى اللقاء الذى كان لى الشرف فى تلك المرة فى استضافته كل من الأستاذة الدكتورة فوزية أسعد والأستاذة الدكتورة فوزية العشماوى الكاتبة الكبيرة والأديبة المتميزة صاحبة العديد من الأعمال الروائية والقصصية والتى تقوم بتدريس الأدب العربى فى جامعة جنيف، كما حرص على الحضور فيه تكريماً لنجوم الأدب العربى المقامة الدعوة على شرفهم السادة سفراء دولة الكويت وسلطنة عمان والجمهورية اليمنية فى جنيف، بالإضافة إلى الأستاذ آلان بيطار ومدير معرض جنيف الدولى للكتاب وعدد من كبار المثقفين السويسريين والمثقفين العرب المقيمين فى سويسرا، ودارت أحاديث ممتعة حول ما آلت إليه الثقافة العربية بحلول ذلك الوقت ومدى التأثير العالمى الذى احتفظت به تلك الثقافة، خاصة على الصعيد الأوروبى، فى ضوء عمق وامتداد التفاعل التاريخى بين الثقافة العربية والثقافات الأوروبية.

وهكذا حاولت أن أعرض فيما سبق للقطات ومشاهد جمعتنى بالراحل الكبير الكاتب والأديب الأستاذ جميل عطية إبراهيم على مدار ثلاثة عقود ونصف ومنذ أول لقاء جمعنا فى منتصف عقد الثمانينات من القرن العشرين، ولبيان مدى تأثير الراحل على صعيد الفكر والثقافة العربيين وما تركه من فراغ على صعيد مختلف دوائر المثقفين العرب، يكفى أن أقول أن إحدى الصحفيات العربيات البارزات التى عرفت الأستاذ جميل عن قرب على مدار ما يقرب من ثلاثة عقود قالت لى عندما علمت بوفاته «اليوم فقدت أبى الثانى ومثلاً أعلى لى». رحم الله الكاتب والروائى والأديب الكبير والصديق الغالى الأستاذ جميل عطية إبراهيم ومنحه الثواب بقدر عطائه لشعبه ومجتمعه ووطنه وأمته وعالمه عبر إسهاماته الباقية معنا فى مجالات الفكر والثقافة والأدب فى مصر والوطن العربى.

غـــاندى

من كان يتصور أن تلميذاً متوســـطاً شـــارداً مغامرًا يسرق ويتمرد على تقاليد المجتمع، ويطارد النساء، بل ويترك أباه على شفا الموت وعمره ستة عشر عاماً ليجامع زوجته، أن يكون يومًا أبًا للأمة وتعبيراً عن ضمير الإنسانية؟

وهل يمكـــن لخليط من أفـــكار الأديان والمعتقدات الفلســـفية أن تشـــحذ إرادة ذلك الشـــاب، وتجعل مســـيرة نضاله قدوة لمثل مانديلا ومارتن لوثر كينج وأوباما، ونبراســـاً لقدرة الفـــرد على تغيير التاريـــخ، وأن تظل أفكاره عن وحدة الأديان والخالق محل جدال طيلة تسعة وسبعين عاماً من عمره ولعشرات السنين بعد وفاته؟

ولد غاندى لأسرة متوســـطة الثراء قرب مومباي؛ فأبوه موظف حكومـــى، وأمه ربته على فلسفة تقصر أسلوب الحياة والتغذية على النبات والابتعاد عن الكحوليات وعلى المســـالمة مع الحيوانات والبحث عـــن الحقيقة كطريق للخلاص الأبـــدى مع الإيمـــان بالحقوق لكل الأديان كطريق للعدالة والمساواة، وعندما بلغ الثمانى عشرة ســـنة توفى الله ابنه، فشعر أنه انتقام الرب لأنه انشغل عن إسعاف والده قبيل وفاته، فترك المدرسة وسافر إلى إنجلترا ليكون محامياً، وأعطته الأم تعويذة، وحلف ألا يلمس النبيذ واللحم والنساء.

أعطتـــه الحيـــاة فى لندن دفعـــة روحية وطموحًا، ورغم أنه ســـلك ســـبيل معيشـــة الإنجليـــز بحلته البيضاء وســـلوك الچنتلمان الخجول، إلا أنـــه حفاظًا على عهده تغذى على العيش والكرنـــب والمربى، وانضـــم لطائفة نباتيين يعتقدون أن اللحـــم والدم يؤديان إلى العنف، معتبراً ذلك معتقـــداً اجتماعياً يجعل منه إصلاحياً مطالبًا بصحوة سياسية، خاصة وأنه تأثر بآراء مدام بلافسكي التى اعتبرت أن الديانات تثـــرى بعضها بعضًا فى معتقد دينى جامع اعتبره جسرًا للهندوســـية والمسيحية إلى الحقيقة بمساهمة الفكر الإسلامى عن الجهاد وباعتبار أن التخلى طريق للخلاص، فابتعد عن الشهوات والماديات معتقداً أن التعلق يتنافى مع التفانى من أجل الإنسانية. وبعد ثلاث سنوات فى لندن ثقلت شخصيته كچنتلمان مثالى يؤمن بفعل الخير، عاد للهند فى الثامنة عشر عاماً من عمره، يريد تحولًا روحيًا وسياسيًا لبلاده. لكنه لم يلق قبولًا اجتماعيًـــا ولا مهنياً بها كمحام، كمـــا توفى الله والدته، فقبـــل عرضًا للعمل فى جنوب إفريقيا عام ١٨٩٣ حيث توجد بها أكبر جالية هندية خارج الهند.

كانت حياة غاندى فى جنوب إفريقيا حتى ١٩١٤ اختبـــاراً عظيمًا لمبادئه، حتى أنه يقال إنها أصقلته ليكون المهاتما أى الروح العظيمة، فبسبب إيمانه بالحقوق والمساواة اعترض على رغبة مفتش قطار الدرجة الأولى فى ديربان أن يخرج منها لأنها مخصصة للبيض، فألقوه عنوة من القطار، وساند الهنود ضد قانون عنصرى وتمييزى لا يعترف بالزيجات غير المســـيحية، ويطلب من العمال غير البيض تسجيل أنفسهم

سفير د. هادى التونسي

arabemaluco@hotmail.com

بالبصمات العشرة، كالمجرمين، فنظم عصيانًا مدنياً، واعتقلوه مـــع ألفين بتهمة التحريض، كما نظم إضراباً لعمال المـــزارع والمناجم، إذ آمن بأن المقاومة السلمية تنجح بقوة الحقيقة. ورغم تعرضه للســـجن إلا أنه تيقن من قدرته على تحريك الجماهير، وعاد إلى الهند مؤمناً بأن قوة الحقيقة ســـتقود مسيرته ليكون أبًا للأمة الهندية.

جاب غاندى أنحاء الهند بقطارات الدرجة الثالثة وبزيه التقليدى المتقشف وعصاه متخلياً عن البدلة الإنجليزية والعمة التى غطت رأسه فى جنـــوب إفريقيا، عايش الفقراء، وأســـس مجتمعاً ريفياً، ينبـــذ الملكية والسرقة، ويعتمد المساواة، فلا فرق بين أسرته والآخرين، وسعى لجعل ذلك المجتمـــع نموذجًا للاكتفاء الذاتى، فعمل أفراده فى الغزل والنســـيج بآلات بدائية اســـتغناء عن الاســـتيراد، وقاموا بجمع الملح، وحرضهم على الامتناع عن دفع رســـوم عليه والاحتجاج السلمى لمقاومة سلطات الاحتلال، فاكتسب شـــعبية، وكان صعوده للمجد حتمياً بمعاونة حزب المؤتمر، ثم طالب بالاســـتقلال عام ١٩٣١، وسافر إلى مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن لبحثه ممثلاً عن حزب المؤتمر ومعتقدًا أنه معبر عن فقراء الهند، إلا أن كلا من السيخ والمسلمين أرادوا أن يكون لهم تمثيل منفصل حرصاً على وضعهم بعد الاســـتقلال، ففشل الهنود فى التحدث بصوت واحد، وانفض المؤتمر بلا نجاح رغـــم أن غاندى برائه المتقشـــف وأفكاره اكتسب جماهيرية بين الإنجليز ذاتهم.

عاد غانـــدى إلى الهند ونظم عصياناً مدنياً فاعتقلوه، ثـــم عاش بين طائفـــة المنبوذين، والتى بلـــغ تعدادها آنذاك خمســـين مليونًا، يحاول احتواءهـــم وإدماجهم مجتمعياً إيماناً منه بالمساواة والوحدة، إلا أن بعض زعمائهم اتهموه بالطبقية، كمـــا نفر منه بعض أتباعه من حزب المؤتمر بقيادة شريكه نهرو، وخاصة لأن الحزب كان يؤمـــن بالتصنيع والتحديث طريقاً للتنمية، مخالفاً أفكار غاندى عن إقامة مجتمعات ريفية زراعية مكتفية ذاتياً، واصفاً إياها بدعـــوة للتخلف، فخـــرج غاندى، الذى رأى التصنيع وامتـــلاك البضائع دافعًا للطمع والتنافـــس والحروب، عـــام ١٩٣٤ من حزب المؤتمر.

دخلـــت الهنـــد كمســـتعمرة الحـــرب العالمية الثانية إلى جانب بريطانيا، فأرســـلت جنودها تحارب من أجـــل حرية دول أخرى وديمقراطيتها، وخرجت بريطانيا من الحرب مفلسة شـــاعرةً أن الهند عبء عليها، وبدأت دعاوى الاســـتقلال والحزازات بين الهندوس والمســـلمين بقيادة محمد على جنـــاح، وإثر احتجاجات من مسلمى كلكتا المزدحمة سكانياً مع حرارة ورطوبة شـــهر أغســـطس وتفشى البطالة والمجاعة نشبت اشـــتباكات ومجازر طائفية أدت إلى مقتل الآلاف، وانتشرت خارجها، مما حدا بغاندى إلى الذهاب إليها والإضراب عن الطعام حتى توقف العنف بها. ومع ذلك بدأت موجات نزوح من مســـلمى الهند إلى الشمال للانفصال فى الباكســـتان ونزوح من هندوس وســـيخ الشمال إلى الهند وســـط مجازر أدت إلى مقتل مليونين مـــن البشر، وهكذا كان حلم غاندى رغم استقلال الهند فى أغسطس ١٩٤٧ الذى طالما طالب به مخالفاً للوحدة والســـلام الذى تمناه. ودفاعًا عن حقوق وحياة المسلمين وسعياً لوقف العنف ضدهم بدأ غاندى إضرابًا آخر عن الطعام فى دلهى، إلا أن أحد المتعصبين الهندوس اعتبره خائناً ومســـئولاً عن محاباة المســـلمين وانفصال الباكستان، فاغتاله بثلاث رصاصات، ونتيجة لصدمة الاغتيال والشعور بمسئولية العنف والتواطؤ توقف العنف تماماً فى الهند والباكستان عقب الاغتيال.

قـــد لا يتفق كثـــيرون مع بعـــض أفكار غانـــدى عن الجمع بين الأديـــان، والتخلى عن الماديات والشهوات والحياة المتقشفة والتغذية بالنباتات، لكـــن يبقى أنها حريته فى الاختيار، وأنه أثبت بها قوة إرادته وسمو روحه وتفانيه حتى الموت من أجل المغزى والإنسانية والسلام والمساواة، بما جعله مثالاً فريدًا وأكسبه شعبية محلية ودولية عابرة للأزمان. شخصية تؤمن بقوة الحقيقة وتمالك الذات، وتضع المبدأ فوق المـــادة، والعقيدة فوق الحياة ذاتها، إنســـان يعيـــش روحًا متجاوزًا جســـده واحتياجاته، ويقدم حياته فداء للوطن والإنســـانية، سيرته تعلم أنه حتى الإنســـان المتوســـط يمكنه أن يصبح بطلًا فريدًا وفق الإيمان والإرادة، ليصل إلى مرتبة الملائكة بصفاء روحه، سيرة ومسيرة تتزايد حاجة عالم المادة والتراجع الإنســـانى والتعصب الحـــالى أن يتعلم منها ليعيد النظر، ويصبح أكثر إنسانية ووحدة وسلاماً وتسامحاً.